


# رسائل مسجد الجامعة

لجماعة من العلماء

## المجموعة الاولى

المكتب الاسلامي

الطبعة الأولى
١٣٧١ وما بعدها = ١٩٥١ وما بعدها دمشق

الطبعة الثانية
١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ بيروت

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ ـ هاتف ٤٥٠٦٣٨ ـ برقيًا: اسلاميًا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ ـ هاتف ١١١٦٣٧ ـ برقيًا: اسلامي

# مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

*أما بعد* ، فقد أقترح عليَّ عدد من أفاضل الدعاة . أن أعيد طباعة رسائل مسجد جامعة دمشق ، وقد رغبت إلى بعضهم أن يتكرموا بكتابة تقديم لها يتضمن نبذة عن فكرة هذه الرسائل وكيف نُفذت . وشيئاً عن تاريخ مسجد الجامعة ، وتعريفاً بكتّاب رسائلها . غير أنني وقد أنهيت طباعتها ، ولم أتسلم شيئاً من أحد منهم ، وأنا مقدر ظروفهم وأعذارهم ، وأرجو سبحانه أن يرفع عنهم الحيف والضيم ، وأن يزيدهم توفيقاً . وأملي كبيراً بأن يصححوا ما كتبت ، وأن يضيفوا ما علموا مما فاتني ، فإنني أكتب ما أتذكره الآن في موضوع بعدت عني وثائقه ، وذهبت بي الأيام عن مسرحه مشرقة مغربة ، وفرقت الأيام والمسافات بيني

وبين الأخوة ، الذين كانت لهم الجهود المشكورة ، ومنهم من قضى نحبه ، وانتقل إلى رضاء الله ـ إن شاء الله ـ ومنهم من ألقت به أيدي الظلم في السجون ، أو قعدت به الظروف القاسية حبيس بيته ، أو تفرقوا تحت كل نجم ، جمعنا الله مع الذين سبقونا تحت لواء سيدنا محمد ﷺ ، وحفظ الأحياء منهم على ما كنا عليه فيما يرضاه سبحانه وتعالى لعباده الصالحين .

وأنا مقيم في حازمية بيروت ، على ما سموه بخطوط التماس ، والقنابل تُلقى على رؤوسنا ليل نهار ، والرصاص المضاد ، والحارق يدخل من أضيق المنافذ ، وانقطاع الماء والكهرباء والهاتف ووسائل الاتصال . . . هي الأصل ، وما سواها هو النادر . . نسأل الله للبنان العزيز الفرج والهدوء .

كما أنني أطلب من كل أخ ، علم غير ما ذكرتُ ، وعرف خيراً مما توهمتُ، أن يتكرم عليَّ بالكتابة والتصحيح لاستدراك ذلك في الطبعة الثانية، متعهداً نشر ما يكتبُ بالطريقة التي يرضاها، ذاكراً اسمه إذا أحب، أو أرمز إليه إن أراد.

لأن هذا التاريخ أمانة في أعناقنا ، فلا يجوز السكوت عنه ، فإن سكوت صانعي الحدث عن نشره وتعميمه، يفتح المجالات أمام احتمالات أذكر منها :

١) أن يكتبها عدو مغرض يُزيفها ويسوقها غير

مساقها، منتصراً لإلحاده، أو ضلاله ومقصده راكباً لذلك الصعب والذلول مفترياً على الحق وأهله.

٢) تزوير الوقائع ـ لمختلف الدوافع ـ وقد وجدنا أمثلة كثيرة من تزوير التاريخ ممن كتبوا ونشروا حتى من الذين . . !!

٣) وإما أن يستغل هذا التاريخ بعض من شاركوا فيه ، أو ادعى أنه شارك وتسلق على العمل الإسلامي ، وادعى ما ليس له ، وأغمط حقوق العاملين وأغفل دورهم .

أو مبالغ في ذكر هذا التاريخ وحسناته مفضلاً ما شاء ، مضيفاً ما يحلو له محسناً أخطائه ، مما يؤدي إلى ردة فعل عند من يريد العمل بعد ذلك ، فيرى أنه ليس باستطاعته أن يقدم مثل الجهود السابقة فيستصعب المهمة ، ويستبعد الطريق ، فيتقاعس عن كل عمل ، مستصغراً ما لديه من امكانات أمام ما سبق وقُدم ممن سبقوا .

بل إن الكثير من الغلو والمبالغة يُذهب الفضائل الصحيحة أو يُمحي أثرها . . . ألا ترى معي أن من كتبوا في تراجم الأشخاص على سبيل المبالغة ، نزلت تلك الكتابات بمنزلتهم في حين أراد المتعصبة لهم رفعها !!

فضلاً عما في نقل الكذب أصلاً من مخالفة شرعية ، يكفي أن

يتذكر الفاعل لها قوله تعالى : ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون﴾[1] .

وقوله ﷺ : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع »[2] ، وأما الذين يتزيدون فمثالهم قول رسول الله ﷺ عن شياطين الأنس والجن : «تلك الكلمة من الحق يخطَفُها الجني فيقُرُّها في أُذنَ وَليه قَرَّ الدَّجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[3] .

وليتهم وقفوا عند هذا الحد ، بل أننا رأينا ممن كتبوا تخطياً لغيرهم ، وحذفاً لتاريخهم !! والطعن فيمن عمل منهم ، واحباطاً لجهودهم، وتبخيراً لإنتاجهم. - وقد يكون بسببهم هدايته - وافترى عليهم ونسب إليهم من الأخطاء ما ليس له أصل ، ولعله هو صاحب ذلك الخطأ، ولمثله كان المثل : «رمتني بدائها وانسلت»[4] .

وإنني ما كنت لأذكر هؤلاء احتراماً للمظهر الإسلامي الذي يعلنون ، لو أنها كانت عفوا الخاطر منهم لمرة واحدة ، أو أنها مما يحتمل الخطأ والنسيان . ولكنهم وقد تكررت اساءتهم واستمر

---

(١) سورة النحل الآية ١٠٥ .

(٢) «صحيح الجامع الصغير» رقم ٤٣٥٨ ، «رياض الصالحين» رقم ١٥٥٥ .

(٣) «مختصر صحيح مسلم» رقم ١٤٩٤ .

(٤) هو في «مجمع الأمثال» رقم ٥٠٥ و ١٥٢١ ويضرب للتي تعير غيرها بما هو فيها .

إصرارهم ، مع تغاير أساليبهم واتساع افترائهم على المدى الطويل واختفائهم وراء التقارير المشوهة ، والأسماء المستعارة المكذوبة ، مستعينين بأساطين الإضرار والفساد الذين كان لهم في استغلال وتحويل العمل الإسلامي عن مساره المستقل المتميز النزيه . . . الجهود الشيطانية والأساليب المخزية ما هو معروف[1] .

٤) أن يُنسى الموضوع ، ويضيع العمل فلا يعرف عنه شيء ، فلا يبقى للخلف شيئاً من تجارب السلف ، وهذا له أضرار كثيرة منها : أن يقطع الحبل المتين الذي يربط بين أول هذه الأمة وآخرها ، فإن بقاء همزة الوصل بين الأصل والفرع من الدين ، فيتم اللاحق ما بدأ به السابق ، ويتمم ما قصَّر به ، أو عجز عنه أو يصحح ما أخطأ به .

ومن هذا ما كان يسمى بالتلقي من الرجال . . فإن أخذ العلم والعمل من القدوة الصالحة ، كان من ميزات أهل الخير والثبات .

---

(١) وأخيراً رأيت بعض من تقدمت بهم السن ، ختم الله لنا ولهم بالحسنى ، انفتح عليهم باب الكلام على مصراعيه ، فانبروا للكتابة والقول بالصحف والمجلات والمؤتمرات والمجتمعات ، من غير ذاكرة حافظة ، أو مراجعة دقيقة ، أو ادراك لما يخلف كلامهم من آثار سيئة ، وإلى الله المشتكى .

ولعل من آخر ما بقي لنا من علم: «السند» حيث كان العلم يؤخذ مشافهة مع الكتاب أو بعده، وهذا لم يعرف عند أحد من الأمم قبل الأمة الإسلامية . . وإن بقاء سلسلة الإسناد متصلة مما يُبقي الحلقة متصلة حتى يكتب الله للخير النصر والانتشار «وان لهذا الدين اقبالاً وادباراً».

## الجامعة السورية

انشئت الجامعة في أواخر الدولة العثمانية عند تحديث التعليم وانشاء المدارس الممهدة لها .

**مكان الجامعة** : كانت الأرض بين غربي دمشق من باب القلعة إلى دمر، تشكل وادياً يمتد طولاً عشرين كليومتراً تقريباً، ويتراوح عرضه من الشمال إلى الجنوب ما يقرب الثلاثة كليومتر تزيد وتنقص، كأنه حديقة كبيرة، يمر بها نهر بردى الأم، يخترق وادي الربوة حيث انشق الجبل بين المزة جنوباً وبين المنشار من أعلى المهاجرين شمالاً، فجانبه الجنوبي أشبه بالتلال المتباعدة يقطعها نهر بانياس، ونهر القنوات ومن جانبه الغربي نهر داريا (الديراني) .

وفي الجانب الجنوبي وسط هذا المستطيل فوق ميدان المرج،

قطعة أرض تشكل هضبة تطل على المرج ، حيث أنشئت التكيتان السليمية[1] والسليمانية[2].

والمرتفع الجنوبي لكل ذلك ، كانت فيه منطقة «المنيبع» (محطة البرامكة) ، و «مقابر الصوفية» وهي إحدى مقابر دمشق ، وهي في تقديري المقبرة الخامسة في دمشق اتساعاً وانشاءً .

وإلى الغرب منها مرتفع متسع ، أنشئت عليه ثكنة عسكرية في مطلع القرن الهجري الماضي، وسميت بثكنة الحميدية، وأقيم في وسطها مسجد لطيف تحيط به حديقة كبيرة ضمن اطار مربع كبير جميل. ووراء تلك الحديقة البناء الضخم في قاعاته الواسعة ويحيط كل ذلك الساحات الكبيرة من الشرق والجنوب.

وعندما دخلت فرنسا استعملت المسجد نادٍ لجنودها وغيرت معالمه وشوهت جدرانه بالرسوم الفاسقة . . . الخ . .

وفي سنة ١٩٤٦ م تسلمت الحكومة السورية الثكنة ، وجعلتها المركز الرئيسي لجامعة دمشق ، وبقي المسجد على حالة مزرية من الإهمال فاستعمل مستودعاً حيناً للمهملات وغير ذلك من المهمات التي لا تليق في الجامع أو الجامعة وهي مركز علم وثقافة ، فضلاً عن ما لبيوت الله من حرمة وحقوق .

---

(١) نسبة للسطان سليم العثماني المتوفى سنة ٩٢٦ هـ - ١٥٢٠ م .
(٢) نسبة للسلطان سليمان العثماني المتوفى سنة ٩٧٤ هـ - ١٥٦٦ م .

فقامت فئة من الأساتذة والطلاب بمحاولة افتتاح المسجد ، وإقامة الصلاة فيه ، وقوبلت بإهمال بعض المسؤولين ، وتآمر البعض الآخر ، ثم جرت محاولة لافتتاحه نادٍ للطلاب ، وبدأ بإصلاحه على هذا الأساس وقد اشترك في هذه المؤامرة عدد ممن كان لا خلاق لهم ، وتولى كبر ذلك أو كان الوجه الظاهر ، مدير شؤون الطلاب الدكتور (ن - ح).

وقبل افتتاح النادي ، اقتحم الشباب المؤمن المكان ، وألقوا ما به من أدوات اللهو ، وطمسوا الصور التي كانت من العصر الفرنسي ، ووضعوا منبراً وفرشوه بالسجاجيد والبسط والحصر ، وأقاموا به الصلاة ، واعتصموا بداخله بتناوب ، الأمر الذي أسقط كل حسابات الضالين ، فأقام المفسدون ضجة مستغلين شعور الفاسقين من الحكام ، ومحاولين إثارة النعرة الطائفية ، ولكن الله رد كيدهم في نحورهم .

ومن المؤسف أن بعض المسؤولين في الجامعة ، ودار الفتوى والأوقاف يومها ، وقفوا بخزي يجللهم إلى يوم القيامة .

وبعد ذلك استمرت الجهود ، وأقيمت الجمعة ، وتوالى على الخطبة أول الأمر الدكتور الشيخ مصطفى السباعي ، والأستاذ علي الطنطاوي ، والأستاذ عصام العطار وغيرهم[١] .

---

(١) وأنني اسجل من ذاكرتي من سمعت خطبهم في مسجد الجامعة ، وقد غاب=

وأقيمت في باحة الجامعة صلاة العيد مرتين عملاً بالسنة الشريفة ـ وكانت الجامعة يومها تعتبر خارج المدينة ـ . وبعد ذلك انتقلت الصلاة إلى خارج المدينة في آخر خط المهاجرين، حيث اقيمت صلاة الاستسقاء سنة ١٩٦٠ م وخطب الاستاذ

---

= عني من لم أحضر خطبهم، لسبب السفر والغياب عن دمشق، وأذكرهم عفوا الخاطر، فمنهم العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار، والاستاذ محمد سعيد الطنطاوي، والدكتور هيثم حمدي الخياط، والدكتور الشيخ محمد الصباغ، والدكتور أديب صالح، والقاضي الشرعي الشيخ محمد الشماع، والاستاذ محمود مهدي الاستانبولي، والاستاذ الفضيل الورتلاني، والدكتور المحدث تقي الدين الهلالي، والعلامة الشيخ بشير الابراهيمي (رئيس جمعية علماء الجزائر)، والاستاذ محمد عمر الداعوق (البيروتي)، والأستاذ سعيد سيد رمضان (المصري)، والأستاذ سعيد رمضان البوطي، والاستاذ محمد عيد... والشيخ عبد القادر الارناؤوط، والاستاذ عبد الرحمن الباني، والاستاذ خليل الحامدي (معتمد دار العربية في باكستان)، والعلامة الشيخ أبي الحسن الندوي، والاستاذ عبد البديع صقر، والدكتور حسن هويدي، والشيخ يوسف القرضاوي، والاستاذ مصطفى الصيرفي، والدكتور محمد الهواري، والاستاذ محمد خير الجلاد، والشيخ محمد علي مشعل، والدكتور أحمد الشيخ (المصري)، والدكتور عز الدين ابراهيم، والشيخ محمد الصواف، والشيخ سعدي ياسين، والشيخ محمد حامد (الحموي)، والاستاذ أحمد راتب... والشيخ عبد الغني الدقر، والشيخ مصطفى زرقا، والشيخ عبدالله قلقيلي (مفتي الأردن) والعلامة الشيخ محمد أبو زهرة، وعدد من طلاب الجامعة.

والأستاذ سيد قطب ظناً فقد زار دمشق، سنة ١٩٥٣ واستقبل من الجامعة استقبالاً كبيراً وألقى عدداً من المحاضرات، وكنت والاستاذ عصام العطار في مصر وجاء وحدثنا عن اعجابه بما شاهد في دمشق من نهضة كان يحجبها حكم الشيشكلي العسكري.

علي الطنطاوي ، واستجاب الله للناس ونزل الغيث في نفس اليوم .

واستمر الكيد للمسجد يقوى حيناً ويضعف حيناً آخر بمختلف الأساليب ، وكان أشدها تضييقاً أيام الحكم الديكتاتوري العسكري في عهد أديب الشيشكلي ، ولكن الصلوات والجمعة لم تنقطع في المسجد[1] .

بل أضيف إليه قاعة اخرى ضمن مبنى الجامعة ، مصلى للنساء ، وقد بارك الله بجهود الأخوات المؤمنات ، فأصبحت الجامعة من ذاك اليوم مركز هداية وتستر بعد أن كانت كباقي الجامعات .

كما قامت في المسجد المحاضرات الأسبوعية ، والمناسبات والدروس لا أقول الوعظية فقط بل التي تهتم بشؤون المسلمين في جميع بقاع الأرض ، وتنتهز لذلك الفرص للاستماع لأي عالم أو مصلح يمر بدمشق .

(١) وقد جرت مضايقات للعلامة الشيخ علي الطنطاوي لخطبة ألقاها شدد فيها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
كما لوحق الأستاذ محمد الصباغ للقبض عليه، مما دعاه للتواري عن الأنظار مدة طويلة من أجل خطبة نصح فيها الحكام وبين عوارهم . وكذلك لوحق عدد كبير من مسؤولي اللجنة أو رواد المسجد مرات متعددة .

وبلغت خطب الجمعة في خلال السنوات ١٩٥٦ - ١٩٦٣ أوجها حيث كان الاستاذ عصام يلقي الخطب العلمية مع العروج على النواحي الاجتماعية والسياسية والحياتية في البلد. وازداد الحضور لسماع الخطبة من دمشق وما حولها والمدن السورية على الأربعين ألف مستمع أحياناً.

**هذه الرسائل :**

أول ما فُكر بطبع هذه الرسائل كانت الغاية منه أن تطبع الخطب التي تُلقى في مسجد الجامعة على أن تكون هذه الخطب معدة ومدروسة وفق منهج وضع واتفق عليه ، وبوشر بتسجيل هذه الخطب على هذا الأساس .

وقد انطبق هذا الشرط على عدد من الرسائل التي نُشرت ضمن هذه المجموعة ، وعلى عدد آخر لم ينشر ، أو نشر برسائل مفردة ، أو أدخل في كتب أصحابها أو في مجلات ودوريات .

ولكن جرت الرياح بغير ما يشتهي السَّفِنُ [1] ، فكانت بعض الخطب على غير المنهج الذي وضع ، والبعض الآخر لا يلتزم موضوعاً معيناً ، أو **تطغى** الاستطرادات على الموضوع المراد ، وأحياناً لم يكن الظرف مواتياً لنشر تلك الخطبة في رسالة .

(١) أي صاحب وراكب السفينة .

وهذه الرسائل ليست على درجة واحدة في تأدية الغرض منها ، أو في أسلوبها ، وطريقة عرضها ، وأحياناً كان ينفرد أحد الأخوة باختيار الرسالة وطبعها دون الرجوع إلى اخوانه اعضاء اللجنة ، أو إلى الذين كانوا مكان ثقتها ومحل استشارتها ، والانفراد بالعمل لا بد أن يتعثر ، والخطأ فيه أكثر ، وصدق رسول الله ﷺ : «يد الله على الجماعة»[1] .

غير أنه هناك رسالة طبعت برقم (٤٣) باسم «على مفترق الطرق» اعداد لجنة مسجد الجامعة، وهي في طبعتنا هذه ج ٢ صفحة ٢٠٥ ، وهي رسالة علمية واعية مفيدة، وإذا عرفنا أن طبعها كان في شوال ١٣٨٢ هـ الموافق للثلث الأول من سنة ١٩٦٣ م . أدركنا السبب لغياب ذكر الكاتب ، وإننا نأمل أن نذكر اسمه في الطبعة القادمة إن شاء الله .

### مقدمات اللجنة

كما أن في هذه الرسائل مجموعة مقدمات ، كتبت كل واحدة منها لرسالة عند الطبع ، فيها تمهيد للموضوع ، أو تعريف بالمؤلف ، أو غير ذلك ، وهذه المقدمات بالجملة نافعة مفيدة ، وعلى الأخص إذا لوحظ الظرف الذي كتبت به كل واحدة ،

(١) «صحيح الجامع الصغير» رقم ٧٩٢١ .

وهي : غالباً لم تنسب لكاتب معين ، وأحياناً كانت توقع باسم لجنة المسجد ، وغالباً ما تكون لأحدهم فقط .

وإن بعض هذه المقدمات تعتبر رسالة مفردة لتماسك موضوعها ووضوح مقصدها.

وإنك ستلاحظ أن بعض كتّاب هذه الرسائل ، قد تغيرت بهم الأحوال مشرقين ومغربين ، أو ارتقت النظرة العلمية أو الاجتماعية لهم ، أو انتقلوا إلى رحمة الله . فإننا حافظنا على ما كانت عليه تلك الأوضاع في الطبعة الأولى لهذه الرسائل ، وهي بذلك تؤرخ لمرحلة فكرية يجب أن يحافظ عليها ما أمكن .

وكانت اللجنة تقترح على الكثيرين الاهتمام في بعض الموضوعات ، أو التأليف بها ، في لقاءات خاصة مستعينة بإخوان لها ، وأحياناً تذكر ذلك في مقدمات رسائلها ، وانظر الرسالة رقم (٣٩) هل في الشرخير (ج ٢ ص ١٦٢) فقد اقترح مؤلف الرسالة الأستاذ سعيد الطنطاوي على اللجنة تكليف من يبحث طريقة الدراسة وما وصلت إليه. . . بعد قوله: «لقد كان الرجل من اسلافنا، يدرس بضع سنوات ليخرج على الدنيا، عملاقاً في عقله، بحراً في علمه، عظيماً في نفسه، يجابه الدنيا ويزلل الفساد، ويصلح العصور.

في حين أن كثيراً من الناس في هذه الأيام ، يدرس الواحد منهم أضعاف الوقت الذي درس فيه ذاك ، ويتعب أكثر مما تعب ثم لا تكون النتيجة إلا ما نرى ونعلم ؟!» انتهى .

أقول: إن هذه الكلمة الجوهرية والاقتراح النافع يجب أن يهتم بها المربون ، والحاجة إليها ما زالت قائمة ، فإن أسلوب التقليد الذي طمس معالم العبقريات ، ما زال ديدن حوله أكثر المدرسين ، وله أنصار غاية في التعصب والتماوت عليه . وإلا فما الذي حال بين الأمة في قرون كثيرة ، وبين شروق شمس أو شموس من الأصالة ، مستمدة نورها من هذا الدين وأصليه الخالدين : القرآن الكريم ، وصحيح السنّة النبوية، بعيداً عن العصبية المذهبية، التي كانت وما تزال من أكبر أسباب الانحطاط والبقاء في ربقة التقليد والجمود عليه. وهذا في نظري أعظم نقطة في اقتراح الاستاذ سعيد الطنطاوي، لأننا في الميادين الأخرى نجد الكثيرين ممن نبغوا.

وهذا الكلام وقد مضى عليه أكثر من ثلاثين سنة ، ما زال موضوعه قائماً ، نأمل أن يلقى من أهل التوجيه والريادة ما يستحق من الاهتمام .

كما أنني وضعت تعليقات ختمتها غالباً بالناشر ، تمييزاً لها عن تعليقات سبق أن وضعت بتوقيع اللجنة في عدد من الرسائل .

كما أن اللجنة لم تكن تقتصر على طلب الرسائل من أصحابها ، أو نقلها من مؤلفاتهم ، بل أحياناً كانت تجري محاورات مع بعض العلماء ، وتسجل أجوبتهم في رسائل ، لاحظ الرسائل ٢٢، ٢٤ ج ١ ص ٣٣١ - ٣٦٧ فإنها كانت اسئلة من اللجنة وجهت للاستاذ الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي.

وهذه الرسائل كانت تباع بثمن زهيد ، (٥ أو ٧، أو ١٠ قروش) ، وما أظن أن واحدة منها وصل إلى ربع ليرة سورية ، وأحياناً كانت تقدم هدية من لجنة المسجد إذ يسر الله من تبرع بثمن طباعة واحدة منها، كما حدث في الرسالة الأولى «يا بنتي» وغيرها.

كما أن اللجنة كانت تعجز أحياناً عن طباعة بعض الرسائل لأنها : (أضخم مما تحتمله ؟ أو ترغم على اختصار الكثير من أحكامها)[1] واعدة برجاء اللقاء إذ أعان الله ووفق وأراد .

وسيلاحظ الأخ الكريم ، أننا قدمنا هذه الرسائل برسالة «يا بنتي» ، فإنها الأولى من هذه المجموعة ، وألحقنا بها مباشرة «يا ابني» لاتحاد الموضوع ، وألحقنا بهما رسالة «الأجوبة النافعة عن اسئلة لجنة مسجد الجامعة» للمحدث الشيخ محمد ناصر الدين الالباني لأنها الأحق في التقديم ، لأسباب منها :

---

(١) انظر آخر الرسالة «مأدبة الشيطان» رقم ٣٠. ج ١ ص ٤٤٢
انظر مقدمة رسالة «رحمة الأمة : الصيام» ج ١ ص ٤٤٥ - ٤٤٦.

١ ـ أنها أول جواب جاء إلى لجنة مسجد الجامعة شافياً كافياً على أسئلتها.

٢ ـ أنها متعلقة بقضايا يحتاجها الشباب المسلم في كل مكان ، في المساجد التي تنشأ على طاعة الله بعيدة عن الخرافة والبدعة والمعتاد من افعال الناس مما لا أصل له.

كما أننا لم نتمكن من الحصول على بعض الرسائل ولذلك انخرم التسلسل الذي كان في الطبعة الأولى ، وهو لا يقدم ولا يؤخر .

ولما كانت هذه الرسائل قد قدمت تبرعاً من أصحابها للمسجد ، فإننا إيماناً منا بحق المؤلف والناشر ، ندعو الأخوة أصحاب هذه الرسائل أو ورثتهم ، لإخبارنا عن الطريقة التي نؤمن فيها حقهم عن هذه الطبعة ، فإنه محفوظ لدى المكتب الإسلامي .

وأما حق الناشر (مسجد الجامعة السورية) فإننا سنبعث بقيمته كتباً توضع في هذا المسجد للنفع العام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

زهير الشاويش

لجنة مسجد الجامعة السورية

قسم النشر

١




للاستاذ

علي الطنطاوي

« الطبعة الثانية »

---

- نموذج الصفحة الاولى من رسالة «يا بنتي» في طبعتها الاولى .

بسم الله الرحمن الرحيم

لجنة

مسجد جامعة دمشق

## رجاء وبيان

السلام عليكم ورحمة الله وبعد :

يرجى من الاخوة المشتركين ان يبادروا الى إعلام اللجنة لدى فقد أي عدد من هذه الرسائل ، أو عند أي تأخر في وصوله ، ليبادر الى تلافي ذلك في المستقبل إن شاء الله .

وواضح أن الاخوة المشتركين ، لاحظوا أن اشتراكهم ـ الذي بدأ في شعبان ١٣٨١ ـ قد انتهى في نهاية رجب ١٣٨٢ ، وأن الأعداد الخمسة التي وصلتهم بعدذلك إنما كان اضافة الى ماقبلها وهدية من لجنة المسجد الى أسرة المسجد ، وكان بود اللجنة ، لو أمكنها ، أن تتابع اصدار الرسائل وارسالها دون مقابل ... إلا أن مالديها من مال قد نضب ، فلا بد لها لمتابعة العمل من توفر المال الذي يحتاجه العمل . لذلك يرجى ممن يرغب من الاخوة الكرام بالحصول على رسائل العام الجديد ـ وستكون رسالة كل اسبوعين ـ ان يرسلوا الى اللجنة بالاشتراك الذي قرر أن يكون ثلاث ليرات .

وأخيراً فاللجنة تشكر من يرسل اليها بملاحظاته او اقتراحاته أو انتقاداته ، حول الرسائل بشكل عام ، او بحوثها بصورة خاصة وما رغب فيه منها ومارغب عنه . وتشكر أيضاً من يساهم ببعض ماله مرسلا هذا او ذاك بعنوان :

( دمشق ـ ص. ب. : ٢٤١٩ : لجنة مسجد جامعة دمشق )

أو توضع في صندوق المسجد ..

لجنة المسجد

---

نموذج مما كانت تنشره اللجنة.

لجنة مهرجان الجامعة السورية

تدعوكم لاستماع الحديث الاول من سلسلة المحاضرات الثقافية الاسلامية التي تنظمها هذا العام، ويلقي هذا الحديث فضيلة الاستاذ الشيخ :

علي الطنطاوي

قاضي دمشق . وذلك عقب صلاة المغرب « في الساعة الرابعة والنصف » من يوم الاثنين ٢٦ صفر عام ١٣٧١ الموافق ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٥١

موضوع الحديث هكذا كان علماؤنا

---

ـ نموذج للبطاقات التي كانت توزع من اللجنة في احتفالاتها .

لجنة مسجد الجامعة السورية

تدعوكم لاستماع الحديث الرابع من سلسلة المحاضرات الثقافية الاسلامية التي تنظمها هذا العام ، ويلقي هذا الحديث الدكتور :

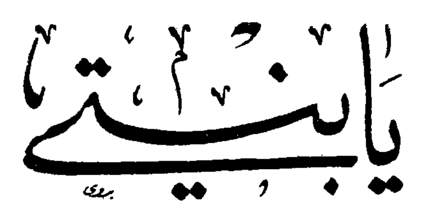
**مصطفى البارودي**

الاستاذ في كلية الحقوق . وذلك عقب صلاة المغرب « في الساعة الخامسة » من يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الآخر عام ١٣٧١ الموافق ٨ كانون الثاني سنة ١٩٥٢

**موضوع الحديث : المواطن في دولة الاسلام**

---

ـ نموذج للبطاقات التي كانت توزع من اللجنة في احتفالاتها .




للأستاذ

علي الطنطاوي



# مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ كلامنا بحمدالله سبحانه وتعالى وشكره على ما حبانا به من عون ورعاية، ونصلي ونسلم على نبيه الكريم وآله وصحبه الطيبين الطاهرين الذين نجد في حياة كل منهم صفحات رائعات لما ينبغي أن يكون عليه المسلم الحق.

وبعد، فها نحن نتقدم إلى أخواننا بطبعة ثانية لأولى رسائلنا [١] ما كنا لنظنها بنافدة في مثل هذه السرعة لولا أن الله قد مَنَّ علينا وحفنا باخوانٍ لنا نشيطين، عقدوا العزم على نشر دعوة الله في الارض، ومثل هذا العمل ليس إلا جزءاً بسيطاً من برنامج هذه الدعوة، يتطلب من كل فرد يعتز بها أن يبذل شيئاً ولو بسيطاً من جهده ووقته وحديثه ليدعو اليها في كل آن انساناً أو ينصح فيها أخاً أو يبشر بها بكلامه وسلوكه في كل مجتمع حل فيه.

ولقد كنا تكلمنا في مقدمة طبعتنا الاولى عن واقعنا في الجامعة، وكيف أن فيها للاسلام ـ بحمدالله ـ اتباعاً وجنوداً حاولت لجنة

(١) أي رسائل مسجد الجامعة في طبعتها الأولى.

المسجد منذ أقامت الصلوات والخطب والمحاضرات في المسجد أن يكون عملها تنظيماً لشتيت الاعمال وتركيزاً لمتفرق الجهود.

وهذه الرسالة التي كانت بداءة خيرة طيبة لعمل النشر في اللجنة فيها علاج طيب لمشكلة من المشاكل التي نعانيها في حياتنا الاجتماعية التي تأثرت بحضارة الغرب أعمق تأثير

ونحن هنا نجدد العهد لله أن نمضي - بإذنه - في طريقنا لا يعوقنا عائق، ندعو الله، ونجاهد في سبيله حتى تكون كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

**غرة المحرم الحرام ١٣٧٥**

**لجنة المسجد**




يا بنتي؛ أنا رجل يمشي إلى الخمسين، قد فارق الشباب وودع أحلامه وأوهامه، ثم إني سحت في البلدان، ولقيت الناس، وخبرت الدنيا، فاسمعي مني كلمة صحيحة صريحة من سني وتجاربي، لم تسمعيها من غيري. لقد كتبنا ونادينا ندعو إلى تقويم الأخلاق، ومحو الفساد، وقهر الشهوات حتى كلت منا الأقلام، وملت الالسنة، وما صنعنا شيئاً، ولا أزلنا منكراً، بل إن المنكرات لتزداد، والفساد ينتشر، والسفور والحسور والتكشف تقوى شرته، وتتسع دائرته، ويمتد من بلد الى بلد، حتى لم يبق بلد إسلامي ( فيما أحسب ) في نجوة منه، حتى الشام التي كانت فيها الملاءة السابغة، وفيها الغلو في حفظ الأعراض، وستر العورات، قد خرج نساؤها سافرات حاسرات، كاشفات السواعد والنحور. . . .

ما نجحنا وما أظن أننا سننجح. أتدرين لماذا؟

لأننا لم نهتد إلى اليوم إلى باب الاصلاح، ولم نعرف طريقه. إن باب الاصلاح أمامك أنت يا بنتي، ومفتاحه بيدك، فاذا آمنت بوجوده، وعملت على دخوله، صلحت الحال. صحيح أن الرجل

هو الذي يخطو الخطوة الأولى في طريق الإثم، لا تخطوها المرأة أبداً، ولكن لولا رضاك ما أقدم، ولولا لينك ما اشتد، أنت فتحت له وهو الذي دخل، قلت للص: تفضل... فلما سرقك اللص، صرخت أغيثوني يا ناس سرقت... ولو عرفت ان الرجال جميعاً ذئاب وأنت النعجة، لفررت منهم فرار النعجة من الذئب، وأنهم جميعاً لصوص، لاحترست منهم احتراس الشحيح من اللص.

وإذا كان الذئب لا يريد من النعجة إلا لحمها، فالذي يريده منك الرجل أعز عليك من اللحم على النعجة، وشر عليك من الموت عليها، يريد منك أعز شيء عليك: عفافك الذي به تشرفين، وبه تفخرين، وبه تعيشين، وحياة البنت التي فجعها الرجل بعفافها، أشد عليها بمئة مرة، من الموت على النعجة التي فجعها الذئب بلحمها... إي والله، وما رأى شاب فتاة إلا جردها بخياله من ثيابها ثم تصورها بلا ثياب.

إي والله! أحلف لك مرة ثانية، ولا تصدقي ما يقوله بعض الرجال، من أنهم لا يرون في البنت إلا خلقها وأدبها، وأنهم يكلمونها كلام الرفيق، ويودونها ود الصديق كذب والله، ولو سمعت أحاديث الشباب في خلواتهم، لسمعت مهولاً مرعباً، وما يبسم لك الشاب بسمة، ولا يلين لك كلمة، ولا يقدم لك خدمة، إلا وهي عنده تمهيد لما يريد، أو هي على الأقل إيهام لنفسه أنها تمهيد!.

وماذا بعد؟ ماذا يا بنت؟ فكري!.

تشتركان في لذة ساعة، ثم ينسى هو، وتظلين أنت أبداً تتجرعين غصصها، يمضي ( خفيفاً ) يفتش عن مغفلة أخرى يسرق منها عرضها، وينوءبك (١) أنت ( ثقل ) الحمل في بطنك، والهم في نفسك، والوصمة على جبينك، يغفر له هذا المجتمع الظالم، ويقول شاب، ضل ثم تاب وتبقين انت في حماة الخزي والعار طول الحياة، لا يغفر لك المجتمع أبداً.

ولو أنك إذ لقيته نصبت له صدرك، وزويت عنه بصرك، وأريته الحزم والاعراض... فاذا لم يصرفه عنك هذا الصد، وإذا بلغت به الوقاحة أن ينال منك بلسان أو يد، نزعت حذاءك من رجلك، ونزلت به على رأسه ـ لو أنك فعلت هذا ـ لرأيت من كل من يمر في الطريق عوناً لك عليه، ولما جرؤ بعدها فاجر على ذات سوار، ولجاءك ( إن كان صالحاً ) تائباً مستغفراً، يسأل الصلة بالحلال: جاءك يطلب الزواج.

والبنت، مهما بلغت من المنزلة والغنى والشهرة والجاه، لا تجد البنت أملها الأكبر وسعادتها إلا في الزواج، في أن تكون زوجاً صالحة، وأماً موقرة، وربة بيت. سواء في ذلك الملكات والأميرات، وممثلات هوليود ذوات الشهرة والبريق الذي يخدع كثيرات من النساء. وأنا أعرف أديبتين كبيرتين في مصر والشام، أديبتين حقاً، جمع لهما المال والمجد الأدبي، ولكنهما فقدتا الزوج

---

(١) هذا هو التعبير الافصح. قال تعالى : ﴿ما إنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة﴾.

ففقدتا العقل وصارتا مجنونتين، ولا تحرجيني بسؤالي عن الاسماء إنها معروفة!.

الزواج أقصى أماني المرأة ولو صارت عضوة البرلمان، وصاحبة السلطان. والفاسقة المستهترة لا يتزوجها أحد. حتى الذي يغوي البنت الشريفة بوعد الزواج، ان هي غوت وسقطت تركها وذهب، اذا أراد الزواج - فتزوج غيرها من الشريفات - لأنه لا يرضى أن تكون ربة بيته، وأم بنته، امرأة ساقطة!.

والرجل وإن كان فاسقاً داعراً، إذ لم يجد في سوق اللذات، بنتاً ترضى ان تريق كرامتها على قدميه، وأن تكون لعبة بين يديه، إذا لم يجد البنت الفاسقة أو البنت المغفلة، التي تشاركه في الزواج على دين إبليس، وشريعة القطط في شباط، طلب من تكون زوجته على سنة الاسلام. فكساد سوق الزواج منكن يا بنات، لو لم يكن منكن الفاسقات ما كسدت سوق الزواج ولا راجت سوق الفجور... فلماذا لا تعملن، لماذا لا تعمل شريفات النساء على محاربة هذا البلاء؟ أنتن أولى به وأقدر عليه منا لأنكن أعرف بلسان المرأة، وطرق إفهامها، لأنه لا يذهب ضحية هذا الفساد إلا أنتن: البنات العفيفات الشريفات البنات الصيِّنات الدينات. في كل بيت من بيوت الشام بنات في سن الزواج لا يجدن زوجاً، لأن الشباب وجدوا من الخليلات ما يغني عن الحليلات، ولعل مثل هذا في غير الشام أيضاً... فالفن جماعات منكن من الاديبات والمتعلمات ومدرسات المدرسة وطالبات الجامعة تعيد اخواتكن

الضالات الى الجادة، خوفنهن الله، فان كن لا يخفنه، فحذرنهن المرض، فان كن لا يحذرنه، فخاطبهن بلسان الواقع، قلن لهن: إنكن صبايا جميلات فلـذلك يقبـل الشبـاب عليكن، ويحومـون حولكن، ولـكن هل يدوم عليكن الصبـا والجمال؟ ومتـى دام في الدنيا شيء حتى يدوم على الصبية صباها وعلى الجميلـة جمالهـا؟ فكيف بكن اذا صرتن عجائز محنيات الظهور، مجعدات الوجوه؟! من يهتم يومئذ بكن؟ ومن يسأل عنكن؟ أتعرفن من يهتم بالعجوز ويكرمها ويوقرها؟ أولادها وبناتها، وحفدتها وحفيداتها. هنـالك تكون العجوز ملكة في رعيتها، ومتوجـة على عرشهـا على حـين تكون (الأخرى. . .) - أنتن أعرف بما تكون عليه!

فهل تساوي هذه اللذة تلك الآلام؟ وهل تشتري بهذه البداية تلك النهاية؟

وأمثال هذا الكلام، لا تحتجن إلى من يدلكن عليه ولا تعدمن وسيلة إلى هداية اخواتكن المسكينات الضالات فإن لم تستطعن ذلك معهن، فاعملن على وقاية السالمات من مرضهن، والناشئات الغافلات من أن يسلكن طريقهن.

* * *

وأنا لا أطلب منكن ان تعدن بالمرأة المسلمة اليوم، بوثبة واحدة الى مثل ما كانت عليه المرأة المسلمة حقاً، لا وإني لأعلم أن الطفرة مستحيلة في العادة، ولكن أن ترجعن إلى الخير خطوة خطوة، كما أقبلتن على الشر خطوة خطوة، انكن قصرتن الثياب شعرة شعرة،

ورفعتن الحجاب، وصبرتن الدهر الأطول، تعملن لهذا الانتقال والرجل الفاضل لا يشعر به، والمجلات الداعرة تحث عليه والفساق يفرحون به، حتى وصلنا إلى حال لا يرضى بها الاسلام، ولا ترضى بها النصرانية، ولم يعملها المجوس الذين نقرأ أخبارهم في التاريخ، الى حال تأباها الحيوانات.

ان الديكين اذا اجتمعا على الدجاجة اقتتلا غيرة عليها وذوداً عنها، وعلى الشواطيء في الاسكندرية وبيروت رجال مسلمون، لا يغارون على نسائهم المسلمات أن يراهن الأجنبي، لا أن يرى وجوههن... ولا اكفهن... ولا نحورهن... بل كل شيء فيهن! كل شيء الا الشيء الذي يقبح مرآه ويجمل ستره، وهو حلقتا العورتين، وحلمتا الثديين... وفي النوادي والسهرات ( التقدمية ) الراقية، رجال مسلمون يقدمون نساءهم المسلمات للاجنبي ليراقصهن، يضمهن حتى يلامس الصدر الصدر، والبطن البطن، والفم الخد، والذراع ملتوية على الجسد، ولا ينكر ذلك أحد، وفي الجامعات المسلمة شباب مسلمون يجالسون بنات مسلمات متكشفات باديات العورات، ولا ينكر ذلك الآباء المسلمون ولا الأمهات المسلمات، وأمثال هذا.

وأمثال هذا كثير، لا يدفع في يوم واحد، ولا بوثبة عاجلة، بل بان نعود الى الحق، من الطريق الذي وصلنا منه الى الباطل، ولو وجدناه الآن طويلا ـ وإن من لا يسلك الطريق الطويل الذي لا يجد غيره لا يصل أبداً ـ وأن نبدأ بمحاربة الاختلاط، والاختلاط

غير السفور، وأنا لا أمنع من كشف الوجه، أن كان لا يتحقق بكشفه الضرر على الفتاة والعدوان على عفافها، وأراه عند أمن الفتنة خيراً من هذا الذي نسميه في بلاد الشام حجاباً، وما هو إلا ستر للمعايب، وتجسيم للجمال، واغراء للناظر.

السفور أن اقتصر على الوجه ـ كما خلق الله الوجه ـ نقبل به وإن كنا نرى الستر أحسن وأولى. أما الاختلاط فشيء آخر، وليس يلزم من السفور أن تختلط الفتاة بغير محارمها، وأن تستقبل الزوجة السافرة صديق زوجها في بيتها، أو أن تحييه ان قابلته في الترام، أو لقيته في الشارع، وان تصافح البنت رفيقها في الجامعة، أو أن تصل الحديث بينها وبينه، أو أن تمشي معه في الطريق، وتستعد معه للامتحان، وتنسى أن الله جعلها أنثى وجعله ذكراً، وركب في كل الميل الى الآخر، فلا تستطيع هي ولا هو ولا أهل الارض جميعاً، أن يغيروا خلقة الله، وأن ( يساووا ) بين الجنسين، أو أن يمحوا من نفوسهم هذا الميل، وإن دعاة المساواة والاختلاط باسم المدنية قوم كذابون من جهتين: كذابون لأنهم ما أرادوا من هذا كله الا إمتاع جوارحهم، وارضاء ميولهم، واعطاء نفوسهم حظها من لذة النظر، وما يأملون به من لذائذ أخر؛ ولكنهم لم يجدوا الجرأة على التصريح به، فلبسوه بهذا الذي يهرفون به من هذه الألفاظ الطنانة، التي ليس وراءها شيء: التقدمية، والتمدن، والحياة الجامعية، وهذا الكلام الفارغ ( على دويه ) من المعنى فكأنه الطبل. . .

وكذابون لأن أوربة التي يأتمرون بها، ويهتدون بهديها ولا يعرفون الحق إلا بدمغتها عليه، فليس الحق عندهم الذي يقابل الباطل، ولكن الحق ما جاء من هناك: من باريس ولندن وبرلين ونيويورك، ولو كان الرقص والخلاعة، والاختلاط في الجامعة، والتكشف في الملعب والعري على الساحل [1]، والباطل ما جاء من هنا: من الأزهر والأموي وهاتيك المدارس الشرقية، والمساجد الاسلامية ولو كان الشرف والهدى والعفاف والطهارة، طهارة القلب وطهارة الجسد. ان في اوروبا وفي أميركا، كما قرأنا وحدثنا من ذهب اليهما، أسراً كثيرات، لا ترضى بهذا الاختلاط ولا تسيغه، وان في باريز (في باريس يا ناس) آباء وأمهات لا يسمحون لبنتاتهم الكبيرات أن يسرن مع شاب، أو يصحبنه الى السينما، بل هم لا يدخلونهن الا الى روايات عرفوها، وأيقنوا بسلامتهم من الفحش والفجور، اللذين لا يخلو منهما مع الأسف واحد من هذه (التهريجات) والصبيانيات السخيفة التي تسميها شركات مصر الهزيلة الرقيعة الجاهلة بالفن السينمائي مثل جهلها بالدين، تسميها افلاماً!

يقولون: ان الاختلاط يكسر شره الشهوة، ويهذب الخلق، وينزع من النفس هذا الجنون الجنسي. وأنا أحيل في الجواب على من جرب الاختلاط في المدارس، روسيا التي لا تعود الى دين، ولا

(١) ومن هنالك أيضاً جاءت دولة اسرائيل!

تسمع رأي شيخ ولا قسيس، ألم ترجع عن هذه التجربة لما رأت فسادها؟

وأميركا، ألم تقرؤوا أن من جملة مشاكل امريكا، مشكلة ازدياد نسبة ( الحامـلات ) من الطالبـات؟ فمن يسره ان يكون في جامعات مصر والشام، وسائر بلاد الاسلام مثل هذه المشكلة؟

وأنا لا أخاطب الشباب، ولا أطمع في ان يسمعوا الي وانا اعلم انهم قد يردون علي ويسفهون رأيي، لأني أحرمهم من لذائـذ ما صدقوا أنهم قد وصلوا اليها حقاً، ولكن أخاطبكن أنتن يا بناتي.

يا بناتي المؤمنات الدينات، يا بناتي الشريفات العفيفات، انه لا يكون الضحية الا أنتن، فلا تقدمن نفوسكن ضحايا على مذبح ابليس، لا تسمعن كلام هؤلاء الذين يزينون لكن حياة الاختلاط باسم الحرية والمدنية والتقدمية والحياة الجامعية، فان اكثر هؤلاء الملاعين لا زوجة له ولا ولد، ولا يهمه منكن جميعاً الا اللـذة العارضة، اما انا فاني ابو اربع بنات، فانا حين أدافع عنكن أدافع عن بناتي، وانا اريد لكن من الخير ما أريده لهن.

انه لا شيء مما يهرف به هؤلاء يرد على البنت عرضها الذاهب، ولا يرجع لها شرفها المثلوم، ولا يعيد لها كرامتها الضائعـة، واذا سقطت البنت لم تجد واحداً منهم يأخذ بيدهـا، أو يرفعهـا من سقطتها، انما تجدهم جميعاً يتراحمون على جمالها، ما بقي فيها جمال، فاذا ولى ولوا عنها كما تولى الكلاب عن الجيفة التي لم يبق فيها مزعة لحم!

* * *

هذه نصيحتي اليك يا بنتي، وهذا هو الحق فلا تسمعي غيره، واعلمي ان بيدك انت، لا بأيدينا معشر الرجال بيدك مفتاح باب الاصلاح، فاذا شئت اصلحت نفسك واصلحت بصلاحك الأمة كلها.

والسلام عليك ورحمة الله

**علي الطنطاوي**

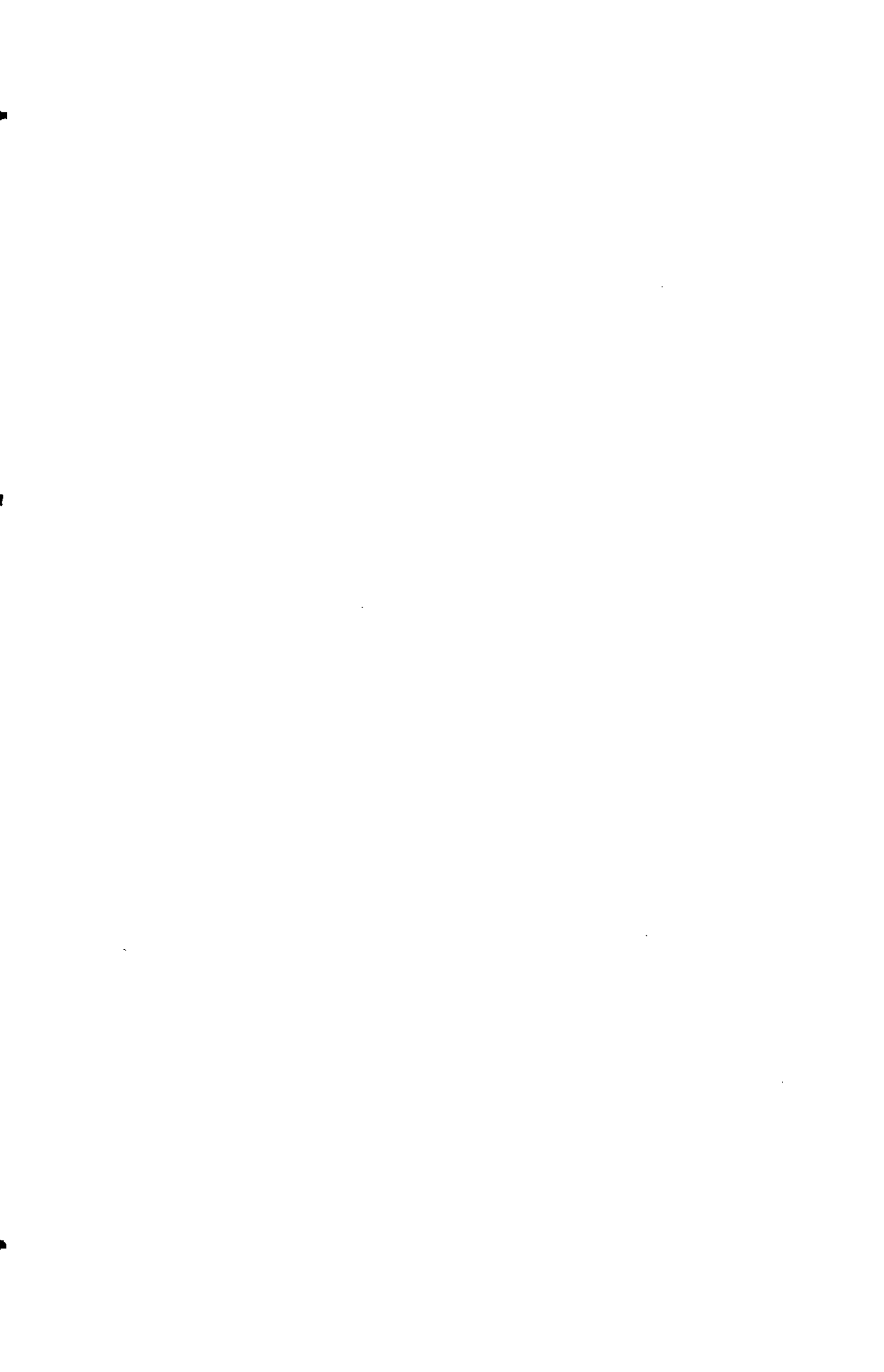




للأستاذ

علي الطنطاوي


« رجب ١٣٧٤ »



# مُقـدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

للأوائـل في تاريخ مسجـد الجامعـة علاقـة وثقـى باستاذنـا الطنطاوي، فقد كانت أول خطبة في المسجد للاستاذ علي، وأول مذاعه، كما كانت أول محاضرة له، وقد افتتح قسم النشر نشراته بـ ( يا بنتي ) التي وجهها الى الفتاة المسلمة.. وهـا نحـن الآن ننشر هذه الرسالة التي يوجهها إلى الشاب المسلم.

والواقع ان للعقائديين طرقاً مختلفة للتوصل الى دفع الشبـاب للأيمان بأفكارهم تتركز هذه الوسائط في النهاية في نقطة واحدة هي نزع الايمان بالله من نفوسهم. وإنما يمكنهم الوصول الى ذلك في هذه السن عن طريق الانحلال الخلقي، ذلك لأن الشاب اذا جاز هذا الطريق وجد في وجهه عقبة الاوامر الالٓهية. فضعف ايمانه بها ثم نبذها فانهار بذلك هذا المعـدل وأصبـح هو ريشـة تتقاذفهـا الأهواء وتلعب بها المذاهب!. ولم يكن هؤلاء ليصلوا الى غايتهم لولا أن الشاب في هذه المرحلة يجد نفسه على عتبة حياة جديدة، وتتفتح أمامه آفاق لا يعرف عنها أي شيء ويجهل عنها كل شيء.. فاذا لم يجد دليلا له يرشده ويوجهـه اندفـع في تيار هذه الآفـاق متخبطاً، فكانت النتيجة الحتمية لذلك ان يضل، فاذا ضل كانت

كل محاولة لانتشاله فاشلة، وعدَّ كل من يحاول القيام بها عدواً، والدين يحاول الأخذ بيده فيفر من طريقه وينفر منه. ولقد يجد في طريقه ذاك بعض سابقيه من الضالين فيزيدون في ضلاله. أو يصادف بعض المضلِّين فيتمادى في انحرافه.. وهكذا تكون مكيدة ابليس قد أفلحت في انتزاع هذا الشاب من بيئة الفضيلة والالقاء به في حمأة الآفاق والشرور!..

ولكنا نريد أن ننتزع هذا الشاب قبل أن يلج في ذاك الطريق!! نريد أن نوضح له الطريق السوي.. ونبين له المفر من هذه العاطفة الجموح... نريد أن نستغل طاقاته في طريق الخير ونصرف مكناته في سبيل الله! ولهذا نلجأ الى أستاذنا الاجتماعي الكبير ليقدم لنا رسالة موجزة في ذلك!.

إن نريد إلا الاصلاح ما استطعنا.. وما توفيقنا إلا بالله!.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

رجب ١٣٧٤

لجنة المسجد

# يا إبني

إلى السيد « م. أ » من « الاسماعيلية » بمصر الذي كتب إليَّ واستحلفني أن اقرأ كتابه، وأن أردَّ عليه

لماذا « تكتب إليَّ على تردد واستحياء »؟ أتحسب أنك أنت وحدك، الذي يحسّ هذه الوقدة في أعصابه من ضَرَم الشهوة، وأنك أنت وحدك الذي أختُصَّ بها دون الناس أجمعين؟

لا، يا ابني « هوّن عليك، فليس الذي تشكو داءَك وحدك، ولكنه ( داء الشباب )، وقد كتبت فيه [1] قديماً وحديثاً، ولولا اني لا احب الحديث المعاد، ولا أقتني ( مع الأسف )، إلا الأقل من مقالاتي القديمة لنقلها اليك، أو لأحلتك عليها. ولئن أرَّقك هذا الذي تجد وأنت في السابعة عشرة، فلطالما أرَّق كثيرين غيرك، صغاراً وكباراً، ولطالما نفى عن عيونهم لذيذ الكرى، ولطالما صرف عن دروسه التلميذَ، وعن عمله العامل، وعن تجارته التاجر، وما الحب الذي امتنَّ في وصفه الشعراء، وفي تحليله الأدباء، إلا ما تجده انت سواء بسواء، ولكنك أخذته مجرداً مكشوفاً، فعرفه الناس فلم يخدعوا عنه، واخذوه فلفوه بمثل ورق ( الشكلاطة )

---

( ١ ) في ( الرسالة ) سنة ١٩٣٨ ( كما أظن ) بعنوان، ( داء الشباب ) وفي كثير جداً من كلماتي الصغار في ( النصر ) و( الأيام ).

ليخدعوا عن حقيقته الناس، وشربت بفيك من الينبوع، وشربوا بالكأس المذهبة الحواشي، والماء في كأس ابي نواس التي أقام في فرارتهـا كسرى، كالماء في السـاقية، والشهـوة في رسالتـك إلي، كالشهوة في غزل الشعراء، وشعر الغزليين، ولوحات المصورين، وألحان المغنين، ولكن الضمير هاهنا بارز ظاهر. والضمير هنالك مستتر خفي، وشر الداء ما خفي واستتر!

إنه ما أشرف على مثل سنك أحد إلا توقّد في نفسه شيء كان خامداً، فأحس حره في اعصابـه، وتبدلـت في عينـه الـدنيا غـير الدنيا، والناس غير الناس، فلم يعد يرى المرأة على حقيقتها انساناً من لحم ودم، له ما للانسان من المزايا وما فيه من العيوب، ولكن أملا فيه تجتمع الآمال كلها، وأمنية فيها تلتقي الاماني، ويلبسها من خيال غريزته ثوباً يخفي عيوبها ويستر نقائصها، ويبرزها تمثالا للخير المحض والجمال الكامل، ويعمل منها ما يعمل الوثني من الحجر: ينحته بيده صنماً، ثم يعبده بطوعه رباً! ان الصنم للوثني رب من حجر، والمرأة للعاشق وثن من خيال!

كل هذا طبيعي [1] معقول، ولكن الذي لا يكون ابداً طبيعياً ولا معقولا، أن يحس الفتى بهذا كله في سن خمس عشرة، أو ست عشرة سنة، ثم يضطره اسلوب التعليم إلى البقاء في المدرسـة إلى سن العشرين او خمس وعشرين.

---

( ١ ) طبيعي هي الدائرة على أقلام البلغاء من القدم، وإن كان القياس طبَعي.

فماذا يصنع في هذه السنوات، وهي أشد سني العمر اضطرام شهوة، واضطراب جسد، وهياجاً وغلياناً؟

ماذا يصنع؟

هذه هي المشكلة!

أما سنة الله، وطبيعة النفس، فتقول له: تزوج.

وأما أوضاع المجتمع وأساليب التعليم فتقول له: إختر احدى ثلاث كلها شر، ولكن إياك ان تفكر في الرابعة التي هي وحدها الخير، وهي الزواج...

إما أن تنطوي على نفسك، على أوهام غريزتك واحلام شهوتك، تدأب على التفكير فيها، وتغذيها بالروايات الداعرة، و( الافلام ) الفاجرة، والصور العاهرة، حتى تملأ وحدها نفسك، وتستأثر بسمعك وبصرك، فلا ترى حيثما نظرت إلا صور الغيد الفواتن، تراهن في كتاب الجغرافيا إن فتحته، وفي طلعة البدر إن لمحته، وفي حمرة الشفق وفي سواد الليل، وفي أحلام اليقظة وفي رؤى المنام.

أريد لأنسى ذكرها فكأنما
تمثَّل لي ليلي بكل سبيل

ثم لا تنتهي بك الحال إلا الى الهوس أو الجنون أو انهيار الأعصاب.

وإما أن تعمد إلى ما يسمونه اليوم ( الاستمناء ) وقد كان يسمى قديماً غير هذا، وقد تكلم في حكمه الفقهاء، وقال فيه

الشعراء، وكان له في كتب الآداب باب، لا أحب أن أدل عليه أو أرشد اليه، وهو وإن كان أقل الثلاثة شراً، وأخفها ضراً [1]؛ لكنه إن جاوز حده ركب النفس بالهم، والجسم بالسقم، وجعل صاحبه الشاب كهلا محطماً، كئيباً، مستوحشاً، يفر من الناس، ويجبن عن لقائهم، ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها، وهذا حكم على المرء بالموت وهو في رباط الحياة.

وإما أن تغرف من حمأة اللذة المحرمة، وتسلك سبل الضلال، وتؤم بيوت الفحش، تبذل صحتك وشبابك ومستقبلك ودينك في لذة عارضة، ومتعة عابرة، فاذا أنت قد خسرت الشهادة التي تسعى اليها و( الوظيفة ) التي تحرص عليها، والعلم الذي أمّلت فيه، ولم يبق لك من قوّتك وفتوتك ما تضرب به في لجّ العمل الحرّ.

ولا تحسب بعد أنك تشبع، كلا إنك كلما واصلت واحدة زادك الوصال نهماً كشارب الماء الملح [2] لا يزداد شرباً إلا ازداد عطشاً، ولو انك عرفت آلافاً منهن ثم رأيت أخرى متمنعة عليك، معرضة عنك، لرغبت فيها وحدها، وأحسست من الالم لفقدها مثل الذي يحسه من لم يعرف امرأة قط، وهاك ( فاروق ) مثلاً!

وَهَبْكَ وجدت منهن كل ما طلبت، ووسعك السلطان والمال،

---

( ١ ) لست أدعو اليها ولكن أقرر حقيقة قررها كثير من كبار الأطباء ووافقوا فيها رأي الفقهاء من الحنفية في الجملة.

( ٢ ) الماء الملح: أي المالح.

فهل يسعك الجسد؟ وهل تقوى الصحة على حمل مطالب الشهوة؟ دون ذلك وتنهار أقوى الأجساد، وَكم من رجال كانوا أعاجيب في القوة وكانوا أبطالاً في الرَّبع والصرع والرمي والسَّبق، ما هي إلا أن استجابوا إلى شهواتهم، وانقادوا الى غرائزهم، حتى أمسوا حطاماً. . .

إن من عجائب حكمة الله، أنه جعل مع الفضيلة ثوابها؛ الصحة والنشاط، وجعل مع الرذيلة عقابها، الانحطاط والمرض، ولربّ رجل ما جاوز الثلاثين يبدو مما جار على نفسه كابن ستين، وابن ستين يبدو من العفاف كشاب في الثلاثين، ومن أمثال الافرنج التي سمعناها وهي حق وصدق: من حفظ شبابه حفظ له شيخوخته.

ولو ترك الرجل لغريزته، ولم تكن هذه المغريات من الصور والروايات والأفلام، وتكشّف النساء وشيوع الفاحشة، لما هاجت به الغريزة إلا مرة أو مرتين في الشهر والشهرين، لأن من القواعد الثابتة في العلم أنه كلما ارتقى الحيوان ( والانسان هنا حيوان )في سلَّم التطور، قلَّ عنده السفاد وطال الحمل، فالديك والدجاجة يتسافدان كل يوم لأن مدة الحمل ( بالبيضة ) يوم واحد، أما القط ( وهو من ذوات الاثداء ) فيسافد القطة مرة أو مرتين في السنة لأن حملها مرة في السنة أو مرتان؟ وأظن أن الانسان أرقى من القط، فلماذا يكون للقط موسم واحد، هو عندنا شباط ( فبراير ) وتكون شهور السنة كلها شباط عند بعض الناس؟ لهذه المغريات!

فالبلاء كلمة من هذه المغريات، من دعاة الشر ورسل ابليس، الذين يزينون للمرأة التكشف والتبرج والاختلاط باسم المدنية والتقدمية والنهضة النسائية، وما يُعْنون بالمرأة إلا كعناية الجزار بالنعجة: يطعمها ويدفع عنها ويحميها ويسمنها، ولكن للذبح. . . والذين دأبوا على نشر صور العاريات في مجلاتهم من الممثلات الاجنبيات أولاً، ثم من بنات المدارس بدعوى الرياضة، ونساء السواحل بدعوى الاصطياف، وعملوا على ذلك الدهر الطويل، على خطة مرسومة، وسبل معينة، صابرين محتسبين لوجه إبليس، ولولاهم ولولا مجلاتهم ولولا تلك الروايات من قبل وهاتيك الأفلام من بعد، ولولا الذين تخرجوا بمدرسة الضلال ثم وَلوُا هم ( مع الاسف ) أمر أبنائنا وبناتنا في مدارسنا، ما رأينا ولا توهمنا أننا سنرى يوماً، بنات المسلمين يكشفن عن سيقانهن وأفخاذهن، للعبةٍ بكرة السلة، أو لعرض في حفلة الرياضة، أو لاصطياف على الساحل، ولو بعث قاسم أمين ومن شايعه على دعوته، من رؤوس الفتنة، ورأوا إلامَ انتهت إليه المرأة بدعوتهم ( التي أرادوا بها غير هذا ) لأخذتهم الصَّعْقة!

وأؤكد لك أن ( ذلك الأمر ) في حقيقته أتفه وأهون مما تظن، وأن الحديث عنه أعظم منه، ووصفه أكبر أثراً في النفس من فعله، ولولا هذا الفن: فن الشعر والقصة والتصوير والغناء، لولا هذا الذي يجمّلُ المرأة، ويحسّن الحب، لما رأيت لتلك (الصلة الجسمية ) في نفسك ولا نفس غيرك من الشباب عشر معشار ما

تحسبه اليوم، إنها عملية كالعمليات الطبية كلها، ولكنها قذرة حقاً، لذلك وضع الله لها هذا ( البنج ) الذي يعمى ويصمّ، فلا يرى المرء القبح فيها، وهذا البنج هو الشهوة، ولو فكر المرء فيها هادئاً. لو فكر فيها بعقل رأسه لا بعقل أعصابه لما رآها كما أقول.

وهذه المغريات كلها لا تعمل عملها، ولا تؤتي المرّ من ثمرها، ما لم يوجد رفيق السوء، الذي يدلك على طريق الفاحشة، ويوصلك إلى بابها، إنها كالسيارة الكاملة العدة، وهذا الرفيق كالزناد ( المارش )، وليس تمشي السيارة مهما كانت قوتها إلا بالزناد.

* * *

وكأني أسمعك تقول، هذا الداء، فما الدواء؟

الدواء أن نعود إلى سنة الله، وطبائع الأشياء التي طبعها عليها، إن الله ما حرم من شيئاً إلا أحل شيئاً مكانه، حرم المراباة وأحل التجارة، وحرم الزنا وأحل الزواج، فالدواء هو الزواج.

الزواج وحده طريق الاصلاح، وأنا أقترح على الجمعيات الاسلامية والنوادي الاصلاحية أن تؤسس قسماً جديداً يرغّب الشبان في الزواج، ويدعوهم اليه، ويسهله عليهم، ويدل الخاطب على الفتاة التي تصلح له ويصلح لها، ويقرضه المال إن كان معسراً، ولهذا الاقتراح تفصيلات وذيول، من استجاب له وأراد العمل به، شرحت له تفصيلاته.

فاذا لم يتيسر لك الزواج، ولم ترد الفاحشة، فليس إلا

التسامي، وأنا لا أريد أن أعقد هذا الفصل الذي كتبته ليكون مفهوماً واضحاً، بمصطلحات علم النفس، لذلك أعمد إلى مثال أمثله لك، أترى إلى إبريق الشاي الذي يغلي على النار. إنك ان سددته فأحكمت سدَّه، وأوقدت عليه فجَّره البخار المحبوس، وإن خرقته سال ماؤه فاحترق الابريق، وإن وصلت به ذراعاً كبيراً كذراع القاطرة، أدار لك المصنع وسيرَّ القطار، وعمل الأعاجيب.

فالأولى حالة من يحبس نفسه عن شهوته، يفكر فيها ويعكف عليها، والثانية حال من يتبع سبل الضلال، ويؤم مواطن اللذة المحرمة، والثالثة حالة المتسامي.

فالتسامي هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحي أو عقلي أو قلبي أو جسدي، يستنفد هذه القدرة المدخرة، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة، بالالتجاء إلى الله، والاستغراق في العبادة، أو بالانقطاع إلى العمل والانغماس في البحث، أو بالتفرغ للفن والتعبير عن هذه الصور التي تصورها غريزتك بالألفاظ شعراً أو بالألوان لوحة، أو بالألحان نغماً، أو بالجهد الجسدي والاقبال على الرياضة، والعناية بالتربية البدنية أو بالبطولة الرياضية، والانسان يا ابني محب لنفسه لا يقدم أحداً عليها، فاذا وقف أمام المرآة، ورأى استدارة كتفيه ومتانة صدره، وقوة يديه، كان هذا الجسم الرياضي المتناسق القوي، أحب اليه من كل جسد أنثى، ولم يرض أن يضحي به، ويذهب قوته ويعصر عضلاته، ويعود به

جلداً على عظم، من أجل سواد عيني فتاة، ولا من أجل زرقتهما . . .

هذا هو الدواء: الزواج، وهو العلاج الكامل، فان لم يمكن فالتسامي وهو مسكّن موقت، ولكنه مسكن قوي، ينفع ولا يؤذي.

أما ما يقوله المغفلون، أو المفسدون، من أن دواء هذا الفساد الاجتماعي هو تعويد الجنسين على الاختلاط حتى تنكسر بالاعتياد حدة الشهوة، وفتح ( المحلات العمومية ) حتى يُقضى بها على البغاء السري، فكلام فارغ، وقد جرّبت الاختلاط أمم الكفر كلها فما زادها إلا شهوة وفساداً، أما المحلات العمومية فاننا إذا أقررناها وجب أن نوسعها حتى تكفي الشبان جميعاً، واذن فينبغي أن يكون في القاهرة أكثر من عشرة آلاف بغيّ، لأن في القاهرة ( من أصل المليونين ونصف المليون من سكانها ) مئتا ألف شاب على الاقل . . . وإذا نحن جَوَّزنا للشباب ارتيادها فاستغنوا بذلك عن الزواج، فماذا نصنع بالبنات؟ هل نفتح لهن محلات عمومية فيها ( بغايا ) من الذكور؟!

* * *

كلام فارغ ياابني والله، وما تقوله عقولهم ولكن غرائزهم، وما يريدون إصلاح الأخلاق ولا تقدم المرأة، ولا نشر المدنية، ولا الروح الرياضية، ولا الحياة الجامعية، إنما هي ألفاظ يتلمظون بها،

ويتبدعون كل يوم جديداً فيها يهولون به على الناس ، ويروجون به لدعوتهم، وما يريدون إلا أن نخرج لهم بناتنا وأخواتنا ، ليستمتعوا برؤية الظاهر والمخفي من أجسادهن، وينالوا الحلال والحرام من المتعة بهن، ويصاحبوهن منفردات في الأسفار، ويراقصوهن متجملات في الحفلات، وينخدع مع ذلك بعض الآباء، فيضحوا بأعراض بناتهن ليقال إنهم من المتمدنين. . .

وبعد يا إبني فلا تتردد في الكتابة إلي ان لم يرضك هذا الجواب، ولا تستحي مما تجد من حر هذه الشهوة التي ركبها الله في النفس إنها علامة القوة والأيدْ والشباب، وعليك بالزواج، ولو أنك طالب لا تزال، فإن لم تستطعه فاعتصم بخوف الله، والانغماس في العبادة والدرس، والاشتغال، بالفن وعليك بالرياضة فانها نعم العلاج.

والحديث طويل، وهذا ما اتسع له مجال المقال، ومن استزادني زدته رسالة إن شاء، أو مقالة إن شاء الناشرون.

# الأجوبة النّافعة[1]

## عن

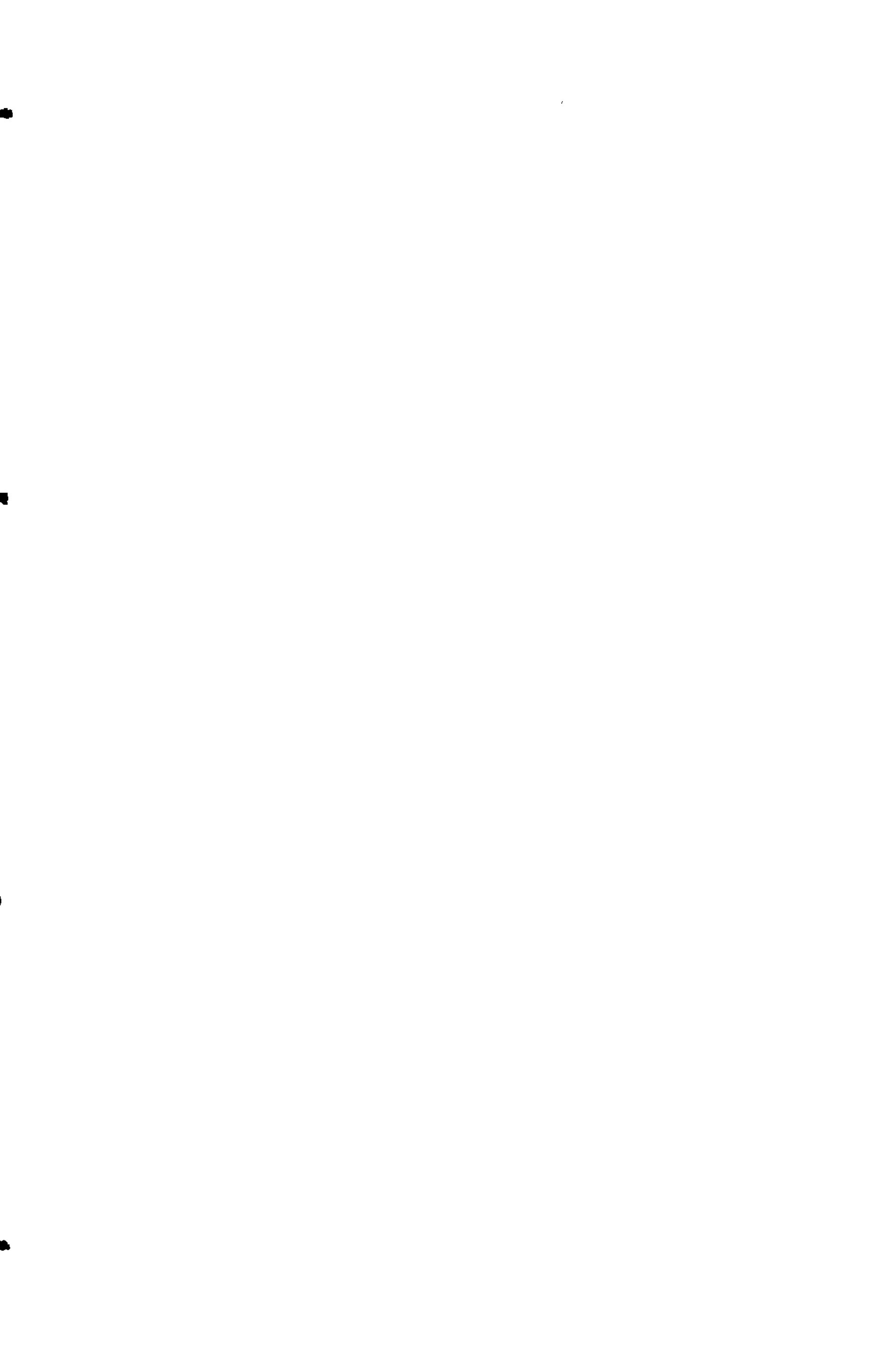
## أسئلة لجنة مسجد الجامعة

تأليف

محمد ناصر الدين الألباني

---

(١) هذه الرسالة كتبت جواباً على اسئلة لجنة مسجد الجامعة ونشرت مفردة في حينها ضمن مطبوعات المكتب الاسلامي ، ورأيت أن وجودها هنا مما يزيد النفع ويتناسب مع هذه الرسائل .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلىّ الله تعالى على رسوله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد سلمني أحد الاخوان غرة شهر رمضان سنة ١٣٧٠ هـ ورقة قد طبع على صفحتها عدة أسئلة بالآلة الكاتبة ، وهي غير موقعة بتوقيع ينبىء عن مصدرها ، وإن كانت الأسئلة نفسها توحي بأن محررها من أعضاء لجنة مسجد الجامعة السورية .

ثم سألت أحدهم عنها فأخبرني : أنها من اللجنة ذاتها .

وقد علمت أنه قدم مثلها إلى كثير من المشايخ وأهل العلم بغية الجواب عنها ، ومن الظاهر أن القصد من ذلك استنباط الحق ومعرفته من الأدلة التي سوف يوردها أهل العلم في أجوبتهم على تلك الأسئلة ، فيقابلها أعضاء اللجنة بعضها ببعض ، ويستخلصون منها أقواها ، ثم يعملون بمقتضاها ، في مسجدهم الذي صاروا بحكم رعايتهم عليه مسؤولين عنه ، ومكلفين بتنفيذ الحق فيه ، فيقضون بذلك على الاضطراب المستمر فيه :

فإنه تارة يؤذن فيه بأذان واحد وعلى باب المسجد كما هو السنة ، وأحياناً يؤذن فيه بأذانين ، ثم تارة يؤذن الأول منهما على باب المسجد ، وبالآخر بين يدي الخطيب والمنبر ، وتارة يؤذن بالأول داخل المسجد قريباً من الباب ، وتارة قريباً من المحراب ، وتارة تصلي فيه ما يسمى بـ « سنة الجمعة القبلية » وتارة لا تصلى !

ذلك كان حال المسجد المذكور إبان ابتداء عمارته بالصلاة ، وهو مع ذلك يعتبر المسجد الوحيد في دمشق ، بل ربما في سائر البلاد السورية في كونه قائماً على السنة ، منزهاً عن البدعة إلى حد كبير ، فلا ترفع فيه الأصوات ولا تقام فيه صلاة الظهر بعد الجمعة ، وغير ذلك من المحدثات التي تغص بها سائر المساجد . ويعود الفضل في ذلك إلى اللجنة القائمة عليه من الشباب المؤمن الحريص على اتباع السنة ، واجتناب البدعة ، في حدود ما يعلم ، وما يأتيه من علم ، وهذا هو الذي أهاب بهم على أن يوجهوا الأسئلة المشار إليها إلى أفاضل العلماء .

فلما قدمت إلى هذه الأسئلة رأيتني مندفعاً إلى الإجابة عنها، محاولة مني ومشاركة في جعل مسجد الجامعة أقرب إلى السنة ، وأبعد عن البدعة . ولعله يزول منه الاضطراب المشار إليه ، بعد ورود الأجوبة إلى اللجنة ، ودراستهم إياها ، واستخلاصهم ما كان أقرب إلى الصواب منها ، غير متحيزين إلى فئة ، ولا متبعين لعادة .

فلما فرغت من كتابة الجواب المشار إليه قدمته إلى اللجنة ، ولا أدري إذا كان غيري ممن وجهت إليهم الأسئلة ، قد قدموا أجوبتهم عليها ؛ ولا ما كان موقف اللجنة العلمي من جوابنا .

كان ذلك منذ عشر سنين فبدا لي الآن أن أعود إلى الجواب المذكور فأضيف إليه بعض الفوائد الجديدة ، مما لا يخرج عن موضوع الأسئلة ، ففعلت فكان ذلك كله هذه الرسالة التي تراها بين يديك .

ولما كنت أعتقد أنها حققت القول في كثير من المسائل التي يرامها الباحث منبثة في بطون طوال الكتب الفقهية ومبسوطاتها ، ولا يراها

مجتمعة محققة في رسالة خاصة ، رأيت أن أقوم بنشرها على الناس ، تنويراً للأذهان ، وتوطئة لإصلاح قد يتولاه بعض الغُيُر من المسؤولين عن المساجد ، أسوة بمصر الشقيقة ، وما تقوم به من إصلاحات بإرشاد وزارة الأوقاف[1] .

ومما يشجعني على النشر أنه لا بد للقراء من رسالة في هذا الموضوع تعرض عليهم الأجوبة مقرونة بأدلتها من كتاب الله وسنة رسوله ، مستشهداً عليها بآثار الصحابة ، وأقوال كبار الأئمة ، ممن يفتى بقولهم ، ويقتدى بهديهم .

زد على ذلك أن كثيراً من القراء قد كثر سؤالهم عن المسائل التي وردت في هذه الرسالة ، فنشرها مما يوفر علينا كلاماً كثيراً ، ووقتاً طويلاً .

وأيضاً فأنا شخصياً بحاجة إلى من ينبهني إلى ما قد يبدو مني من خطأ أو وهم ، مما لا ينجو منه إنسان ، فإذا نشرت آرائي ، تمكن أهل العلم من الاطلاع عليها ، ومعرفة ما قد يكون من الوهم فيها ، وبينوا ذلك كتابة أو شفهياً فشكرت لهم غيرتهم ، وجزيتهم خيراً .

وسميت هذه الرسالة بـ :
« الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة » .

أسأل الله تعالى أن ينفع بها ، ويثيبني عليها خيراً ، بفضله وكرمه .

دمشق جمادى الآخرة ١٣٨٠      محمد ناصر الدين الألباني

---

(١) أنظر ما كنت كتبته بهذا الصدد في جريدة « صوت العرب » سنة ١٣٨٠ . ثم نشر ذلك في رسالة خاصة تحت عنوان « صوت العرب تسأل ، ومحمد ناصر الدين يجيب » .

وإليك نصّ ما في الصفحة :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله ·

وبعـد ، فامتثالاً لقوله تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ [1] وقوله : ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم : « . . . وعن علمه ماذا عمل به » [2]

أتينا نسألكم التكرم بتحقيق المسألة التالية ، ولكم الأجر :

١ ـ هل ترون الاقتداء بما فعله عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة من الأذان الثاني إطلاقاً ، أم فقط عندما يتوفر السبب الذي دعا سيدنا عثمان لذلك ، لما رأى الناس قد كثروا وانغمسوا في طلب المعاش ؟!

أو بعبارة أخرى : إذا وجد مسجد ، لا حي قريب منـه ، ولا سوق ، وليس له إمام راتب ، ولا مئذنة ! كالمسجد الذي في داخل الثكنة الحميدية [3]، فهل ترون أن يجرى فيه على سنة سيدنا عثمان ، أو يكتفى بأذان واحد كما هو الحال في عهد الرسـول صلّى الله عليه وسلم وصاحبيه ؟ .

٢ ـ إذا أذيعت الخطبة والأذان من المسجد المذكور بالمذياع ، فهل ترون هذا يغير في الأمر شيئاً ؟ كأن يقـال : إن أذان عثمان لا حاجة إليه في مثل هذا المسجد البعيد عن البيوت والأسواق ، ولكن بما

---

(١) سورة النحل الآية : ٤٣.

(٢) رواه الترمذي ( ٢٤١٩ ) ، وقال : حديث حسن صحيح

(٣) هو مسجد جامعة دمشق .

أن إذاعة الأذان تعيد إليه صفة الإعلام وتسمعه لجميع الأنحاء فيجب العمل به ؟ .

أو يقال : بما أن الاذاعة تؤمن الاعلام بإذاعة أذان واحد فلا حاجة للآخر ؟ .

٣ ـ هل الأذان الثاني الذي شرعه الرسول صلىّ الله عليه وسلم موضعه أمام المنبر أم على باب المسجد المواجه للمنبر؟ وإذا كان هناك أذان آخر : أذان عثمان فهل موضعه على الباب ؟.

٤ ـ إذا كان هناك أذان واحد فقط فمتى وقته ؟

هل هو أول وقت الظهر أم ماذا ، وإذا كان كذلك ، وكان وقته عند صعود الخطيب فمتى تصلى السنة القبلية إذا ثبتت ؟

وهل تصلى السنة عقب دخول الوقت بلا أذان ثم يصعد الخطيب ويؤذن المؤذن أم ماذا ؟

٥ ـ نرجو في كل ما سبق إيراد النصوص التي استندتم إليها في تحقيقكم ولكم منا الشكر ، ومن الله الثواب والأجر ، وفقنا الله وإياكم إلى العلم والفهم والاتباع ، وهو الهادي إلى الرشاد .

# الجواب عن الأسئلة

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته :

أما بعـد ، فأقول وبالله أستعين :

إني قبل الشروع في الاجابـة أرى من المفيد بل الضروري أن أسوق هنا الحديث الوارد في أذان عثمان الأول ، لأنه سيكون محور الكلام في المسائل الآتية ، كما سترى ؛ ثم إنه لما كان الحديث المذكور فيه زيادات قد لا توجد عند بعض المخرجين للحـديث رأيت تتميماً للفائدة أن أضيف كل زيادة وقفت عليها إلى أصل الحديث مشيراً إليها بجعلها بين حاصرتين معكوفتين [ ] .

ثم أبين من أخرج الحـديث ، والـزيادات ، من الأئمـة في التعليق على الحديث وهاك نصه :

## حديث أذان عثمان بن عفان رضي الله عنه :

« قال الإمام الزهري رحمه الله تعالى :

أخبرنـي السائـب بن يزيد : أن الأذان [ الــذي ذكره الله في القرآن ] كان أوله حين يجلس الإمام على المنبر [ وإذا قامت الصلاة ] يوم الجمعة [ على باب المسجد ] في عهد النبي صلّى الله عليه وسلـم وأبي بكر وعمر ، فلما كان خلافـة عثمان وكثـر النـاس [ وتباعـدت المنازل ] أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث ( وفي رواية : الأول ، وفي أخرى : بأذان ثان ) [ على دار [ له ] في السوق يقال لها الزوراء ] فأذن به على الـزوراء [ قبـل خروجـه ليعلـم النـاس أن الجمعـة قد

حضرت ] ، فثبت الأمر على ذلك ، [ فلم يعب النـاس ذلك عليه ، وقد عابوا عليه حين أتم الصلاة بمنى [1] ] » .

إذا علمت ما تقدم ، فلنشرع الآن في الجواب ، فنقول :

## الجواب عن الفقرة الأولى

١ ـ لا نرى الاقتداء بما فعله عثمان رضي الله عنه على الإطلاق ودون قيد ، فقد علمنا مما تقدم أنه إنما زاد الأذان الأول لعلة معقولة ، وهي كثرة الناس وتباعد منازلهم عن المسجد النبوي ، فمن صرف النظر عن هذه العلة ، وتمسك بأذان عثمان مطلقاً لا يكون مقتدياً به رضي الله عنه ، بل هو مخالف له حيث لم ينظر بعين الاعتبار إلى تلك العلة التي لولاها لما كان لعثمان أن يزيد على سنته عليه الصلاة والسلام وسنة الخليفتين من بعده .

---

(١) أخرجه البخاري ( ٢/ ٣١٤/ ٣١٦/ ٣١٧ ) وأبو داود ( ١/ ١٧١ ) والسياق له والنسائي ( ١/ ٢٠٧ ) والترمذي ( ٢/ ٣٩٢ ) وصححه، وابـن ماجـه ( ١/ ٢٢٨ ) والشافعي في « الأم » ( ١/ ١٧٣ ) وابن الجارود في « المنتقى » ( ص ١٤٨ ) والبيهقي ( ٢/ ١٩٢/ ٢٠٥ ) وأحمد ( ٣/ ٤٤٩/ ٤٥٠ ) واسحاق بن راهويه وابن خزيمة في « صحيحه » والطبراني وعبد بن حميد واين المنذر وابن مردويه ، والزيادة الأولى لابن راهويه وابن خزيمة وغيرهما ، والثانية لابن الجارود والبيهقي ، والثالثة لأبي داود والطبراني ، والرابعة لابن حميد وابن المنذر وابن مردويه وذكرها العيني في « العمدة » ( ٣/ ٢٣٣ ) دون عزو ، والخامسة لابن ماجه وابن خزيمة والزيادة فيها للطبراني ، والسادسة له ، والسابعة وهي الأخيرة لابن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

وأما الرواية الثانية « بالأذان الأول » فهي لأحمد وابن خزيمة ، والثالثة للبخاري والشافعي . وانظر « فتح الباري » و « تلخيص الحبير » و « نصب الراية » و « الدر المنثور » .

## متى يشرع الأذان العثماني

فإذن إنما يكون الاقتداء به رضي الله عنه حقاً عندما يتحقق السبب الذي من أجله زاد عثمان الأذان الأول وهو « كثرة الناس وتباعد منازلهم عن المسجد » كما تقدم .

وأما ما جاء في السؤال من إضافة علة أخرى إلى الكثرة ، وهي ما أفاده بقوله : « وانغمسوا في طلب المعاش » فهذه الزيادة لا أصل لها ، فلا يجوز أن يبنى عليها أي حكم إلا بعد إثباتها ، ودون ذلك خرط القتاد [1] .

وهذا السبب لا يكاد يتحقق في عصرنا هذا إلا نادراً ، وذلك في مثل بلدة كبيرة تغص بالناس على رحبها كما كان الحال في المدينة المنورة ، ليس فيها إلا مسجد واحد يجمع الناس فيه ، وقد بعدت لكثرتهم منازلهم عنه ، فلا يبلغهم صوت المؤذن الذي يؤذن على باب المسجد ؛ وأما بلدة فيهاجوامع كثيرة كمدينة دمشق مثلاً ، لا يكاد المرء يمشي فيها إلا خطوات حتى يسمع الأذان للجمعة من على المنارات ، وقد وضع على بعضها أو كثير منها الآلات المكبرة للأصوات ، فحصل بذلك المقصود الذي من أجله زاد عثمان الأذان ، ألا وهو إعلام الناس : أن صلاة الجمعة قد حضرت ، كما نص عليه في الحديث المتقدم : وهو معنى ما نقله القرطبي في تفسيره ( ١٨/ ١٠٠ ) عن الماوردي :

« فأما الأذان الأول فمحدث ، فعله عثمان ليتأهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها » .

وإذا كان الأمر كذلك فالأخذ حينئذ بأذان عثمان من قبيل

(١) مثل يضرب للأمر المستحيل .

تحصيل الحاصل وهذا لا يجوز ، لا سيما في مثل هذا الموضع الذي فيه التزيد على شريعةرسول الله صلىّ الله عليه وسلم دون سبب مبـرر ، وكأنه لذلك كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بالكوفة يقتصر على السنة ولا يأخذ بزيادة عثمان كما في « القرطبي » .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : « إنما كان النبي صلىّ الله عليه وسلم إذا صعد المنبر أذن بلال ، فإذا فرغ النبي صلىّ الله عليه وسلم من خطبتـه أقـام الصـلاة، والأذان الأول بدعـة». رواه أبـو طاهـر المخلص في « فوائده » (ورقة ٢٢٩/ ١ ـ ٢) .

والخلاصة : أننا نرى أن يكتفى بالأذان المحمدي وأن يكون عند خروج الإمام وصعوده على المنبر ، لزوال السبب المبرر لزيادة عثمان ، واتباعاً لسنة النبي صلىّ الله عليه وسلم وهو القائل : « فمن رغب عن سنتي فليس مني »[1] .

وبنحـو ما ذكرنـا قال الإمـام الشافعـي ، ففـي كتابـه « الأم » ( ١/ ١٧٢ ـ ١٧٣ ) ما نصه :

(١) ونقل الشيخ عبد الحي الكتاني في « التراتيب الادارية » ( ١/ ٨٠ ـ ٨١ ) عن كتاب « إنارة البصائر في مناقب الشيخ ابن ناصر وحزبه الهداة الأكابر » ما نصه :

«كان يعني الشيخ سيدي محمد بن ناصر يقتصر يوم الجمعة على مؤذن واحد ، وأذان واحد ، غير الإقامة ، إسوة برسول الله صلىّ الله عليه وسلم ، إذ لم يكن في زمنه ولا في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، على ما هو الأشهر،وصدر من خلافة عثمان ، وكان لا يؤذن في زمنه عليه الصلاة والسلام إلا مؤذن واحد ، هذا هو الصحيح والمعتمد كما في « فتح الباري ، والأبي اهـ » .

ولقد ذكر الحافظ ( ٢/ ٣٢٧ ) أن العمل بهذه السنة استمر في المغرب حتى زمنه ، أعني ابن حجر أي القرن الثامن(كانت وفاته سنة ٨٥٢ ومعنى ذلك أنها بقيت حتى منتصف القرن التاسع).

« وأحب أن يكون الأذان يوم الجمعة حين يدخل الإمام المسجد ويجلس على المنبر ، فإذا فعل أخـذ المؤذن في الأذان ، فإذا فرغ قام فخطب لا يزيد عليه » .

ثم ذكر حديث السائب المتقدم ثم قال :

« وقد كان عطـاء ينـكر أن يكون عثمان أحدثـه ، ويقـول : أحدثه معاوية [1] ، وأيهما كان فالأمر الذي كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم أحب إلي ، فإن أذن جماعة من المؤذنين والإمام على المنبر ، وأذن كما يؤذن اليوم أذان قبل أذان المؤذنين إذا جلس الإمام على المنبر كرهت ذلك له ، ولا يفسد شيء منه صلاته » .

وكذلك نقول في المسجد الوارد ذكره في السؤال : إنه ينبغي أن يجري فيه على سنة النبي صلّى الله عليه وسلم ، لا على سنة عثمان ، وذلك لأمرين :

الأمر الأول: أن الأذان فيه لا يسمع من سكان البيوت لبعدها كما جاء في السؤال ، بل ولا يسمع حتى من المارة في الطريق الذي يلي الثكنة من الناحية الشرقية والجنوبية ، فالأخـذ حينئـذ بأذان عثمان لا يحصل الغاية التي أرادها به عثمان فيكون عبثـاً في الشرع ينـزه عنـه المسلم .

الأمر الثاني : أن الذين يأتون إلى هذا المسجد إنما يقصدونـه قصداً ولو من مسافات شاسعة ، فهؤلاء ولو فرض أنهم سمعوا الأذان - فليس هو الذي يجلبهم ويجعلهم يدركون الخطبة والصلاة ، فإنه -

(١) قلت : لا وجه لهذا الانكار ، فقد تواردت الروايات أن عثمان هو الذي زاده فهو المعتمد كما قال الحافظ ( ٢/ ٣٢٨) ولو لم يكن فيه إلا حديث السائب لكفى . وأما إحداث معاوية رضي الله عنه إياه فمما لا أعرف له إسناداً .

لبعد المسافة بينهم وبين المسجد ـ لا بد لهم من ان يخرجوا قبل الأذان بمدة تختلف باختلاف المسافة طولاً وقصراً حتى يدركوا الصلاة شأنهم في ذلك شأنهم في صلاة العيدين في المصلي أو المسجد التي لا يشرع لها أذان ولا إعلام بدخول الوقت .

نعم لا نرى مانعاً من هذا الأذان العثماني ، إذا جعل عند باب الثكنة الخارجي لأنه يسمع المارة على الجادة ، ويعلمهم أن في الثكنة مسجداً تقام فيه الصلاة فيؤمونه ويصلون فيه ، كما قد يسمع من يكون في البيوت القريبة من الجادة [1] ، ولكن ينبغي أن لا يفصل بين الأذانين إلا بوقت قليل لأن السنة الشروع في الخطبة أول الزوال بعد الأذان كما يشير إلى ذلك قوله في الحديث السابق : « أن الأذان كان أوله حين يجلس الإمام على المنبر وإذا قامت الصلاة » أي قام سببها وهو الزوال ، وفي ذلك أحاديث أخرى أصرح من هذا سيأتي ذكرها عند الجواب عن الفقرة الرابعة إن شاء الله تعالى .

ولا يفوتني أن أقول : إن هذا الذي ذهبنا إليه إنما هو إذا لم يذع الأذان عند باب المسجد بالمذياع أو مكبر الصوت ، وإلا فلا نرى جوازه لأنه حينئذ تحصيل حاصل كما سبق بيانه .

---

(١) ونحو هذا ما جاء في « تاريخ مكة » للفاكهي قال ( ص ١١ ) :
« وكان أهل مكة فيما مضى من الزمان لا يؤذنون على رؤوس الجبال وإنما كان الأذان في المسجد الحرام وحده ، فكان الناس تفوتهم الصلاة من كان منهم في فجاج مكة وغائباً عن المسجد حتى كان في زمن أمير المؤمنين هارون ، فقدم عبدالله بن مالك أو غيره من نظرائه مكة ففاتته الصلاة ولم يسمع الأذان ، فأمر أن تتخذ على رؤوس الجبال منارات تشرف على فجاج مكة وشعابها يؤذن فيها للصلاة ، وأجرى على المؤذنين في ذلك أرزاقاً . . . ثم قطع ذلك عنهم ، فترك ذلك بعدهم » .

## الجواب عن الفقرة الثانية

٢ ـ إن إذاعة الأذان من المسجد المذكور بالمذياع لا يغير من حكم المسألة شيئاً لما سبق بيانه قريباً ، ونزيد هنا فنقول : قد مضى أن عثمان رضي الله عنه إنما زاد الأذان الأول : « ليعلم الناس أن الجمعة قد حضرت » فإذا أذيع الأذان المحمدي بالمذياع فقد حصلت الغاية التي رمى إليها عثمان بأذانه .

وأعتقد أنه لو كان هذا المذياع في عهد عثمان ، وكان يرى جواز استعماله كما نعتقد لكان رضي الله عنه ، اكتفى بإذاعة الأذان المحمدي ، وأغناه ذلك عن زيادته .

## الجواب عن الفقرة الثالثة

### تحقيق موضع الأذان النبوي والعثماني

٣ ـ يفهم الجواب عن هذه الفقرة مما تقدم في الحديث : « أن الأذان في عهد النبي صلّ الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر كان على باب المسجد ، وأن أذان عثمان كان على الزوراء » . فإن وجد السبب المقتضي للأخذ بأذانه حسبما تقدم تفصيله وضع في مكان الحاجة والمصلحة ، لا على الباب فإنه موضع الأذان النبوي ، ولا في المسجد عند المنبر فإنه بدعة أموية كما يأتي ، وهو غير محقق للمعنى المقصود من الأذان وهو الإعلام .

ونقل ابن عبد البر عن مالك :

« إن الأذان بين يدي الإمام ليس من الأمر القديم » . أي إنه بدعة وقد صرح بذلك ابن عابدين في « الحاشية » ( ١/٣٦٢ ) وابن

الحاج في « المدخل » ( ٢/ ٢٠٨ ) ، وغيرهما ممن هو أقدم وأعلم منهما ، قال الشاطبي في « الاعتصام » ( ٢/ ١٤٦ - ١٤٧ ) ما ملخصه :

« قال ابن رشد : الأذان بين يدي الامام في الجمعة مكروه لأنه محدث وأول من أحدثه هشام بن عبدالملك ، فإنه نقل الأذان الذي كان بالزوراء إلى المشرفة ، ونقل الأذان الذي كان بالمشرفة بين يديه ، وتلاه على ذلك من بعده من الخلفاء إلى زماننا هذا ، قال : وهو بدعة ، والذي فعله رسول الله صلّى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بعده هو السنة . وذكر ابن حبيب ما كان فعله صلّى الله عليه وسلم وفعل الخلفاء الراشدون بعده كما ذكر ابن رشد ، وذكر قصة هشام ثم قال : والذي كان فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلم هي السنة . وما قاله ابن حبيب أن الأذان عند صعود الإمام على المنبر كان باقياً في زمان عثمان رضي الله عنه موافق لما نقله أرباب النقل الصحيح ، وإن عثمان لم يزد على ما كان قبله إلا الأذان على الزوراء ، فصار إذن نقل هشام الأذان المشروع في المنارة إلى ما بين يديه بدعة في ذلك المشروع » .

وينبغي أن يعلم : أنه لم ينقل البتة أن الأذان النبوي كان بين يدي المنبر قريباً منه .

قال العلامة الكشميري [1] :

« ولم أجد على كون هذا الأذان داخل المسجد دليلاً عند المذاهب الأربعة ، إلا ما قال صاحب « الهداية » : إنه جرى به

---

(١) في كتاب « فيض الباري » ( ٢/ ٣٣٥ ) ، وهو من كبار فقهاء الحنفية المشتغلين بالحديث في الهند ، وهو يتبع الحديث ، ولو خالف المذهب في بعض الأحيان توفي سنة ١٣٥٢ هـ رحمه الله تعالى .

التوارث ، ثم نقله الأخرون أيضاً ، ففهمت منه أنهم ليس عندهم دليل غير ما قاله صاحب « الهداية » ولذا يلجؤون إلى التوارث » .

قلت : وليس يخفى على البصير أنه لا قيمة لمثل هذا التوارث لأمرين :

الأول أنه مخالف لسنة النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده .

والآخر : أن ابتداءه من عهد هشام لا من عهد الصحابة كما عرفت ، وقد قال ابن عابدين في الحاشية ( ١/ ٧٦٩ ) :

« ولا عبرة بالعرف الحادث إذا خالف النص ، لأن التعارف إنما يصلح دليلاً على الحل إذا كان عاماً من عهد الصحابة والمجتهدين كما صرحوا به » .

فتبين مما سلف أن جعل الأذان العثماني على الباب ، والأذان المحمدي في المسجد بدعة لا يجوز اتباعها ، فيجب إزالتها من مسجد الجامعة ، إحياء لسنة النبي صلىّ الله عليه وسلم .

## هل كانت المنارة في زمنه صلىّ الله عليه وسلم ؟

هذا وقد مضى في كلام الشاطبي ومن نقل عنهم :«أنَ الأذان النبوي كان يوم الجمعة على المنارة».

وقد صرح بذلك ابن الحاج أيضاً في « المدخل » فقال ما مختصره :

« إن السنة في أذان الجمعة إذا صعد الإمام على المنبر أن يكون المؤذن على المنارة ، كذلك كان على عهد النبي صلىّ الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان ، ثم زاد عثمان أذاناً آخر

بالزوراء ، لما كثر الناس ، وأبقى الأذان الذي كان على عهد رسول الله صلىّ الله عليه وسلم على المنارة والخطيب على المنبر إذ ذاك ».ثم ذكر قصة نقل هشام للأذان نحو ما تقدم نقله عن الشاطبي .

قلت : ولم أقف على ما يدل صراحة أن الأذان النبوي يوم الجمعة كان على المنارة ، إلا ما تقدم في الحديث أنه كان على باب المسجد ، فإن ظاهره أنه على سطحه عند الباب ، ويؤيد هذا أن من المعروف أنه كان لبلال ـ وهو الذي كان يؤذن يوم الجمعة ـ شيء يرقى عليه ليؤذن ، ففي « صحيح البخاري » ( ٤/ ١١٠ ) عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها :

« إن بلالاً كان يؤذن بليل ، فقال رسول الله صلىّ الله عليه وسلم : « كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر » قال القاسم : « ولم يكن بين أذانهما إلا أن يرقى هذا وينزل ذاك » .

فلعله كان هناك عند الباب على السطح شيء مرتفع يشبه بالمنارة ، وقد يشهد لهذا ما أخرجه ابن سعد في « الطبقات » ( ٨/ ٣٠٧ ) بإسناده عن أم زيد بن ثابت قالت : كان بيتي أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن ، إلى أن بنى رسول الله صلىّ الله عليه وسلم مسجده ، فكان يؤذن بعد على ظهر المسجد ، وقد رفع له شيء فوق ظهره . لكن إسناده ضعيف . وقد رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن دون قوله : « وقد رفع له شيء فوق ظهره » والله أعلم .

والذي تلخص عندي في هذا الموضوع أنه لم يثبت أن المنارة في

المسجد كانت معروفة في عهده صلىّ الله عليه وسلم [1] ، ولـكن من المقطوع به أن الأذان كان حينذاك في مكان مرتفع على المسجد يرقى إليه كما تقدم ، ومن المحتمل أن الرقي المذكور إنما هو إلى ظهر المسجد فقط [2] ،

ومن المحتمل أنه إلى شيء كان فوق ظهـره كما في حديث أم زيد ،

وسواء كان الواقـع هذا أو ذاك ، فالـذي نجـزم به أن المنـارة المعروفة اليوم ، ليست من السنة في شيء غير أن المعنى المقصود منها ـ وهو التبليغ ـ أمر مشروع بلا ريب ، فإذا كان التبليغ لا يحصـل إلا بها ، فهي حينئذ مشروعة لما تقرر في علم الأصول : أن ما لا يقـوم الواجب إلا به فهو واجب . غير أن من رأيي أن وجود الآلات المكبرة للصوت اليوم يغني عن اتخاذ المأذنة كأداة للتبليغ ، لا سيما وهي تكلف المبالغ الطائلة ، فبناؤها ، والحالة هذه مع كونه بدعة ـ ووجود ما يغني عنه ـ غير مشروع لما فيه من إسراف وتضييع للمال ، ومما يدل دلالة قاطعة على أنها صارت اليوم عديمة الفائدة ، أن المؤذنين لا يصعدون إليها البتة مستغنين عنها بمكبر الصوت .

لكننا نعتقد أن الأذان في المسجد أمام المكبر ، لا يشرع لأمور منها التشويش على من فيه من التالين والمصلين والذاكرين ، ومنها عدم

(١) ولا ينافي هذا قول عبدالله بن شقيق التابعي : « من السنة الأذان في المنـارة والإقامـة في المسجد ، وكان عبدالله يفعله » . أخرجه ابن أبي شيبـة ( ١/ ٨٦/ ١ ) بسنـد صحيح عنه ، وذلك لما تقرر في علم الأصول أن قول التابعي من السنة كذا ليس في حكم المرفوع بخلاف ما إذا قال ذلك صحابي فإنه في حكم المرفوع .

(٢) كما في حديث عروة بن الزبير قال : « أمر النبي صلىّ الله عليه وسلم بلالاً أن يؤذن يوم الفتح فوق الكعبة » .

أخرجه ابن أبي شيبة ( ١/ ٨٦/ ١ ) بسند صحيح عنه ، إلا أنه مرسل .

ظهور المؤذن بجسمه ، فإن ذلك من تمام هذا الشعار الإسلامي العظيم ( الأذان ) .

لذلك نرى أنه لا بد للمؤذن من البروز على المسجد والتأذين أمام المكبر ، فيجمع بين المصلحتين ، وهذا التحقيق يقتضي إتخاذ مكان خاص فوق المسجد يصعد إليه المؤذن ويوصل إليه مكبر الصوت ، فيؤذن أمامه وهو ظاهر للناس .

ومن فائدة ذلك أنه قد تنقطع القوة الكهربائية [1] ويستمر المؤذن على أذانه وتبليغه إياه إلى الناس من فوق المسجد ، بينما هذا لا يحصل والحالة هذه إذا كان يؤذن في المسجد كما هو ظاهر .

ولا بد من التذكير هنا بأنه لا بد للمؤذنين من المحافظة على سنة الالتفات يمنة ويسرة عند الحيعلتين ، فإنهم كادوا أن يطبقوا على ترك هذه السنة تقيداً منهم باستقبال لاقط الصوت ، ولذلك نقترح وضع لاقطين على اليمين واليسار قليلاً بحيث يجمع بين تحقيق السنة المشار إليها والتبليغ الكامل .

ولا يقال : إن القصد من الالتفات هو التبليغ فقط ، وحينئذ فلا داعي إليه مع وجود المكبر ، لأننا نقول :

إنه لا دليل على ذلك ، فيمكن أن يكون في الأمر مقاصد أخرى قد تخفى على الناس فالأولى المحافظة على هذه السنة على كل حال .

---

(١) أو يتعطل المكبر .

## الجوابُ عَنِ الفِقْرةِ الرّابعَة

### تحقيق أن للجمعة وقتين :

٤ ـ للأذان المحمدي وقتان : الأول بعد الزوال مباشرة ، وعند صعودالخطيب ، والآخر قبل الزوال عند صعود الخطيب أيضاً ، وهذا مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره .

أما الأول فدليله ما تقدم في حديث السائب :

« أن الأذان كان أوله حين يجلس على المنبر وإذا قامت الصلاة » .

فهذا صريح في أن الأذان كان حين قيام سبب الصلاة ، وهو زوال الشمس كما تقدم مع جلوس الإمام على المنبر في ذلك الوقت ، ويشهد لهذا أحاديث :

أ ـ « عن سعد القرظ مؤذن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه كان يؤذن يوم الجمعة على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم إذا كان الفيء مثل الشراك » [١] .

أخرجه ابن ماجه ( ١/ ٣٤٢ ) والحاكم ( ٣/ ٦٠٧ ) .

ب ـ « قال الحافظ ابن حجر [٢] : في النسائي : أن خروج

---

(١) وذلك يكون أول ما يظهر زوال الشمس وهو المراد . قاله أبو الحسن السندي على ابن ماجه .

(٢) في « تلخيص الحبير » ( ٤/ ٥٨٠ ) وهو يشير بذلك إلى حديث أبي هريرة مرفوعاً :« من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة . . . » الحديث ، وفيه : « ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ،فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة=

الإمام بعد الساعة السادسة وهو أول الزوال » .

## الأحاديث في الوقت الآخر

وأما الوقت الآخر ففيه أحاديث :

أ - « عن سلمة بن الأكوع قال : « كنا نجمع [1] مع رسول الله صلىّ الله عليه وسلم إذا زالت الشمس ، ثم نرجع نتتبع الفيء » .

أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وابن أبي شيبة في « المصنف » ( ١/٢٠٧/١ ) .

ب - « عن أنس أن رسول الله صلىّ الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس » رواه البخاري وغيره .

ج - « عن جابر رضي الله عنه : « كان رسول الله صلىّ الله عليه وسلم إذ زالت الشمس صلىّ الجمعة » .

رواه الطبراني في « الأوسط » وإسناده حسن .

وهذه الأحاديث ظاهرة الدلالة على ما ذكرنا ، وذلك أنه من

---

=يستمعون الذكر .وهو في « الصحيحين »أيضاً ، ولعل عزو الحافظ إياه للنسائي وحده لأنه ترجم له بقوله « وقت الجمعة » والآخرون إنما أوردوه في فضل الجمعة ونحو ذلك ، وقد ناقش السندي ما ذكره الحافظ أن خروج الإمام بعد الساعة السادسة فقال :

« ولا يخفى أن زوال الشمس في آخر الساعة السادسة وأول الساعة السابعة ، ومقتضى الحديث أن الإمام يخرج عند أول الساعة السادسة ، ويلزم منه أن يكون خروج الإمام قبل الزوال فليتأمل »

وقد أجاب عن هذا الحافظ بما تراه مشروحاً في كتابه « فتح البارى » ( ٢/ ٢٩٤ ) فليراجعه من يشاء .

(١) أي نصلي الجمعة .

المعلوم أنه صلىٌ الله عليه وسلم كان يخطب قبل الصلاة خطبتين يقرأ فيهما القرآن ويذكر الناس ، حتى كان أحياناً يقرأ فيها « ق والقرآن المجيد » ففي « صحيح مسلم » ( ٣/ ١٣ ) عن أم هشام بنت حارثة ابن النعمان قالت : « ما أخذت ( ق والقرآن المجيد ) إلا عن لسان رسول الله صلىٌ الله عليه وسلم يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس » .

وصح عنه أنه قرأ فيها سورة براءة . رواه ابن خزيمة في « صحيحه » والحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي وغيره .

فإذا تذكرنا هذا علمنا أن الأذان كان قبل الزوال حتماً ، وكذا الخطبة طالما أن الصلاة كانت حين الزوال ، وهذا بين لا يخفى والحمد لله .

وأصرح من هذه الأحاديث في الدلالة على المطلوب حديث جابر الآخر وهو :

د ـ « وعنه قال : كان رسول الله صلىٌ الله عليه وسلم يصلي الجمعة ثم نذهب إلى جمالنا فنريحها حين تزول الشمس ، يعني النواضح » .

أخرجه مسلم ( ٣/ ٨-٩ ) والنسائي ( ١/ ٢٠٦ ) والبيهقي ( ٣/ ١٩٠ ) وأحمد( ٣/ ٣٣١ ) وابن أبي شيبة في « المصنف» ( ١/٢٠٧/١ ) .

فهذا صريح في أن الصلاة كانت قبل الزوال ، فكيف بالخطبة والأذان ؟

## الآثار في الوقت الآخر

ويشهد لذلك آثار من عمل الصحابة نذكر بعضها للاستشهاد بها .

أ - عن عبدالله بن سيدان السلمي قال :

« شهدت الجمعة مع أبي بكر الصديق فكانت خطبته وصلاته قبل نصف النهار ، ثم شهدنا مع عمر فكانت خطبته وصلاته إلى أن أقول : انتصف النهار ، ثم شهدنا مع عثمان فكانت خطبته وصلاته إلى أن أقول: زال النهار ، فما رأيت أحداً عاب ذلك ولا أنكره » .

رواه ابن أبي شيبة ( ١/ ٢/٢٠٦ ) والدار قطني ( ١٦٩ ) .

قلت : وإسناده محتمل للتحسين ، بل هو حسن على طريقة بعض العلماء كابن رجب وغيره فإن رجاله ثقات غير عبدالله بن سيدان ، قال الحافظ في « الفتح » ( ٢/ ٣٢١ ) :

« تابعي كبير ، إلا أنه غير معروف العدالة » .

قلت : قد روى عنه أربعة من الثقات ، وهم ثابت بن الحجاج ، وجعفر بن برقان كما في « الجرح والتعديل » ( ٢/ ٢/ ٦٨ ) وميمون بن مهران ، وحبيب بن أبي مرزوق كما في ثقات ابن حبان ( ١/ ١٠٦ ) .

وقول الحافظ بعد أن ساق له هذا الأثر :

« وقال البخاري : لا يتابع على حديثه ، بل عارضه ما هو أقوى منه » . ثم ذكر آثاراً صحيحة عن أبي بكر وعمر في التجميع بعد الزوال .

فأقول : لا تعارض بينها وبين هذا الأثر ، كما لا تعارض بين الأحاديث الموافقة له ، وبين الأحاديث الموافقة لها ، فالصحابة تلقوا الأمرين عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فكانوا ـ كما كان عليه السلام ـ يفعلون تارة هذا ، وتارة هذا .

ب ـ عن عبدالله بن سلمة قال :

« صلّى بنا عبدالله الجمعة ضحى ، وقال : خشيت عليكم الحر » .

أخرجه ابن أبي شيبة .

قلت : ورجاله ثقات غير عبدالله بن سلمة ، قال الحافظ في « الفتح » :

« صدوق إلا أنه ممن تغير لما كبر » .

قلت : ومثله إنما يخشى منه الخطأ في رفع الحديث أو في روايته عن غيره ، مما لم يشاهد ، وهو هنا يروي حادثة شاهدها بنفسه ، وهي في الواقع غريبة لمخالفتها للمعهود من الصلاة بعد الزوال ، فاجتماع هذه الأمور ، مما يرجح حفظه لما شاهد ، فالأرجح أن هذا الأثر صحيح ، ولعله من أجل ما ذكرنا احتج به الإمام أحمد ، فقال ابنه عبدالله في مسائله عنه ( ص ١١٢ ) :

« سئل عن وقت صلاة الجمعة ؟

قال : إن صلّى قبل الزوال فلا بأس ، حديث عمرو بن مرة ، عن عبدالله بن سلمة : أن عبدالله صلّى بهم الجمعة ضحى . وحديث سهل بن سعد : كنا نصلي ونتغدى بعد الجمعة ، كأنه يدل على أنه قبل الزوال » .

ج ـ عن سعيد بن سويد قال :

« صلّى بنا معاوية الجمعة ضحى » .

رواه ابن أبي شيبة ، عن عمرو بن مرة عنه .

قلت : وسعيد هذا لم يذكروا له راوياً غير عمرو هذا ، ومع ذلك ذكره ابن حبان في « الثقات »،( ١/ ٦٢ ) .

د ـ عن بلال العبسي :

« أن عماراً صلّى بالناس الجمعة ، والناس فريقان : بعضهم يقول : زالت الشمس ، وبعضهم يقول : لم تزل » .

رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح .

هـ ـ عن أبي رزين قال :

« كنا نصلي مع علي الجمعة ، فأحياناً نجد فيئاً ، وأحياناً لا نجده » .

رواه ابن أبي شيبة وإسناده صحيح على شرط مسلم .

قلت : وهذا يدل لمشروعية الأمرين ، الصلاة قبل الزوال ، والصلاة بعده ، كما هو ظاهر[1] .

ولهذه الأحاديث والآثار كان الإمام أحمد رحمه الله يذهب إلى جواز صلاة الجمعة قبل الزوال كما سبق وهو الحق كما قال الشوكاني وغيره ، وتفصيل القول في هذه المسألة لا تحتمله هذه العجالة فلتراجع في المطولات كـ « نيل الأوطار » وغيره .

(١) وأما قول الحافظ : « وهذا محمول على المبادرة عند الزوال أو التأخير قليلاً » فلا يخفى بعده ، فإن أبا رزين يخبر عما كانوا يشاهدونه ، فيقول : إنهم كانوا لا يجدون الفيء بعد صلاة الجمعة ، مع العلم أنه سبقها الخطبة والأذان .

# سُنّة الجمعة القَبْليّة لا تثبت

ومما سبق تعلم الجواب عن السؤال الثاني الوارد في الفقرة الرابعة :

« فمتى تصلى السنة القبلية إذا ثبتت ؟ » .

وهو أنه لا أصل لهذه السنة في السنة الصحيحة ولا مكان لها فيها ، فقد علمت من الأحاديث المتقدمة أن الزوال فالأذان فالخطبة فالصلاة سلسلة متصلة آخذ بعضها برقاب بعض فأين وقت هذه السنة ؟ ولهذا المعنى يشير كلام الحافظ العراقي :

« لم ينقل عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه كان يصلّي قبل الجمعة لأنه كان يخرج إليها فيؤذن بين يديه ثم يخطب » [1] .

وقد انتبه لهذا المعنى بعض علماء الحنفية حين ذهبوا إلى أنه إنما يجب السعي وترك البيع يوم الجمعة بالأذان الأول الذي يكون قبل صعود الخطيب وقالوا إنه هو الصحيح في المذهب ، مع علمهم أنه لم يكن في زمن النبي صلّى الله عليه وسلم زمن نزول الآية : ( إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ) الآية ، وأنها نزلت في الأذان الذي عند صعود الخطيب على المنبر كما تقدم ، علموا هذا كله لشهرته في كتب السنة ، ولم يكتفوا بذلك بل وضعفوا قول الطحاوي منهم الذي وافق ما في السنة بقوله : إن الأذان الذي يجب به ترك البيع إنما هو الذي عند صعود الخطيب فقالوا :

« لأنه لو اعتبر في وجوب السعي لم يتمكن من السنة القبلية

---

(١) « نيل الأوطار » ( ٣/ ٢١٦ ) ، وللحافظ في « الفتح » ( ٢/ ٣٤١ ) معناه وسيأتي نص كلامه ( ص ٢٧ ـ ٢٨ ) .

الخ » ! [1] .

فهذا اعتراف ضمني بأن السنة القبلية المزعومة لم تكن معروفة في العهد النبوي ، وأن الصحابة كانوا لا يصلونها لأنه لم يكن آنئذ الوقت الذي يتمكنون فيه من أدائها ، وهذا أمر صحيح ، ولذلك قال ابن القيم رحمه الله في « زاد المعاد في هدي خير العباد » :

« ومن ظن أنهم كانوا إذا فرغ بلال من الأذان قاموا كلهم فركعوا ركعتين فهو أجهل الناس بالسنة » .

وتعقبه الكمال ابن الهمام في « فتح القدير » ( ١/ ٤٢٢ ) فقال بعد أن نقل معنى كلامه دون أن يعزوه إليه :

« وهذا مدفوع بأن خروجه صلّى الله عليه وسلم كان بعد الزوال بالضرورة ، فيجوز كونه بعدما يصلي الأربع ، ويجب الحكم بوقوع هذا المجوز لما قدمنا في باب النوافل من عموم أنه كان يصلي إذا زالت الشمس أربعاً ، ويقول : « هذه ساعة تفتح فيها أبواب السماء ، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح » وكذا يجب في حقهم لأنهم أيضاً يعلمون الزوال » .

قلت : وهذا التعقب لا طائل تحته وهو مردود من وجوه :

أولاً : أنه بناه على أن خروجه صلّى الله عليه وسلم كان بعد الزوال بالضرورة . وليس كذلك على الاطلاق ، بل كان يخرج أحياناً قبل الزوال كما تقدم .

ثانياً : تقدم أنه صلّى الله عليه وسلم كان يبادر إلى الصعود على

---

(١) « البحر الرائق » ( ٢/ ١٦٨ ) ، و« العناية على الهداية » ( ١/ ٤٢١ ) .

المنبر عقب الزوال مباشرة ، فأين الوقت الذي يتسع لهذا الأمر المجوز ؟!

ثالثاً : لو أن النبي صلّى الله عليه وسلم كان يصلي أربع ركعات بعد الزوال وقبل الأذان لنقل ذلك عنه ، لا سيما وأن فيه أمراً غريباً غير معهود مثله في بقية الصلوات ، وهو الصلاة قبل الأذان ومثله صلاة الصحابة جميعاً لهذه السنة في وقت واحد في المسجد الجامع ، فإن هذا كله مما تتوافر الدواعي على نقله وتتضافر الروايات على حكايته ، فإذا لم ينقل شيء من ذلك دل على أنه لم يقع وقد قال أبو شامة في كتابه : « الباعث على إنكار البدع والحوادث » :

« فإن قلت لعله صلّى الله عليه وسلم صلّى السنة في بيته بعد زوال الشمس ثم خرج ؟ قلت : لو جرى ذلك لنقله أزواجه رضي الله عنهن كما نقلن سائر صلواته في بيته ليلاً ونهاراً ، وكيفية تهجده وقيامه بالليل ، وحيث لم ينقل شيء من ذلك فالأصل عدمه ، ودل على أنه لم يقع وأنه غير مشروع » .

قلت : وأما الحديث الذي رواه أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن ياسر في « حديث أبي القاسم علي بن يعقوب » (١٠٨) عن اسحاق بن إدريس ثنا أبان ثنا عاصم الأحول عن نافع عن عائشة مرفوعاً بلفظ :

« كان يصلي قبل الجمعة ركعتين في أهله » .

فهو باطل موضوع ، وآفته اسحاق هذا وهو الأسواري البصري قال ابن معين : « كذاب يضع الحديث » .

قلت : وتفرد هذا الكذاب برواية هذا الحديث من الأدلة الظاهرة على صدق قول أبي شامة : أنه لو جرى ذلك لنقله أزواجه ،

وذلك لأنه لو وقع، لنقله الثقات الذين تقوم بهم الحجة ، ولا يعقل أن يصرفهم الله عن نقله ، ويخص به أمثال هذا الـكذاب ، فذلك دليل على اختلاقه لهذا الحديث وأنه لا أصل له .

رابعاً : أن العموم الذي ادعاه في الحديث الذي أشار إليه غير صحيح عند التأمل في نصه الوارد في كتب السنة المطهرة ، بل هو خاص بصلاة الظهر ، وإنما جره إلى هذا الخطأ ، خطأ آخر وقع له في نقل الحديث في المكان الذي أشار إليه وأحال عليه ، فقد قال فيه ( ١/ ٣١٧ ) :

أخرج أبو داود في « سننه » والترمذي في « الشمائل » عن أبي أيوب الأنصاري عنه صلىّ الله عليه وسلم قال :

« أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم ، تفتح لهن أبواب السماء » .

وضعف بعبيدة بن معتب الضبي .

وله طريق آخر ، قال محمد بن الحسن في « الموطأ » :«حدثنا بكر ابن عامر البجلي عن إبراهيم والشعبي عن أبي أيوب الأنصاري أنه صلىّ الله عليه وسلم كان يصلي أربعاً إذا زالت الشمس فسأله أبو أيوب عن ذلك فقال : إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة ، فأحب أن يعد لي في تلك الساعة خير . قلت أفي كلهن قراءة ؟ قال : نعم ، قلت : أيفصل بينهن بسلام ؟ قال : لا » .

والعموم الذي سبق أن أشار إليه هو قوله : « كان يصلي أربعاً إذا زالت الشمس » وصحيح أن هذا عموم وأنه يشمل زوال الجمعة كما يشمل زوال الظهر .

ولكن ليس صحيحاً نقله بهذا اللفظ الشامل ، فإن سياقه في

« موطأ محمد » ( ص ١٥٨ ) هكذا :

« كان يصلي قبل الظهر أربعاً إذا زالت الشمس » الحديث .

وهكذا نقله الزيلعي في « نصب الراية » ( ٢/ ١٤٢ ) عن الموطأ ، فقد عاد الحديث إلى أنه خاص بصلاة الظهر وزواله ، كما رجع حجة عليه لا له ، ومثل هذا الحديث بل أصرح منه حديث عبدالله بن السائب :

« أن رسول الله صلىّ الله عليه وسلم كان يصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر وقال : إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح » .

أخرجه أحمد ( ٣/ ٤١١ ) والترمذي ( ٢/ ٣٤٣ ) وحسنه ، وإسناده صحيح على شرط مسلم .

فانظر إلى النكتة في قوله : « قبل الظهر » عقب قوله : « بعد أن تزول الشمس » فإن كل أحد يعلم أن الزوال إنما يكون قبل الظهر ، فإنما قيده بذلك ليخرج من عموم : « بعد أن تزول الشمس » صلاة الجمعة ، فقد آب الحديث متفقاً مع الأحاديث المتقدمة النافية لسنة الجمعة القبلية .

خامساً : لو سلمنا بـ « عمومية الحديث » لقلنا بأنه من العام المخصوص بدليل النصوص المتقدمة ، ولهذا لا يقال أن العلة المذكورة فيه : « إنها ساعة . . . الخ » تقتضي أنه صلىّ الله عليه وسلم كان يصلي قبل الجمعة أيضاً ، لأنا نقول : يمنع من ذلك الأدلة المشار إليها ، على أن غاية ما تفيده هذه العلة محبته صلىّ الله عليه وسلم أن يصعد له في تلك الساعة عمل صالح ، ولا نشك في أن ذلك كان حاصلاً له صلىّ الله عليه وسلم يوم الجمعة أكثر من غيره من الأيام ،

ذلك لأنه في تلك الساعة كان يخطب خطبة الجمعة التي لا بد منها ، يعظ الناس ويذكرهم بربهم ويعلمهم أمور دينهم فذلك أفضل له صلىّ الله عليه وسلم من أربع ركعات فائدتها خاصة به ، بينما تلك فائدتها عائدة إلى المجموع فكانت أفضل .

سادساً : روى البخاري ( ١/ ٣٩٤ ) عن ابن عمر قال :

« صليت مع رسول الله صلىّ الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعد الظهر ، وركعتين بعد الجمعة ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء » . ورواه مسلم ( ٢/ ١٦٢ ) وزاد :

« فأما المغرب والعشاء والجمعة ، فصليت مع النبي صلىّ الله عليه وسلم في بيته» .

فهذا كالنص على أنه صلىّ الله عليه وسلم كان لا يصلي قبل الجمعة شيئاً لا في البيت ولا في المسجد ، إذ لو كان شيء من ذلك ، لنقله لنا ابن عمر رضي الله عنه كما نقل سنتها البعدية ، وسنة الظهر القبلية فذكر هذه السنة للظهر دون الجمعة أكبر دليل على أنه ليس لها سنة قبلية ، فبطل بذلك دعوى وقوع « هذا المجوز » ! كما يبطل به دعوى قياس الجمعة على الظهر في السنة القبلية !

## لم يقل أحد من الأئمة بالسنة القبلية :

فثبت مما تقدم أن لا دليل في حديث أبي أيوب على سنية أربع ركعات قبل الجمعة بعد الزوال ، « ولهذا كان جماهير الأئمة متفقين على أنه ليس قبل الجمعة سنة موقتة بوقت ، مقدرة بعدد ؛ لأن ذلك إنما يثبت بقول النبي صلىّ الله عليه وسلم أو فعله ، وهو لم يسن في ذلك شيئاً لا بقوله ولا بفعله ، وهذا مذهب مالك والشافعي وأكثر

أصحابه ، وهو المشهور في مذهب أحمد [1] » وقال العراقي : « ولم أرَ للأئمة الثلاثة ندب سنة قبلها [2] » .

وأما الحديث الذي أخرجه ابن ماجه ( ١/ ٣٤٧ ) عن ابن عباس قال : « كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يركع قبل الجمعة أربعاً لا يفصل في شيء منهن » . فإسناده ضعيف جداً كما قال الزيلعي في « نصب الراية » ( ٢/ ٢٠٦ ) وابن حجر في « التلخيص » ( ٤/ ٦٢٦ ) ؛ وقال النووي في « الخلاصة » : إنه حديث باطل . وتفصيل القول في ضعفه يراجع في « زاد المعاد » ( ١/ ١٧٠ ـ ١٧١ ) و « الباعث » ( ص ٧٥ ) .

ولا يغيب عنا أن في الباب أحاديث أخرى عن غير ابن عباس ، ولكن أسانيدها ضعيفة أيضاً ، فإن مدارها على ضعفاء ومجاهيل ، وقد ضعفها كلها الحافظ في « الفتح » ( ٢/ ٣٤١ ) فاقصده إن شئت .

ولذلك رأيت ابن الهمام فيما سبق ينصرف عن الاحتجاج بشيء منها إلى الاحتجاج بما صح سنده ، ولكن ليس له علاقة بالباب ، وقد سبقه إلى نحو ذلك النووي رحمه الله فاحتج بحديث آخر صحيح لكنه غير صريح في دلالته ، وهو ما أخرجه أبو داود في سننه بإسناد صحيح

---

(١) شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية في « الفتاوى » ( ١/ ١٣٦ ) و « مجموعة الرسائل الكبرى » له ( ٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨ ) .

(٢) المناوي في « فيض القدير » ، ولذلك لم يرد لهذه السنة المزعومة ذكر في « كتاب الام » للإمام الشافعي ، ولا في « المسائل » للامام أحمد ، ولا عند غيرهما من الأئمة المتقدمين فيما علمت ، ولهذا فإني أقول : إن الذين يصلون هذه السنة ، لا الرسول صلىٰ الله عليه وسلم اتبعوا ، ولا الأئمة قلدوا ، بل قلدوا المتأخرين الذين هم مثلهم في كونهم مقلدين غير مجتهدين ، فاعجب لمقلد يقلد مقلداً !!

على شرط البخاري عن أيوب عن نافع قال : « كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ، ويصلي بعدها ركعتين في بيته ، ويحدث أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك » .

فهذا ظاهره أنه صلّى الله عليه وسلم كان يفعل كلاً من الأمرين الصلاة قبل الجمعة ، والصلاة بعدها . ولكن الأول غير مراد كما سبق في رواية البخاري عن ابن عمر [1] ، وكما بينته رواية أخرى ، قال الحافظ في « الفتح » ( ٢/ ٣٤١ ) :

« احتج به النووي في « الخلاصة » على إثبات سنة الجمعة التي قبلها ، وتعقب بأن قوله : « كان يفعل ذلك » عائد على قوله : « ويصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته » ويدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبدالله أنه « كان إذا صلّى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يصنع ذلك » أخرجه مسلم . قال الحافظ :

« وأما قوله : « كان يطيل الصلاة قبل الجمعة » فإن كان المراد بعد دخول الوقت فلا يصح أن يكون مرفوعاً ، لأنه صلّى الله عليه وسلم كان يخرج إذا زالت الشمس فيشتغل بالخطبة ثم بصلاة الجمعة .

وإن كان المراد قبل دخول الوقت فذلك مطلق نافلة ، لا صلاة راتبة ، فلا حجة فيه لسنة الجمعة التي قبلها ، بل هو نفل مطلق ، وقد ورد الترغيب فيه كما تقدم في حديث سلمان وغيره حيث قال فيه : ثم صلّى ما كتب له » .

---

(١) ص ( ٧٥ - ٧٦ ).

## جَواز الصَّلاة قَبل الزوال يَوم الجمعَة :

وحديث سلمان المشار إليه آنفاً في كلام الحافظ لفظه عند البخاري :

« لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدهن من دهن ، أو يمس من طيب بيته ثم يخرج ، فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام ، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » .

وأخرجه النسائي والدارمي .

قلت : فهذا الحديث يبين بجلاء وظيفة الداخل إلى المسجد يوم الجمعة في أي وقت كان ، هي أن يصلي ما قدر له ، ( وفي حديث آخر : « ما بدا له ») حتى يخرج الإمام فينصت له ، فهو دليل صريح أو كالصريح على جواز الصلاة قبل الزوال يوم الجمعة ، وذلك من خصوصيات هذا اليوم كما بينه المحقق ابن القيم في « الزاد » ( ١/ ١٤٣ ) ، واحتج له بهذا الحديث فقال عقبه :

« فندبه إلى صلاة ما كتب له ولم يمنعه عنها إلا في وقت خروج الإمام ، لانتصاف النهار » .

ثم ذكر مذاهب العلماء في الصلاة قبل الزوال ، وهي ثلاثة : مباح مطلقاً يوم الجمعة وغيره ، ومكروه مطلقاً ، والثالث أنه وقت كراهة إلا يوم الجمعة ، وهو مذهب الشافعي وهو الحق الذي اختاره جماعة من الحنفيين وغيرهم ، وهو قول الإمام أبي يوسف رحمه الله وهو المعتمد المصحح في المذهب كما في « الأشباه والنظائر » وعليه الفتوى

كما في الطحطاوي على « مراقي الفلاح [1] » .

وعلى هذا جرى عمل الصحابة رضي الله عنهم فروى ابن سعد في « الطبقات » ( ٨/ ٣٦٠ ) بإسناد صحيح على شرط مسلم عن صافية قالت :

« رأيت صفية بنت حيي ( وهي من أزواج النبي صلىّ الله عليه وسلم ماتت في ولاية معاوية ) صلت أربعاً قبل خروج الإمام ، وصلت الجمعة مع الإمام ركعتين » .

وفي « الزاد » قال ابن المنذر : روينا عن ابن عمر أنه كان يصلي قبل الجمعة اثنتي عشرة ركعة ، وعن ابن عباس أنه كان يصلي ثمان ركعات .

وهذا دليل على أن ذلك كان منهم من باب التطوع المطلق ، ولذلك اختلف العدد المروي عنهم في ذلك ، وقال الترمذي في الجامع :

« وروي عن ابن مسعود أنه كان يصلي قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً وإليه ذهب ابن المبارك والثوري » . وقال أبو شامة ( ص ٧٠ ) بعد أن نقل قول ابن المنذر المذكور :

« ولذلك اختلف العدد المروي عنهم ، وباب التطوع مفتوح ، ولعل ذلك كان يقع منهم أو معظمه قبل الأذان ودخول وقت الجمعة ، لانهم كانوا يبكرون ويصلون حتى يخرج الإمام ، وقد فعلوا مثل ذلك في صلاة العيد ، وقد علم قطعاً أن صلاة العيد لا سنة لها ، وكانوا يصلون بعد ارتفاع الشمس في المصلى وفي البيوت ثم

(١) وراجع تحقيق القول في ذلك في (اعلام أهل العصر لأحكام ركعتي الفجر) لشمس الحق العظيم الآبادي .

يصلون العيد ، روي ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين، وبوب له الحافظ البيهقي باباً في سننه .

ثم الدليل على صحة ذلك أن النبي صلىٌّ الله عليه وسلم كان يخرج من بيته يوم الجمعة فيصعد منبره؛ ثم يؤذن المؤذن فإذا فرغ، أخذ النبي صلىٌّ الله عليه وسلم في خطبته، ولو كان للجمعة سنة قبلها لأمرهم بعد الأذان بصلاة السنة وفعلها هو صلىٌّ الله عليه وسلم، ولم يكن في زمن النبي صلىٌّ الله عليه وسلم غير هذا الأذان ، وعلى ذلك مذهب المالكية إلى الآن » .

وقد يشير إلى أنه لا سنة للجمعة قبلها قوله صلىٌّ الله عليه وسلم .

« إذا صلىٌّ أحدكم الجمعة فليصلٌ بعدها أربعاً » [1] .

---

(١) رواه مسلم ( ٣/ ١٦ ـ ١٧ ) والنسائي ( ٢١٠ ) والترمذي ( ٢/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ) والدارمي ( ١/ ٣٧ ) وابن ماجه ( ١١٣٢ ) والبيهقي ( ٣/ ٢٤٠ ) وأحمد ( ٢/ ٢٤٩ و٤٤٢ و٤٩٩ ) وكذا الطيالسي ( ٢٤٠٦ ) والدولابي في « الكنى والأسماء » ( ١/ ١٠٩ ) وأبو نعيم في « حلية الأولياء » ( ٧/ ٣٣٤ ) والخطيب في « تاريخ بغداد » ( ٢/ ١٣٨ و٨/ ٨٥ و١٤/ ٢٨ ) من طرق كثيرة منها سفيان كلهم عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً . وقال الترمذي :

« حديث حسن صحيح » ولفظه : « من كان منكم مصلياً بعد الجمعة فليصلٌ أربعاً » .

وهو رواية لمسلم . ورواه عبيد بن سعيد عن ابيض بن إبان عن سهل بن أبي صالح به بلفظ :

« . . . فليصلٌ قبلها أربعاً وبعدها أربعاً » . فزاد الأربع قبلها .

أخرجه ابن السماك في « الأول من الرابع من حديثه » ( ق ١٠٧/ ٢ ) وأبو جعفر الرزاز في « ستة مجالس من الأمالي » ( ق ٢٣٢/ ١ ) عن عبيد به ؛ وزاد :=

فإنه لو كان قبلها سنة لذكرها في هذا الحديث مع السنة البعدية ، فهو أليق مكان لذكرها .

والخلاصة : أن المستحب لمن دخل المسجد يوم الجمعة في أي وقت أن يصلي قبل أن يجلس ما شاء نفلاً مطلقاً غير مقيد بعدد ، ولا موقت بوقت ، حتى يخرج الإمام ، أما أن يجلس عند الدخول بعد صلاة التحية أو قبلها ؛ فإذا أذن المؤذن بالأذان الأول ، قام الناس يصلون أربع ركعات ، فمما لا أصل له في السنة بل هو أمر محدث ، وحكمه معروف .

وقد يتوهم متوهم أن هذا القيام والصلاة كان معروفاً على عهد عثمان ، وأن من أسباب أمره بالأذان الأول هو إيجاد فسحة من الوقت بينه وبين الأذان الثاني ليتمكنوا من السنة القبلية ! وهذا مع أنه مما لا دليل عليه وإنما هو مجرد ظن ، والظن لا يغني من الحق شيئاً - ومع أنه لم ينقل فإن في حديث السائب السابق ما يبعد وقوعه ، ففيه « أن الأذان الأول كان في السوق » والسنة القبلية لا تكون في السوق

= « قال عبيد : قلت لأبيض : « إن سفيان الثوري حدثني عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً : من كان منكم مصلياً بعد الجمعة فليصلّ أربعاً ؟ قال أبيض : ذاك كما سمع سفيان ، وهذا كما سمعت أنا » !

قلت : ولا يشك حديثي في بطلان هذه الزيادة لتفرد ابن أبان بها ، وهو ليس بالقوي ، كما قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » ( ١/ ١/ ٣١٢ ) عن أبيه ولأنه خالف سفيان ومن معه من الثقات الذين أشرنا إليهم ، فلا جرم إن أعرض عنها أصحاب السنن وغيرهم فضلاً عن مسلم في صحيحه .

ولقد وهم الباجوري على ابن القاسم في هذا الحديث وهماً فاحشاً حيث أورده ( ١/ ١٣٤ ) بهذه الزيادة الباطلة معزواً لمسلم ! واستدل به على أن الجمعة كالظهر ، قال : « فيسن قبلها أربع وبعدها أربع » !

عادة بل في المسجد ، ومن كان فيه لا يسمعه حتى يصلي حينئذ ! ثم إنه لم ينقل أيضاً أن هشاماً لما نقل الأذان العثماني من الزوراء إلى باب المسجد ، ونقل الأذان النبوي منه إلى داخل المسجد كما تقدم لم ينقل أنهم كانوا يصلون بين الأذانين ، ولو فعلوا لما كان في ذلك حجة ، لأنه بعد انقراض عهد الصحابة ، وما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى .

ولذلك قال ابن الحاج في « المدخل » ( ٢/ ٢٣٩ ) :

« وينهي الناس عما أحدثوه من الركوع بعد الأذان الأول للجمعة لأنه مخالف لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم ، لأنهم كانوا على قسمين : فمنهم من كان يركع حين دخوله المسجد ولا يزال كذلك حتى يصعد الإمام المنبر ، فإذا جلس عليه قطعوا تنفلهم ، ومنهم من كان يركع ويجلس حتى يصلي الجمعة ، ولم يحدثوا ركوعاً بعد الأذان الأول ولا غيره ، فلا المتنفل يعيب على الجالس ، ولا الجالس يعيب على المتنفل ، وهذا بخلاف ما هم اليوم يفعلونه ، فإنهم يجلسون حتى إذا أذن المؤذن قاموا للركوع [1] ! فإن قال قائل : هذا وقت يجوز فيه الركوع ،

فقد روى البخاري عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بين كل أذانين صلاة ، قالها ثلاثاً ، وقال في الثالثة : لمن شاء ،

---

(١) يعني الصلاة ، قلت : وهذا بخلاف ما هم اليوم عليه حيث إنهم ينكرون على الجالس ، زاعمين أنه تارك للسنة ، والسنة معه وعليهم !

فالجواب أن السلف رضوان الله عليهم أفقه بالحال وأعرف بالمقال ، فما يسعنا إلا اتباعهم فيما فعلوه » .

قلت : وهذا الجواب غير كافٍ ولا شافٍ لأنه أوهم التسليم بأن الحديث يدل على مشروعية قصد الصلاة بين أذان عثمان والأذان النبوي ، وليس كذلك ، فلا بد إذن من توضيح ذلك فأقول :

إن الحديث لا يدل على ذلك البتة لأن معنى قوله فيه : « أذانين أي أذان وإقامة ، قال الحافظ :

« وقد جرى الشراح على أن هذا من باب التغليب كقولهم ( القمرين ) للشمس والقمر ، ويحتمل أن يكون أطلق على الإقامة أذان لأنها إعلان بحضور فعل الصلاة ، كما أن الأذان إعلام بدخول الوقت » .

قلت : وسواء كان هذا أو ذاك فالمراد بالأذان الثاني فيه الإقامة قولاً واحداً ، فإذا كان الأمر كذلك فلا يصلح لما ذهب إليه القائل المذكور .

ثم إننا لو فرضنا أن الحديث على ظاهره وإنه يشمل أذان عثمان مع أنه لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم اتفاقاً ـ لما دل إلا على استحباب صلاة مطلقة غير مقيدة بعدد، وليس البحث في ذلك ، وإنما هو في كونها سنة راتبة مؤكدة وفي كونها أربع ركعات ، فهذا مما لا يقوم بصحته دليل لا هذا الحديث ولا غيره كما تقدم بيانه مفصلاً .

ويؤيد ما ذكرته أن أحداً من العلماء لم يستدل بالحديث المذكور على سنية صلاة معينة بركعات محدودة بين الأذانين وخاصة أذان المغرب وإقامته ، بل غاية ما قالوا أنه يدل على الندب فقط ، وعلى صلاة مطلقة غير محدودة الركعات ، فليكن الأمر كذلك هنا على

الفرض الذي ذكرنا ، وهذا ظاهر لمن أنصف .

ولكن الحق أن الحديث لا يدل على مشروعية التنفل إطلاقاً بين أذاني الجمعة كما سبق بيانه في أول البحث ، فهو المعتمد .

هذا وأما قول السائل في هذه الفقرة :

« وهل تصلى السنة عقب دخول الوقت بلا أذان ؟ » .

فنقول : يجب أن يتولى الاجابة عن هذا الذين يذهبون إلى مشروعية هذه السنة ، وأما نحن الذين لا نرى مشروعيتها فالسؤال غير وارد علينا ، وإنما نقول كلمة موجزة وهو كالخلاصة لهذا البحث المتقدم :

إن الثابت في السنة والذي جرى عليه الصحابة هو الصلاة قبل الأذان وقبل الوقت صلاة مطلقة غير مقيدة بوقت ولا بعدد ، فمن كان مقتدياً فبهداهم فليقتد ، فإن خير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

## خلاصة الرّسالة

والخلاصة : أن الذي ثبت في السنة وجرى عليه السلف الصالح رضي الله عنهم ، هو الاكتفاء بالأذان الواحد ، عند صعود الخطيب على المنبر .

وأن يكون خارج المسجد على مكان مرتفع .

وأنه إن احتيج إلى أذان عثمان ، فمحله خارج المسجد أيضاً ، في المكان الذي تقتضيه المصلحة ، ويحصل به التسميع أكثر .

وأن الأذان في المسجد بدعة على كل حال .

وأن لصلاة الجمعة وقتين بعد الزوال وقبله .

وأن من دخل المسجد قبل الأذان صلىّ نفلاً مطلقاً ما شاء من الركعات .

وأن قصد الصلاة بين الأذان المشروع ، والأذان المحدث تلك التي يسمونها سنة الجمعة القبلية لا أصل لها في السنة ، ولم يقل بها أحد من الصحابة والأئمة .

وهذا آخر ما تيسر تحريره من الاجابة على الأسئلة المقدمة ، أرجو الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وسبباً للفوز بالنعيم المقيم ، ونجاة من عذاب الجحيم ، إنه هو البر الرحيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق : نهار الخميس ٢٤ رمضان ١٣٧٠ هـ
الموافق ٢٨ حزيران ١٩٥١ م

كتبه
خادم السنة المطهرة
أبو عبد الرحمن
محمد ناصرالدين الألباني

# أحكام الجمعة

ثم إنني بعد أن قدمت رسالة ( الأجوبة النافعة ) للطبع ، وقفت على كتاب « الموعظة الحسنة بما يخطب في شهور السنة » [1] تأليف العلامة المحقق أبو الطيب صديق حسان خان ، فرأيت فيه فصلاً خاصاً في ( الكلام على صلاة الجمعة ) ( ص ٧ ـ ٣٥ ) ، تكلم فيه كما قال : « على أمهات مسائل ، ثبتت من السنة المطهرة ، وصح دليلها » وغالبها مما حقق القول فيه في كتابه الآخر « الروضة الندية » ، بل هو أحياناً ينقل منها بعض المسائل بالحرف الواحد .

فرأيت أن ألخص جل تلك المسائل ، وأذيل بها هذه الرسالة لما فيها من التحقيق والتدقيق الذي عرف به المؤلف رحمه الله تعالى ، وكان لا بد من التعليق على بعضها ، حينما يقتضي ذلك التحقيق العلمي ، والنصح الديني ، وأعرضت عن ذكر بعضها ، إما لأنه مما لا ضرورة إليها ، أو لم يقم الدليل العلمي على صحتها .

والله أسأل أن يجزي المؤلف ، والمنفق على طبعه والقائم عليه خير الجزاء، وأن ينفع به القراء، إنه خير مسؤول .

## حكم صلاة الجمعة [2] :

١ ـ الجمعة حق على كل مكلف ، واجبة على كل محتلم ، بالأدلة المصرحة بأن الجمعة حق على كل مكلف ، وبالوعيد الشديد على

( ١ ) وهو من مطبوعات المكتب الاسلامي .

(٢) هذا العنوان وما يليه من عناوين ليست من المؤلف وإنما هي من وضعنا .

تاركها ، وبهمه صلىٰ الله عليه وسلم بإحراق المتخلفين عنها [1] .
وليس بعد الأمر القرآني المتناول لكل فرد في قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ) [ الجمعة ٩ ] حجة بينة واضحة . وقد أخرج أبو داود من حديث طارق بن شهاب أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « الجمعة حق واجب على كل مسلم [ في جماعة ] [2] إلا أربعة : عبد مملوك ، أو امرأة ، أو صبي ، أو مريض » . وقد صححه غير واحد من الأئمة .

## الإمام الأعظم !

٢ ـ لا يشترط الامام الأعظم للجمعة ، ولو كان مجرد إقامتها ـ به صلىٰ الله عليه وسلم أو بمن هو من جهته ـ يستلزم اشتراط الإمام الأعظم فيها ، لكان الإمام الأعظم شرطاً في سائر الصلوات ، لأنها لم تقم إلا به في عصره صلىٰ الله عليه وسلم أو بمن يأمره بذلك ، واللازم باطل ، فالملزوم مثله .

والحاصل أنه ليس على هذا الاشتراط أثارة من علم ، بل لم يصح ما يروى في ذلك عن بعض السلف ، فضلاً عن أن يصح فيه شيء عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ومن طول المقال في هذا المقام فلم يأت بطائل قط [3] .

---

(١) قلت : قد ورد في « الصحيحين » مثل هذا الوعيد في المتخلفين عن صلاة الجماعة أيضاً فهي واجبة أيضاً على الأعيان ، وهو الراجح في مذهب الحنفية وغيرهم ، فيجب الاهتمام بها ، ولا يجوز التكاسل والالتهاء عنها .

(٢) سقطت هذه الزيادة من الأصل « الموعظة » وهي ثابتة عند أبي داود (١٠٦٧) وهكذا ذكره المؤلف في « الروضة » ( ١/ ١٣٤) من طريق أبي داود بهذه الزيادة ، وستعلم أهمية هذه الزيادة في المسألة (٣) .

(٣) قلت : ومما تقدم تعرف قيمة الشرط المذكور في صلاة العيدين أيضاً !

## العدد في الجمعة :

٣ - صلاة الجماعة قد صحت بواحد مع الإمام ، وصلاة الجمعة هي صلاة من الصلوات ، فمن اشترط فيها زيادة على ما تنعقد به الجماعة ، فعليه الدليل ، ولا دليل ، والعجب من كثرة الأقوال في تقدير العدد حتى بلغت إلى خمسة عشر قولاً ، ليس على شيء منها دليل يستدل به قط ، إلا قول من قال : إنها تنعقد جماعة الجمعة بما تنعقد به سائر الجماعة ، كيف والشروط إنما تثبت بأدلة خاصة تدل على انعدام المشروط عند انعدام شرطه ، فإثبات مثل هذه الشروط بما ليس بدليل أصلاً ، فضلاً عن أن يكون دليلاً على الشرطية مجازفة بالغة ، وجرأة على التقول على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى شريعته .

لا أزال أكثر التعجب من وقوع مثل هذا للمصنفين ، وتصديره في كتب الهداية ، وأمر العوام والمقصرين باعتقاده والعمل به ، وهو على شفا جرف هاو ، ولم يختص هذا بمذهب من المذاهب ، ولا بقطر من الأقطار ، ولا بعصر من العصور ، بل تبع فيه الآخر الأول ، كأنه أخذه عن أم الكتاب ! وهو حديث خرافة !

فيا ليت شعري ما بال هذه العبادة من بين سائر العبادات تثبت لها شروط وفروض وأركان بأمور لا يستحل العالم المحقق بكيفية الاستدلال أن يجعل أكثرها سنناً ومندوبات ؛ فضلاً عن فرائض وواجبات ، فضلاً عن شرائط ؟!

والحق أن هذه الجمعة فريضة من فرائض الله سبحانه ، وشعار من شعائر الإسلام ، وصلاة من الصلوات ، فمن زعم أنه يعتبر فيها ، ما لا يعتبر في غيرها من الصلوات ، لم يسمع منه ذلك إلا بدليل .

فإذا لم يكن في المكان إلا رجلان ، قام أحدهما يخطب ، واستمع له الآخر ثم قاما فصليا [ فقد صليا ] [1] صلاة الجمعة .

والحاصل أن جميع الأمكنة صالحة لتأدية هذه الفريضة [2] ، إذا سكن فيها رجلان مسلمان كسائر الجماعات . بل لو قال قائل : إن الأدلة الدالة على صحة صلاة المنفرد شاملة لصلاة الجمعة - لم يكن بعيداً عن الصواب [3] .

---

(١) زيادة على الأصل يقتضيها السياق .

(٢) قلت : ومن هذه الأمكنة القرى والبوادي والتلاع والمصايف ومواطن النزهه . وقد روى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة أنهم كتبوا إلى عمر يسألونه عن الجمعة ؟ فكتب : جمعوا حيثما كنتم . وسنده صحيح . وعن مالك قال : كان أصحاب محمد صلىً الله عليه وسلم في هذه المياه بين مكة والمدينة يجمعون .

(٣) قلت : في هذا نظر ظاهر يتبين لمن تنبه لقوله صلىً الله عليه وسلم « في جماعة » في حديث طارق بن شهاب الذي تقدم في المسألة الأولى ، وقد تنبه له المؤلف رحمه الله تعالى في كتابه الآخر « الروضة » فقال (١٣٤) بعد أن ذكر نحو كلامه المذكور في الأعلى ، قال متعقباً عليه :

« ولولا حديث طارق بن شهاب المذكور قريباً من تقييد الوجوب على كل مسلم بكونه في جماعة ، ومن عدم إقامتها صلىً الله عليه وسلم في زمنه في غير جماعة ، لكان فعلها فرادى مجزئاً ، كغيرها من الصلوات » .

فهذا نص منه انها لا تجزىء فرادى لحديث طارق وما ذكر معه . وهو الصواب الذي نقطع به . ولعل سبب عدم تنبه المؤلف هنا لما ذكرنا ، إنما هو سقوط كلمة ( في جماعة ) من الحديث من قلمه كما سبق ان نبهنا عليه هناك ، فلم يكن في الكتاب ما ينبهه ولا في الحافظة ما يذكره . والله أعلم .

ثم رأيت الصنعاني رحمه الله قد ذكر في « سبل السلام » ( ٢/ ٧٤ ) :

« إن صلاة الجمعة لا تصح إلا جماعة إجماعاً » .

## تعدد الجمعة في البلد الواحد :

٤ ـ صلاة الجمعة صلاة من الصلوات ، يجوز أن تقام في وقت واحد جمع متعددة في مصر واحد ، كما تقام جماعات سائر الصلوات في المصر الواحد ، ومن زعم خلاف هذا ، كان مستند زعمه مجرد الرأي ، وليس ذلك بحجة على أحد ، وإن كان مستند زعمه الرواية ، فلا رواية .

والحاصل أن المنع من جمعتين في مصر واحد ، إن كان لكون من شرط صلاة الجمعة أن لا يقع مثلها في موضع واحد أو أكثر فمن أين هذا ؟! وما الذي دل عليه ؟! فإن كان مجرد أنه صلىٌ الله عليه وسلم لم يأذن بإقامة جمعة غير جمعته في المدينة وما كان يتصل بها من القرى ، فهذا مع كونه لا يصح الاستدلال على الشرطية المقتضية للبطلان ، بل ولا على الوجوب الذي هو دونها ، يستلزم أن يكون الحكم هكذا في سائر الصلوات الخمس [1] فلا تصح الصلاة جماعة في موضع لم يأذن النبي صلىٌ الله عليه وسلم بإقامة الجماعة فيه ، وهذا من أبطل الباطلات . وإن كان الحكم ببطلان المتأخرة من الجمعتين [2] إن علمت ـ وكلتيهما مع اللبس ـ لأجل حدوث مانع فما هو ؟ فإن الأصل صحة الأحكام التعبدية في كل مكان وزمان إلا أن يدل الدليل على

(١) قلت : وكذا صلاة العيدين ، بل الإلزام فيها أقوى ، لما هو معلوم من أنه لم يكن رسول الله صلىٌ الله عليه وسلم يصلي العيد في المدينة إلا في مكان واحد وهو المصلى ، ومع هذا لم يقولوا بمنع التعدد فيها !

(٢) قلت : وأما ما اشتهر على الألسنة في هذه الأزمنة ، وهو قولهم « الجمعة لمن سبق » فلا أصل له في السنة ، وليس بحديث ، وإنما هو رأي لبعض الشافعية ، ظنه من لا علم عنده حديثاً نبوياً ! وإذا عرفت مستند القائلين بعدم جواز تعدد الجمعة في البلد الواحد ، تعرف حينئذ حكم صلاة الظهر بعد الجمعة ، التي يفعلها بعض الناس في بعض المساجد !

المنع ، وليس ههنا من ذلك شيء البتة [1] .

## من فاتته الجمعة ماذا يصلي ؟

٥ ـ الجمعة فريضة من الله عز وجل فرضها على عباده ، فإذا فاتت لعذر فلا بد من دليل يدل على وجوب صلاة الظهر ، وفي حديث ابن مسعود « ومن فاتته الركعتان فليصلِّ أربعاً » [2] . فهذا يدل على

(١) قلت : هذا صحيح ، ولكن من المعلوم أن النبي صلّى الله عليه وسلم فرق عملياً بين صلاة الجمعة ، والصلوات الخمس ، فإنه ثبت أنه كان في المدينة عدة مساجد تقام فيها صلاة الجماعة ، ومن الأدلة على ذلك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلي صلاة العشاء وراء النبي صلّى الله عليه وسلم ، ثم يذهب إلى قومه فيصلي بهم إماماً صلاة العشاء ، هي له تطوع ولهم فريضة . وأما الجمعة فلم تكن لتتعدد ، بل كان أهل المساجد الأخرى كلهم يأتون إلى مسجده صلّى الله عليه وسلم فيجمعون فيه ، فهذا التفريق العملي منه صلّى الله عليه وسلم بين الجماعة والجمعة ، لم يكن عبثاً ، فلا بد إذن من النظر إليه بعين الاعتبار ، وهو وإن كان لا يقتضي الحكم بالشرطية التي صب المؤلف كلامه كله في نفيها ، فإنه على الأقل يدل على أن تعدد الجمعة بدون ضرورة خلاف السنة . وإذا كان الأمر كذلك ، فينبغي الحيلولة دون تكثير الجمع ، والحرص على توحيدها ما أمكن اتباعاً للنبي صلّى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده ، وبذلك تتحقق الحكمة من مشروعية صلاة الجمعة وفوائدها اتم تحقق ، ويقضى على التفرق الحاصل بسبب إقامتها في كل المساجد : كبيرها وصغيرها ، وحتى إن بعضها ليكاد أن يكون متلاصقاً ، الأمر الذي لا يمكن أن يقول بجوازه من شم رائحة الفقه الصحيح .

(٢) قلت : رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » ( ١/١٢٦/١ ) والطبراني في « الكبير » ( ٢/٣٨/٢ ) واللفظ له من طرق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود . وبعض طرقه صحيح وحسنه الهيثمي في « المجمع » ( ١٩٢/٢ ) ، ولعل استدلال المؤلف بحديث ابن مسعود مع أنه موقوف إنما هو بسبب أنه لا يعرف له مخالف من الصحابة ، ومؤيد بمفهوم حديث أبي هريرة الآتي قريباً ويشهد له ما في « المصنف » (١/٢٠٦/١) بسند صحيح عن عبدالرحمن بن أبي ذؤيب قال : خرجت مع الزبير مخرجاً يوم الجمعة فصلّى الجمعة أربعاً . وعبد الرحمن هذا هو ابن عبد الله بن أبي ذؤيب ذكره ابن حبان في « الثقات » ( ١/١٢٢/٦ ) وقال « كان يتيماً في حجر الزبير بن العوام » .

أن من فاتته الجمعة صلىً ظهراً .

وأما ما ذكره أهل الفروع من فوائد الخلاف في هذه المسألة ، فلا أصل لشيء من ذلك .

## بماذا تدرك الجمعة :

٦ ـ أخرج النسائي من حديث أبي هريرة بلفظ :

« من أدرك ركعة من الجمعة ، فقد أدرك الجمعة » .

---

وفي حديث ابن مسعود إشارة إلى أن الظهر هي الأصل ، وأنها هي الواجبة على من لم يصلٌ الجمعة . ويؤيد ذلك أمور :

الأول : ما هو معلوم يقيناً أن النبي صلىً الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون يوم الجمعة الظهر إذا كانوا في سفر ، ولكنهم يصلونها قصراً ، فلو كان الأصل يوم الجمعة صلاة الجمعة لصلوها جمعة .

الثاني : قال عبدالله بن معدان عن جدته قالت : قال لنا عبدالله بن مسعود : « إذا صليتن يوم الجمعة مع الإمام فصلين بصلاته ، وإذا صليتن في بيوتكن فصلين أربعاً» .

أخرجه ابن أبي شيبة ( ١/٢٠٧/٢ ) ، وإسناده صحيح إلى جدة ابن معدان ، وأما هي فلم أعرفها . والظاهر أنها تابعية ، وليست صحابية ، لكن يشهد له ، قول الحسن في المرأة تحضر المسجد يوم الجمعة أنها تصلي بصلاة الإمام ، ويجزيها ذلك . وفي رواية عنه قال : « كن النساء يجمعن مع النبي صلىً الله عليه وسلم ، وكان يقال : لا تخرجن إلا تفلات لا يوجد منكن ريح طيب » . وإسنادهما صحيح ، وفي أخرى من طريق أشعث عن الحسن قال : « كن نساء المهاجرين يصلين الجمعة مع رسول الله صلىً الله عليه وسلم ثم يحتسبن بها من الظهر» .

قلت : فمن زعم أن الأصل يوم الجمعة إنما هو صلاة الجمعة ، وإن من فاتته ، أو لم تجب عليه ، كالمسافر والمرأة إنما يصلون ركعتين جمعة ، فقد خالف هذه النصوص بدون حجة . ثم رأيت الصنعاني ذكر ( ٢/ ٧٤ ) نحو هذا وإن الجمعة إذا فاتت وجب الظهر إجماعاً فهي البدل عنه ، قال وقد حققناه في رسالة مستقلة .

ولهذا الحديث اثنا عشر طريقاً ، صحح الحاكم ثلاثاً منها . قال في « البدر المنير » : هذه الطرق الثلاث أحسن طرق هذا الحديث والباقي ضعاف .

وأخرجه النسائي وابن ماجه والدارقطني من حديث ابن عمر ، وله طرق . وقال الحافظ ابن حجر في « بلوغ المرام » : « إسناده صحيح [ لكن قوّى ] [1] أبو حاتم إرساله » . فهذه الأحاديث تقوم بها الحجة » [2]

## حكم الجمعة في يوم العيد :

٧ ـ ظاهر حديث زيد بن أرقم عند أحمد وأبي داود والنسائي وابن ماجه بلفظ : « أنه صلىً الله عليه وسلم صلىً العيد ، ثم رخص في الجمعة ، فقال : من شاء أن يصلي فليصل » . يدل على أن الجمعة تصير بعد صلاة العيد رخصة لكل الناس [3] ، فإن تركها الناس جميعاً ، فقد عملوا بالرخصة ، وإن فعلها بعضهم فقد استحق الأجر ، وليست بواجبة عليه من غير فرق بين الإمام وغيره .

---

(١) الأصل ( وأقر ) وهو خطأ صححته من « بلوغ المرام » .

(٢) يريد المصنف بذلك الرد على من قال من العلماء ـ وهم الهادوية ـ أن إدراك شيء من الخطبة شرط لا تصح الجمعة بدونه ، وهذا الحديث حجة عليهم كما قال الصنعاني في « سبل السلام » . وأما ما رواه ابن أبي شيبة ( ١/ ١٢٦/ ١ ) عن يحيى بن أبي كثير قال : « حدثت عن عمر بن الخطاب أنه قال : إنما جعلت الخطبة مكان الركعتين ، فإن لم يدرك الخطبة فليصل أربعاً » . فلا يصح لأنه منقطع بين يحيى بن أبي كثير وعمر .

(٣) أي الذين صلوا صلاة العيد ، دون من لم يصلها . وبذلك خصصه الصنعاني (٢/ ٧٣) .

وهذا الحديث قد صححه ابن المديني ، وحسنه النووي . وقال ابن الجوزي : هو أصح ما في الباب [1] .

وأخرج أبو داود والنسائي والحاكم عن وهب بن كيسان قال : اجتمع عيدان على عهد ابن الزبير ، فأخر الخروج حتى تعالى النهار ، ثم خرج فخطب ، فأطال الخطبة ، ثم نزل فصلى ، ولم يصلِّ الناس يومئذ الجمعة ، فذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنهما ، فقال : أصاب السنة . ورجاله رجال الصحيح .

وأخرجه أيضاً أبو داود عن عطاء بنحو ما قال وهب بن كيسان . ورجاله رجال الصحيح [2] .

وجميع ما ذكرناه يدل على أن الجمعة بعد العيد رخصة لكل أحد ، وقد تركها ابن الزبير في أيام خلافته كما تقدم ؛ ولم ينكر عليه الصحابة ذلك .

---

(١) قلت : وهو صحيح بلا شك ، فقد ذكر له في الأصل وغيره شواهد ، ومنها حديث ابن الزبير الآتي عقبه . وفيه فائدة هامة ، وهي أن صلاة العيد واجبة أيضاً كصلاة الجمعة ، ولولا ذلك لم تسقط بها صلاة الجمعة . أنظر الأصل (٤٣) .

(٢) قلت : في هذا التخريج شيء ، فإن الحديث لم يروه أبو داود من طريق وهب ابن كيسان إطلاقاً، وإنما أخرجه النسائي ( ١/ ٢٣٦ ) والحاكم ( ١/ ٢٩٦ ) ولفظه : «فقال: أصاب ابن الزبير السنة ، فبلغ ابن الزبير فقال : رأيت عمر بن الخطاب إذا اجتمع عيدان صنع مثل هذا »وقال : « صحيح على شرط الشيخين » . ووافقه الذهبي ، وإنما هو على شرط مسلم فقط . وفي طريق عطاء وهو ابن أبي رباح زيادة بلفظ : « ثم رحنا إلى الجمعة فلم يخرج إلينا فصلينا وحدانا » . ورجاله رجال الصحيح كما قال المؤلف ، لكن فيه عنعنة الأعمش .

## حكم غسل الجمعة :

٨ ـ الأحاديث الصحيحة الثابتة في « الصحيحين » وغيرهما من طريق جماعة من الصحابة قاضية بوجوب الغسل للجمعة ، ولكنه ورد ما يدل على عدم الوجوب أيضاً عند أصحاب « السنن » ، يقوي بعضه بعضاً ، فوجب تأويله على أن المراد بـ ( الوجوب ) تأكيد المشروعية جمعاً بين الأحاديث ، وإن كان لفظ « واجب » لا يصرف عن معناه ، إلا إذا ورد ما يدل على صرفه كما نحن بصدده ، لكن الجمع مقدم على الترجيح ، ولو كان بوجه بعيد [1] .

واعلم أن حديث « إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل » يدل على أن الغسل لصلاة الجمعة ؛ وأن من فعله لغيرها لم يظفر

---

(١) قلت : لا شك أن الجمع مقدم على الترجيح ، ولكن الجمع إذا كان بعيداً كهذا الذي جمع به المؤلف بين الحديثين لم تطمئن النفس إليه ، ونظرت لعلها تجد ما هو أقرب إلى الاطمئنان ، وقد كنت قرأت قديماً كلاماً لبعض الأئمة اطمأنت إليه نفسي ، وانشرح له قلبي ، فها أنا أنقله إلى القارىء ليتأمل فيه ، ثم يتبع ما اطمأنت له نفسه من الجمعين . قال ابن حزم في « المحلى » (٢/ ١٤) بعد أن ساق حديث : « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فالغسل أفضل » ، وما في معناه مما أشار إليه المصنف :

« لو صحت لم يكن فيها نص ولا دليل على أن غسل الجمعة ليس بواجب ، وإنما فيها أن الوضوء نعم العمل ، وأن الغسل أفضل ، وهذا لا شك فيه ، وقد قال الله تعالى ( ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ) فهل دلّ هذا اللفظ على أن الإيمان والتقوى ليس فرضاً ؟! ـ حاشا لله من هذا ، ثم لو كان في جميع هذه الأحاديث نص على أن غسل الجمعة ليس فرضاً لما كان في ذلك حجة ، لأن ذلك كان يكون موافقاً لما كان عليه الأمر قبل قوله عليه السلام « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » و « على كل مسلم » وهذا القول منه عليه السلام حكم زائد ناسخ للحالة الأولى بيقين لا شك فيه ، ولا يحل ترك الناسخ بيقين والأخذ بالمنسوخ » .

بالمشروعية ، سواء فعله في أول اليوم أو في وسطه أو في آخره .

ويؤيد هذا ما أخرجه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهما مرفوعاً: « من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل » زاد ابن خزيمة:« ومن لم يأتها فليس عليه غسل » .

## حكم خطبة الجمعة :

٩ ـ قد ثبت ثبوتاً يفيد القطع أن النبي صلىّ الله عليه وسلم ما ترك الخطبة في صلاة الجمعة التي شرعها الله سبحانه وتعالى . وقد أمر الله سبحانه في كتابه العزيز بالسعي إلى ذكر الله عز وجل ؛ والخطبة من ذكر الله ، إذا لم تكن هي المرادة بالذكر ، فالخطبة سنة ، لا فريضة .

وأما كونها شرطاً من شروط الصلاة فلا ؛ فإنا لم نجد حرفاً من هذا في السنة المطهرة، بل لم نجد فيها قولاً يشتمل على الأمر بها الذي يستفاد منه الوجوب فضلاً عن الشرطية ؛ وليس هناك إلا مجرد أفعال محكية عن رسول الله صلىّ الله عليه وسلم أنه خطب ، وقال في خطبته كذا ؛ وقرأ كذا . وهذا غاية ما فيه أن تكون الخطبة قبل صلاة الجمعة سنة من السنن المؤكدة ، لا واجبة ، فضلاً عن أن تكون شرطاً للصلاة . والفعل الذي وقعت المداومة عليه ، لا يستفاد منه الوجوب ، بل يستفاد منه أنه سنة من السنن المؤكدة . فالخطبة في الجمعة سنة من السنن المؤكدة ، وشعار من شعائر الإسلام لم تترك منذ شرعت إلى موته صلىّ الله عليه وسلم [١] .

---

(١) قلت : في هذا الكلام شيء من التناقض ، والبعد عن الصواب لا بد من بيانه فأقول :=

## صفة الخطبة وما يعلم فيها

١٠ ـ اعلم أن الخطبة المشروعة هي ما كان يعتاده صلىّ الله عليه وسلم من ترغيب الناس وترهيبهم ، فهذا في الحقيقة هو روح الخطبة الذي لأجله شرعت .

---

= ذكر في أول البحث : « أن الله أمر بالسعي إلى ذكر الله . والخطبة هي من ذكر الله إذا لم تكن هي المرادة بالذكر » .

قلت : فإذا كان كذلك ، فقد ثبت الأمر بها في كتاب الله ، فأغنى ذلك عن وروده في السنة ، وثبوت الأمر بالسعي إليها يتضمن الأمر بها من باب أولى ، لأن السعي وسيلة إليها فإذا وجبت الوسيلة ، وجب المتوسل إليه بالأحرى . وهذاالدليل مما استدل به المصنف نفسه على وجوب صلاة العيدين ، فقد صح أن النبي صلىّ الله عليه وسلم أمر بالخروج إلى صلاة العيد فقال المؤلف(٤٢) :

« والأمر بالخروج يستلزم الأمر بالصلاة لمن لا عذر له بفحوى الخطاب ، لأن الخروج وسيلة إليها ، ووجوب الوسيلة يستلزم وجوب المتوسل إليه » .

قلت : فلماذا لا يقال مثل هذا في الأمر بالسعي على ما بينا ؟ وكأن المؤلف رحمه الله تنبه لهذا المعنى الذي أوردنا في كتابه « الروضة » ، ولذلك أورد هو على نفسه سؤالاً يشعر بذلك فقال (١٣٧) :

« فإن قيل إنه لما وجب السعي إليها كانت واجبة بالأولى . فيقال : ليس السعي لمجرد الخطبة ، بل إليها وإلى الصلاة ، ومعظم ما وجب السعي لأجله هو الصلاة ، فلا تتم هذه الأولوية » .

قلت : وهذا مع كونه مخالفاً لما مال إليه في أول المسألة من أن الخطبة هي المرادة بذكر الله ، فإنه لا ينفي أنها مرادة به ، ولو بدرجة دون درجة الصلاة ، وعليه فالأمر بالسعي إلى الذكر لا يزال شاملاً للخطبة ، وإذا كان الأمر كذلك فيرد ما ذكره أنه إذا وجب السعي إليها كانت واجبة بالأولى ، ويضعف الجواب الذي ذكره إن شاء الله تعالى .

على أن هناك طريقة أخرى لاثبات وجوب الخطبة ، وهي استحضار أن فعل النبي صلىّ الله عليه وسلم لا سيما الذي استمر عليه إذا كان صدر بياناً لأمر قرآني أو نبوي ، =

وأما اشتراط الحمد لله ، أو الصلاة على رسول الله صلىٌ الله عليه وسلم ، أو قراءة شيء من القرآن فجميعه خارج عن معظم المقصود ، من شرعية الخطبة ، واتفاق مثل ذلك في خطبه صلىٌ الله عليه وسلم ، لا يدل على أنه مقصود متحتم ، وشرط لازم ، ولا يشك منصف أن معظم المقصود هو الوعظ دون ما يقع قبله من الحمد والصلاة عليه صلىٌ الله عليه وسلم . وقد كان عرف العرب المستمر أن أحدهم إذا أراد أن يقوم مقاماً ويقول مقالاً ، شرع بالثناء على الله والصلاة على رسوله ، وما أحسن هذا وأولاه ! ولكن ليس هو المقصود ، بل المقصود ما بعده .

والوعظ في خطبة الجمعة هو الذي اليه يساق الحديث ، فإذا فعله الخطيب فقد فعل الفعل المشروع ، إلا أنه إذا قدم الثناء على الله ، [ والصلاة ] على رسوله ، او استطرد في وعظه القوارع القرآنية كان أتم وأحسن ، وأما قصر الوجوب بل الشرطية على الحمد والصلاة ، وجعل الوعظ من الأمور المندوبة فقط ، فمن قلب الكلام ، وإخراجه عن الأسلوب الذي تقبله الاعلام .

=فهو دليل على وجوب هذا الفعل، وهذا النوع من الإستدلال مقرر في علم الأصول معروف عند العلماء الفحول ، ومنهم المؤلف نفسه رحمه الله تعالى . فقد استدل بهذا الدليل ذاته على وجوب مسألة أخرى تتعلق ببعض صفات الخطبة لا الخطبة نفسها ! فقال بعد أن ذكر أن النبي صلىٌ الله عليه وسلم كان يعلم اصحابه في خطبته قواعد الإسلام . . . الخ ما يأتي في آخر المسألة التالية (ص ١٠٧).

« وظاهر محافظته على ما ذكر في الخطبة وجوب ذلك ، لأن فعله صلىٌ الله عليه وسلم بيان لما أجمل في آية الجمعة ، وقد قال صلىٌ الله عليه وسلم : صلوا كما رأيتموني أصلي » .

قلت : أفلا يدل هذا الدليل بعينه على وجوب الخطبة نفسها ؟ بلى ، بل هو به أولى وأحرى ، كما لا يخفى على أولي النهى .

والحاصل : أن روح الخطبة هو الموعظة الحسنة ، من قرآن أو غيره . وكان رسول الله صلىّ الله عليه وسلم يأتي في خطبته بالحمد لله تعالى والصلاة على رسوله صلىّ الله عليه وسلم ، [1] وبالشهادتين ، وبسورة كاملة ، والمقصود الموعظة بالقرآن ، وإيراد ما يمكن من زواجره ؛ وذلك لا يختص بسورة كاملة .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلىّ الله عليه وسلم إذا خطب، احمرت عيناه، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ، ويقول : اما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلىّ الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » . أخرجه مسلم .

( وفي رواية له ) : « كانت خطبة النبي صلىّ الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ، ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته » .

( وفي أخرى له ) : « من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له » . [2] وللنسائي عن جابر: « وكل ضلالة في النار » [3] أي بعد قوله: «كل بدعة ضلاله » . والمراد بقوله « وكل بدعة ضلالة » صاحبها.

---

(١) قلت : المعروف ان النبي صلىّ الله عليه وسلم كان يذكر اسمه الشريف في الشهادة في الخطبة ، وأما انه كان يأتي بالصلاة عليه صلىّ الله عليه وسلم فمما لا أعرفه في حديث .

(٢) قلت : هذه قطعة من خطبة الحاجة التي كان صلىّ الله عليه وسلم يعلمها أصحابه ، والتي تشرع بين يدي كل خطبة ، وخاصة خطبة الجمعة . ولي في خطبة الحاجة رسالة خاصة مطبوعة .

(٣) قلت : وإسناده صحيح ، وكذلك رواه البيهقي في « الأسماء والصفات » .

والبدعة لغة ما عمل على غير مثال ، والمراد هنا ما عمل من دون أن سبق له شرعية من كتاب أو سنة .

وفي الحديث دلالة على ضلالة كل بدعة ، وعلى أن قوله هذا ليس عاماً مخصوصاً كما زعم بعضهم .

وفيه دليل على أنه يستحب للخطيب أن يرفع بالخطبة صوته ، ويجزل كلامه ، ويأتي بجوامع الكلم من الترغيب والترهيب . ويأتي بقول:( أما بعد ) .

وظاهره أنه كان صلىً الله عليه وسلم يلازمها في جميع خطبه . وذلك بعد الحمد والثناء والتشهد ، كما تفيدها الرواية المشار إليها بقوله : « وفي رواية له » الخ . وفيه إشارة إلى أنه كان صلىً الله عليه وسلم يلازم قوله:« أما بعد فإن خير الحديث » الخ، في جميع خطبه . [١]

وثبت أنه صلىً الله عليه وسلم قال : « كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء [٢] » .

وكان صلىً الله عليه وسلم يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض أمر أو نهي ، كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلي ركعتين ؛ ويذكر معالم الشرائع في الخطبة ؛ والجنة والنار والمعاد ، فيأمر بتقوى الله ، ويحذر من

---

(١) قلت : ومما يؤسف له ان هذا الحديث قد أصبح اليوم نسياً منسياً ، فلا أحد من الخطباء والمدرسين والمرشدين في سوريا ومصر والحجاز وغيرها يقوله بين يدي خطبته ودرسه إلا من عصم الله وقليل ما هم . فأنا اذكرهم بهذا ( فإن الذكرى تنفع المؤمنين ) وأدعوهم إلى إحياء هذه السنة كما أحيى بعضهم خطبة الحاجة التي سبقت الإشارة اليها . والله الموفق .

(٢) رواه ابو داود واحمد .

غضبه ، ويرغب في موجبات رضاه ، وقد ورد قراءة آية ، ففي حديث مسلم :« كان لرسول الله صلىّ الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ، ويذكر الناس ويحذر » .

وظاهر محافظته على ما ذكر في الخطبة وجوب ذلك ، لأن فعله بيان لما أجمل في آية الجمعة ، وقد قال صلىّ الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » [١] . وقد ذهب الى هذا الشافعي . وقال بعضهم : مواظبته صلىّ الله عليه وسلم دليل الوجوب . قال في « البدر التمام » : « وهو الأظهر » . والله أعلم [٢] .

## قصر الخطبة واطالة الصلاة

١١ ـ وعن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله صلىّ الله عليه وسلم يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه » . رواه مسلم أي مما يعرف به فقه الرجل . وكل شيء دل على شيء فهو مئنة له . وإنما كان قصر الخطبة علامة على ذلك ، لأن الفقيه هو المطلع على حقائق المعاني وجوامع الألفاظ ، فيتمكن من التعبير بالعبارة الجزلة المفيدة ، ولذلك كان من تمام رواية هذا الحديث:« فأطيلوا الصلاة ، واقصروا الخطبة ، وإن من البيان لسحرا » .

والمراد من طول الصلاة الطول الذي لا يدخل فاعله تحت النهي ، وقد كان صلىّ الله عليه وسلم يصلي الجمعة بـ ( الجمعة ) و ( المنافقين ) ، كما عند مسلم عن ابن عباس وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه : « كان صلىّ الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة

(١) رواه البخاري وأحمد .

(٢) قلت : تأمل هذا ، فإن فيه حجة على المؤلف في ذهابه الى أن خطبة الجمعة من أصلها غير واجبة ، وهذا الدليل الذي ذكره هنا يدل على وجوبها وهو الحق كما سبق بيانه في التعليق على المسألة التي قبل هذه (ص ١٠٤).

بـ ( سبح اسم ربك الأعلى ) و ( هل أتاك حديث الغاشية ) »[1] .

وذلك طول بالنسبة إلى خطبته ، وليس بالطول المنهي عنه .
وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : « ما أخذت ( ق والقرآن المجيد ) إلا من لسان رسول الله صلىً الله عليه وسلم ؛ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس » رواه مسلم . وفيه دليل على مشروعية قراءة سورة أو بعضها في الخطبة كل جمعة . وكان محافظته صلىً الله عليه وسلم على هذه السورة اختياراً منه لما هو أحسن في الوعظ والتذكير ، وفيه دلالة على ترديد الوعظ في الخطبة .

## أحكامٌ متفرّقة

١٢ ـ وكان إذا عرضت له حاجة أو سأله سائل ، قطع خطبته وقضى الحاجة ، وأجاب السائل ، ثم أتمها ، وكان إذا رأى في الجماعة فقيراً أو ذا حاجة أمر بالتصدق وحرض على ذلك .

وكان إذا ذكر الله تعالى أشار بالسبابة .

وكان إذا اجتمعت الجماعة خرج للخطبة وحده ، ولم يكن بين يديه حاجب ولا خادم ، ولم يكن من عادته لبس الطرحة ولا الطيلسان ، ولا الثوب الأسود المعتاد .

وكان إذا دخل المسجد سلم على الحاضرين لديه ، وإذا صعد المنبر أدار وجهه إلى الجماعة وسلم ثانياً ثم قعد[2] .

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢) قلت : هذه الهيئة مما لا اعرفه في السنة ، وهي الجمع بين السلام عند الدخول والسلام بعد الصعود ، وإنما المعروف الثاني فقط ، وقد قال المؤلف في مكان آخر ( ص ٢٤ ):

« وروي عنه صلىً الله عليه وسلم التسليم على الحاضرين قبل الشروع في الخطبة من طرق يقوي بعضها بعضا » .

## تحية المسجد أثناء الخطبة

١٣ - حاصل ما يستفاد من الأدلة أن الكلام منهي عنه حال الخطبة نهياً عاماً وقد خصص هذا بما يقع من الكلام في صلاة التحية من قراءة وتسبيح وتشهد ودعاء ، والأحاديث المخصصة لمثل ذلك صحيحة ؛ فلا محيص لمن دخل المسجد حال الخطبة من صلاة ركعتي التحية إن أراد القيام بهذه السنة المؤكدة والوفاء بما دلت عليه الأدلة ، فإنه صلىّ الله عليه وسلم أمر سليكاً الغطفاني لما وصل إلى المسجد حال الخطبة فقعد ولم يصل التحية ، بأن يقوم فيصلي ، فدل هذا على كون ذلك من المشروعات المؤكدة ، بل من الواجبات .

ومن جملة مخصصات صلاة التحية حديث: «إذا جاء أحدكم [ يوم الجمعة ] والإمام يخطب فليصلّ ركعتين » ، [1] وهو حديث صحيح ، متضمن للنص في محل النزاع . وأما ما عدا صلاة التحية من الأذكار والأدعية والمتابعة للخطيب في الصلاة على النبي صلىّ الله عليه وسلم ، فلم يأت ما يدل على تخصيصها من ذلك العموم . والمتابعة في الصلاة عليه صلىّ الله عليه وسلم وإن وردت بها أدلة قاضية بمشروعيتها فهي أعم من أحاديث منع الكلام حال الخطبة من وجه ، وأخص منها من وجه ، فيتعارض العمومان ، وينظر في الراجح منهما ؛ وهذا إذا كان اللغو المذكور في حديث : « ومن لغا فلا جمعة له » [2] يشمل جميع أنواع الكلام ، وأما إذا كان مختصاً بنوع منه ، وهو ما لا فائدة فيه ، فليس مما يدل على منع الذكر والدعاء والمتابعة في الصلاة عليه صلىّ الله عليه وسلم .

---

(١) متفق عليه من حديث جابر بلفظ: « فليركع» ، وزاد مسلم في رواية : «وليتجوز فيهما » .

(٢) رواه احمد وأبو داود وله شواهد كثيرة يتقوى بها ، وقد جاء تفسيره في حديث آخر بلفظ : « ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهراً » وسنده حسن .

يقول ملخصه محمد ناصر الدين :

والأرجح من الإحتمالين الأول ، بدليل قوله صلىّ الله عليه وسلم : « إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة : أنصت فقد لغوت » أخرجه الشيخان وغيرهما .

فإن قول القائل : أنصت ، لا يعد لغة من اللغو ، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومع ذلك فقد سماه عليه الصلاة والسلام : لغواً لا يجوز ، وذلك من باب ترجيح الأهم ، وهو الإنصات لموعظة الخطيب ، على المهم ، وهو الأمر بالمعروف في أثناء الخطبة ، وإذا كان الأمر كذلك ، فكل ما كان في مرتبة الأمر بالمعروف ، فحكمه حكم الأمر بالمعروف ، فكيف إذا كان دونه في الرتبة ، فلا شك أنه حينئذ بالمنع أولى وأحرى ، وهي من اللغو شرعا . وأما قول المصنف ( ص ٢٧ ) وفي « الروضة » ( ١٤٠ ) :

«ويمكن أن يقال : إن ذلك الذي قال : ( أنصت ) لم يؤمر في ذلك الوقت بأن يقول هذه المقالة . فكان كلامه لغواً حقيقة من هذه الحيثية » .

فأقول : وكذلك شأن الأذكار التي تردد المؤلف في حكمها هي مما لم يؤمر بها في ذلك الوقت فكانت لغواً أيضاً . والله أعلم .

وبهذا ينتهي تلخيص هذه المسائل من « الموعظة الحسنة » مع ما تيسر من التعليق عليها ، وكان الفراغ من ذلك مساء السبت ، الثاني عشر من شهر صفر سنة ١٣٨٢ هـ .

والحمد لله رب العالمين ، وصلىّ الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

**محمد ناصر الدين الألباني**

# بدعُ الجُمعَة

وبعد أن فرغت من تلخيص الأحكام المتقدمة والتعليق عليها وتحقيقها ، تذكرت أن عندي مشروع تأليف كتاب باسم « قاموس البدع » فرأيت أن آخذ منه المادة المتعلقة ببدع الجمعة ، فأرتبها ، وأضمها الى هذه الرسالة فتتم بها الفائدة . ذلك لأنني لا أدري متى تسنح لي الفرصة وييسر لي السبيل حتى أتمكن من إخراج « قاموس البدع » إلى حيز الوجود ، وما لا يدرك كله ، لا يترك جله .

ولا بد من كلمة قصيرة بين يدي هذا الفصل فأقول :

إن مما يجب العلم به أن معرفة البدع التي أدخلت في الدين أمر هام جداً ، لأنه لا يتم للمسلم التقرب إلى الله تعالى إلا باجتنابها ، ولا يمكن ذلك إلا بمعرفة مفرداتها اذا كان لا يعرف قواعدها وأصولها ، وإلا وقع في البدعة وهو لا يشعر ، فهي من باب « ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب » كما يقول علماء الأصول رحمهم الله تعالى . ومثل ذلك معرفة الشرك وأنواعه ، فإن من لا يعرف ذلك وقع فيه ، كما هو مشاهد من كثير من المسلمين الذين يتقربون إلى الله بما هو شرك كالنذر للأولياء والصالحين والحلف بهم والطواف بقبورهم ، وبناء المساجد عليها ، وغير ذلك مما هو معلوم شركه عند أهل العلم ، ولذلك فلا يكفي في التعبد الاقتصار على معرفة السنة فقط ، بل لا بد من معرفة ما يناقضها من البدع ، كما لا يكفي في الايمان التوحيد ، دون معرفة ما يناقضه من الشركيات ، والى هذه الحقيقة أشار رسول الله صلىّ الله عليه وسلم بقوله :

« من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه وحسابه على الله » . رواه مسلم ، فلم يكتف عليه السلام بالتوحيد ، بل ضم اليه الكفر بما سواه ، وذلك يستلزم معرفة الكفر ، وإلا وقع فيه وهو لا يشعر ، وكذلك القول في السنة والبدعة ولا فرق ، ذلك لأن الاسلام قام على أصلين عظيمين :

أن لا نعبد إلا الله ، وأن لا نعبده إلا بما شرع الله . فمن أخل بأحدهما فقد أخل بالآخر ، ولم يعبد الله تبارك وتعالى .

وتحقيق القول في هذين الأصلين تجده مبسوطاً في كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى .

فثبت مما تقدم أن معرفة البدع أمر لا بد منه ، لتسلم عبادة المؤمن من البدعة التي تنافي التعبد الخالص لله تعالى ، فالبدع من الشر الذي يجب معرفته لا لإتيانه ، بل لاجتنابه على حد قول الشاعر :

عرفت الشر لا للشـ ـر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وهذا المعنى مستقى من السنة ، فقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

كان الناس يسألون رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال : « نعم» ، فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال : « نعم ، وفيه دخن » ، قلت : وما دخنه ؟ قال : « قوم يستنون بغير سنتي ؛ ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر » ، فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال : « نعم دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها

قذفوه فيها » . فقلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال : « نعم ، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . . . الحديث » .

أخرجه البخاري ومسلم .

قلت : ولهذا كان من الضروري جداً تنبيه المسلمين على البدع التي دخلت في الدين وليس الأمر كما يتوهم البعض : انه يكفي تعريفهم بالتوحيد والسنة فقط ، ولا ينبغي التعرض لبيان الشركيات والبدعيات ، بل يسكت عن ذلك ! وهذا نظر قاصر ناتج عن قلة المعرفة والعلم بحقيقة التوحيد الذي يباين الشرك ، والسنة التي تباين البدعة ، وهو في الوقت نفسه يدل على جهل هذا البعض بأن البدعة قد يقع فيها حتى الرجل العالم ، وذلك لأن أسباب البدعة كثيرة جداً لا مجال لذكرها الآن ، ولكن أذكر سبباً واحداً منها ، وأضرب عليه مثلا ، فمن أسباب الابتداع في الدين الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، فقد يخفى على بعض أهل العلم شيء منها ويظنها من الأحاديث الصحيحة فيعمل بها ، ويتقرب إلى الله تعالى ، ثم يقلده في ذلك الطلبة والعامة فتصير سنة متبعة !

فهذا مثلا الشيخ الفاضل والعلامة المحقق السيد جمال الدين القاسمي ألف كتابه القيم « إصلاح المساجد من البدع والعوائد» [1] وقد انتفعت به كثيراً في المشروع الذي سبقت الإشارة اليه ،ومع ذلك فقد عقد فصلا في أمور ينبغي التنبه لها ، ذكر فيه عشرين مسألة ، ومنها المسألة (١٦ : دخول الصبيان للمساجد ) قال ( ص ٢٠٥ ) : « في الحديث:« وجنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم » وذلك

---

(١) وقد قمنا بطبعه والحمد لله ، كما طبعنا للشيخ القاسمي ـ رحمه الله ـ رسالة « المسح على الجوربين » مع اضافات لشيخنا الألباني

( الناشر ) .

لأن الصبي دأبه اللعب ،فبلعبه يشوش على المصلين ، وربما اتخذه ملعباً ، فنافى ذلك موضع المسجد ، فلذا يجنب عنه » .

قلت : فهذا الحديث ضعيف لا يحتج به ، وقد ضعفه جماعة من الأئمة مثل عبد الحق الأشبيلي ، وابن الجوزي ، والمنذري ، والبوصيري ، والهيثمي ، والعسقلاني وغيرهم . ومع ذلك خفي حاله على الشيخ القاسمي ، وبنى عليه حكماً شرعياً ، وهو تجنيب الصبيان عن المسجد تعظيماً للمسجد ، والواقع أنه بدعة لأنه خلاف ما كان عليه الأمر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما هو مشروح في محله من كتب السنة ، وانظر كتابنا « صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم » [1] .

ومثله البدعة الأولى وغيرها مما يأتي ذكره . ولذلك فإن التنبيه على البدع أمر واجب على أهل العلم ، وقد قام بذلك طائفة منهم ، فألفوا كتباً كثيرة في هذا الباب ، بعضها في قواعد البدع وأصولها ، وبعضها في فروعها ، وبعضها جمع بين النوعين ، وقد طالعتها جميعاً وقرأت معها مئات الكتب الأخرى في الحديث والفقه والأدب وغيرها ، وجمعت منها مادة عظيمة في البدع ما أظن أن أحداً سبقني إلى مثلها ، وهي أصل كتابي المشار إليه آنفاً « قاموس البدع » الذي أسأل الله أن ييسر لي تهذيبه وتصنيفه وإخراجه للناس . وهذا الفصل الذي بين يديك هو دليل عليه ، ونموذج منه . والله سبحانه هو الموفق .

وإليك الآن ما وعدناك به من « بدع الجمعة » فأقول :

---

(١) الصفحة ٩٧ الطبعة السادسة . وقد نفع الله بهذا الكتاب ، فطبع عندنا هذه الطبعات وطبع سرقة طبعات أكثر من هذه الطبعات . كما طلبنا من استاذنا تلخيصه في رسالة صغيرة وقد فعل وطبعناها مرات كثيرة والحمد لله .

١ ـ التعبد بترك السفر يوم الجمعة [١] .

٢ ـ اتخاذه يوم عطلة ( « الأحياء » ١/ ١٦٩ ) .

٣ ـ التجمل والتزين له ببعض المعاصي كحلق اللحية ، ولبس الحرير والذهب .

٤ ـ تقديم بعضهم مفارش إلى المسجد يوم الجمعة أو غيرها قبل ذهابهم إلى المسجد . [٢] ( « المدخل » ٢/ ١٢٤ ) .

٥ ـ التذكار يوم الجمعة بأنواعه . ( « المدخل»٢/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ و « الإبداع في مضار الابتداع » ص ٧٦ ) و « مجلة المنار » ٣١/ ٥٧ ) .

٦ ـ الأذان جماعة يوم الجمعة ( « المدخل » ٢/ ٢٠٨ ) .

٧ ـ تأذين المؤذنين مع المؤذن الراتب يوم الجمعة في صحن المسجد . ( « الاختيارات العلمية » لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٢ ) .

---

(١) وقد روى ابن ابي شيبة في « المصنف » ( ١/ ٢٠٥/ ١ ) عن صالح بن كيسان أن اباعبيدة خرج يوم الجمعة في بعض أسفاره ولم ينتظر الجمعة . وإسناده جيد . وروى هو والامام محمد بن الحسن في « السير الكبير » ( ١/ ٥٠ ـ بشرحه ) والبيهقي ( ٣/ ١٨٧ ) عن عمر انه قال : « الجمعة لا تمنع من سفر » وسنده صحيح ، ثم روى ابن ابي شيبة نحوه عن جماعة من السلف . واما حديث « من سافر بعد الفجر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه . . . » فهو ضعيف كما بينته في « الأحاديث الضعيفة » ( ٢١٦ ، ٢١٧ ) ، وأما قول الشيخ البجيرمي في « الإقناع » ( ٢/ ـ ١٧٧ ) بأنه « قد صح » فمما لا وجه له البتة ، لا سيا وهو ليس من أهل الحديث فلا يغتر به .

(تنبيه) : سيرى القارىء الكريم قليلا من البدع لم يذكر بجانبها مصدرها من كتب أهل العلم ، فذلك إشارة مني إلى أنني لم أقف على من نص على بدعيتها ، ولكن أصول البدع وقواعدها تقتضي بدعيتها ، وقد أذكر في التعليق بعض النصوص التي تدل على ذلك كما فعلت في هذه البدعة الأولى فليكن هذا في البال .

(٢) وقال ابن تيمية في «الفتاوي» ٢ : ٣٩ : «وهذا منهي عنه باتفاق.» .

٨ ـ الزيادة في هذا الأذان الثاني على واحد حيث يؤتى بمؤذن ثان يؤذن على الدكة . كالمجيب للأول ( « الابـداع » ٧٥ و « المدخـل » ٢٠٨/٢ ) .

٩ ـ صعود المؤذن يوم الجمعة على المنارة بعد الأذان الأول لينادي أهل القرية للحضور وتكميل عدد الأربعين ! ( « إصـلاح المساجـد من البدع والعوائد » ٦٤ ـ طبعتنا)

١٠ ـ تفريق الربعة حين اجتماع الناس لصلاة الجمعة ، فاذا كان عنـد الأذان قام الـذي فرقهـا ليجمـع ما فرق من تلك الأجـزاء . ( « المدخل » ٢٢٣/٢ ) .

١١ ـ السماح للرجل الصالح بتخطي رقاب الناس يوم الجمعة بدعوى انه يتبرك به ! [1] .

١٢ ـ صلاة سنة الجمعة القبلية . ( « السنن والمبتدعات » ٥١ « المدخل »(٢/ ٢٣٩) « الأجوبة النافعة » (ص٢٦ ـ ٤١) .

١٣ ـ فرش درج المنبـر يوم الجمعـة ( « المدخـل » ٢٦٨/٢ ) .

١٤ ـ جعل الأعلام السود على المنبر حال الخطبة ( « المدخل » ١٦٦/١٠ ) .

١٥ ـ الستائر للمنابر . ( « السنن » ٥٣ ) .

١٦ ـ المواظبـة على لبس الســواد من الامـام يوم الجمعـة .

---

(١) قال الباجوري (٢٢٧/١) : « لا يكره للامام والرجل الصالح التخطي ، لأنهما يتبرك بهما ، ولا يتأذى الناس بتخطيهما . وألحق بعضهم بالرجل الصالح الرجل العظيم ولو في الدنيا ، لأن الناس يتسامحون بتخطيه ولا يتأذون به»!

[« الأحياء »(١/ ١٦٢ ١٦٥) و « المدخل »(٢/ ٢٦٦)و« شرح شرعة الإسلام » ص ١٤٠ ] .

١٧ - تخصيص الاعتمام لصلاة الجمعة وغيرها .[1]

١٨ - لبس الخفين لأجل الخطبة وصلاة الجمعة . ( « المدخل » ٢/ ٢٦٦ ) .

١٩ - الترقية ،وهي تلاوة آية : (إن الله وملائكته يصلون على النبي . . . ) .

٢٠ - ثم حديث: «إذا قلت لصاحبك . . . » يجهر بذلك المؤذنون عند خروج الخطيب حتى يصل الى المنبر ![2] ( « المدخل (٢/ ٢٦٦)« شرح الطريقة المحمدية »(١/ ١١٤ و١١٥و٤/ ٣٢٣) «المنار» ٥/ ٩٥١ ، ١٩/ ٥٤١ ، « الابداع » ٧٥« السنن » ٢٤ ) .

٢١ - جعل درجات المنبر أكثر من ثلاث[3] .

٢٢ - قيام الامام عند اسفل المنبر يدعو .

---

(١) قلت : والأحاديث الواردة في فضيلة الصلاة بالعمامة لا يصح منها شيء كما بينته في « الأحاديث الضعيفة » ( رقم ١٢٧ ) .

(٢) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في « الاختيارات » ( ص ٤٨ ) : « هو مكروه أو محرم اتفاقا » .

قلت : فلا يغتر باستحسان صاحب « الباعث » ( ص ٦٥ ) لهذه البدعة فإنها زلة عالم .

(٣) وما قيل أن معاوية هو أول من بلغ درجات المنبر خمس عشرة مرقاة كما ذكره صاحب « التراتيب الادارية » ( ٢/ ٤٤٠ ) ، فمما لا يثبت ، وتصديره بـ « قيل » مما يشعر بذلك . ومن مضار هذه البدعة أنها تقطع الصفوف . وقد تنبه لهذا بعض المسؤولين عن المساجد ، فأخذوا يتفادون ذلك بطرق محدثة كجعل الدرج بجانب الجدار ونحو ذلك ، ولو إنهم اتبعوا السنة لاستراحوا .

٢٣ ـ تباطؤه في الطلوع على المنبر . ( « الباعث » ٦٤ ) .

٢٤ ـ انشاد الشعر في مدح النبي صلىّ الله عليه وسلم عند صعود الخطيب المنبر أو قبله . ( « المنار » ٣١/ ٤٧٤ ) .

٢٥ ـ دق الخطيب عند صعوده بأسفل سيفه على درج المنبر . ( « الباعث » ٦٤ « المدخل » ٢/ ٢٦٧ « إصلاح المساجد » ٤٨ ـ طبعتنا « المنار » ١٨/ ٥٥٨ ) .

٢٦ ـ صلاة المؤذنين على النبي صلىّ الله عليه وسلم عند كل ضربة يضربها الخطيب على المنبر ( « المدخل » ٢/ ٢٥٠ و٢٦٧ ) .

٢٧ ـ صعود رئيس المؤذنين على المنبر مع الامام ، وإن كان يجلس دونه ، وقوله :« آمين اللهم آمين ، غفر الله لمن يقول آمين ، اللهم صل عليه . .»( « المدخل » ٢/ ٢٦٨ ) .

٢٨ ـ اشتغال الإمام بالدعاء إذا صعد المنبر ، مستقبل القبلة قبل الاقبال على الناس والسلام عليهم . [1] ( « الباعث » ٦٤ « المدخل » ٢/ ٢٦٧«إصلاح المساجد » ٤٨ و« المنار » ١٨/ ٥٥٨ ) .

٢٩ ـ ترك الخطيب السلام على الناس اذا خرج عليهم . ( « المدخل » ٢٢/ ١٦٦ ) .

٣٠ ـ الأذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب . ( « الاعتصام » للشاطبي ٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، « المنار » ١٩/ ٥٤٠ « الأجوبة النافعة » ١٤ ـ ١٥) .

٣١ ـ وجود مؤذنين بين يدي الخطيب في بعض الجوامع ؛ يقوم

---

(١) وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في « الاختيارات » (٤٨) : « دعاء الامام بعد صعوده المنبر لا أصل له » .

أحدهما أمام المنبر ، والثاني على السدة العليا ، يلقن الأول الثاني ألفاظ الأذان ، يأتي الأول بجملة منه سراً ، ثم يجهر بها الثاني . « اصلاح المساجد عن البدع والعوائد » ١٤٣ ) .

٣٢ ـ نداء رئيس المؤذنين عند ارادة الخطيب الخطبة بقوله للناس : أيها الناس صح عن رسول الله صلىّ الله عليه وسلم انه قال : إذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة انصت فقد لغوت ، أنصتوا رحمكم الله . ( « المدخل » ٢/٢٦٨ « السنن » ٢٤ ) .

٣٣ ـ قول بعض المؤذنين بين يدي الخطيب إذا جلس من الخطبة الأولى : غفر الله لك ولوالديك ولنا ولوالدينا والحاضرين . ( « فتاوى ابن تيمية » ١/ ١٢٩ و « إصلاح المساجد » ٧٠ ) .

٣٤ ـ اعتماد الخطيب على السيف في خطبة الجمعة . ( « السنن » ٥٥ ) .

٣٥ ـ القعود تحت المنبر والخطيب يخطب يوم الجمعة للاستشفاء . ( « المنار » ٧/ ٥٠١ ـ ٥٠٣ ) .

٣٦ ـ اعراض الخطباء عن خطبة الحاجة « إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . . » وعن قوله صلىّ الله عليه وسلم في خطبه « اما بعد ، فإن خير الكلام كلام الله » .[١]

٣٧ ـ اعراضهم عن التذكير بسورة ( ق ) في خطبهم مع مواظبة النبي صلىّ الله عليه وسلم عليه ( « السنن » ٥٧ ) .[٢]

٣٨ ـ مواظبة الخطباء يوم الجمعة على قراءة حديث في آخر الخطبة دائماً كحديث « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

---

( ١ و ٢ ) انظر ( ص ١٠٥ و١٠٦ و١٠٧ و١٠٨ ) من هذه الرسالة .

( « السنن » ٥٦ ) .

٣٩ ـ تسليم بعض الخطباء في هذا العصر بعد الفراغ من الخطبة الأولى .

٤٠ ـ قراءتهم سورة الاخلاص ثلاثاً أثناء الجلوس بين الخطبتين ( « السنن ٥٦ » ) .

٤١ ـ قيام بعض الحاضرين في أثناء الخطبة الثانية يصلون التحية ( « المنار » ١٨/ ٥٥٩ « السنن » ٥١ ) .

٤٢ ـ دعاء الناس ورفع اليدين عند جلوس الامام على المنبر بين الخطبتين. ( « المنار » ٦/ ٧٩٣ ـ ٧٩٤ و١٨/ ٥٥٩ ) .

٤٣ ـ نزول الخطيب في الخطبة الثانية الى درجة سفلى ، ثم العود ( « حاشية ابن عابدين » ١/ ٧٧٠ ) .

٤٤ ـ مبالغتهم في الاسراع في الخطبة الثانية . ( « المنار » ١٨/ ٨٥٨ ) .

٤٥ ـ الالتفات يميناً وشمالا عند قوله : آمركم ، وأنهاكم ، وعند الصلاة على النبي صلىّ الله عليه وسلم ، ( « الباعث » ٦٥ ، « حاشية ابن عابدين » ١/ ٧٥٩ ، « إصلاح المساجد » ٤٨ ، « المنار » ١٨/ ٥٥٨ ) .

٤٦ ـ ارتقاؤه درجة من المنبر عند الصلاة على النبي صلىّ الله عليه وسلم ، ثم نزوله عند الفراغ منها . ( « الباعث » ٦٥ ) .

٤٧ ـ التزامهم السجع والتثليث والتربيع والتخميس في دواوينهم وخطبهم مع أن السجع قد ورد النهي عنه في « الصحيح » . ( « السنن » ٧٥ ) .

٤٨ ـ التزام كثيرين منهم ايراد حديث: « إن لله عز وجل في كل ليلة من رمضان ستمائة الف عتيق من النار ، فاذا كان آخر ليلة أعتق الله بعدد من مضى » في آخر خطبة جمعة من رمضان ، أو في خطبة عيد الفطر ، مع انه حديث باطل [1].

٤٩ ـ ترك تحية المسجد والامام يخطب يوم الجمعة . ( « المحلى » لابن حزم ٥/ ٦٩ ) .

٥٠ ـ قطع بعض الخطباء خطبتهم ، ليأمروا من دخل المسجد وشرع في تحية المسجد بتركها ! خلافاً لحديث رسول الله صلىّ الله عليه وسلم وأمره بها [2] .

٥١ ـ جعل الخطبة الثانية عارية من الوعظ والارشاد والتذكير والترغيب ، وتخصيصها بالصلاة على النبي صلىّ الله عليه وسلم والدعاء . ( « السنن » ٥٦ ، « نور البيان في الكشف عن بدع آخر الزمان » ٤٤٥ ) .

٥٢ ـ تكلف الخطيب رفع الصوت في الصلاة على النبي صلىّ الله عليه وسلم فوق المعتاد في باقي الخطبة . ( « الباعث » ٦٥ ) .

٣٥ ـ المبالغة برفع الصوت بالصلاة على النبي صلىّ الله عليه وسلم عند قراءة الخطيب: ( إن الله وملائكته يصلون على النبي ) ( بجيرمي » ٢/ ١٨٩ ) .

٥٤ ـ صياح بعضهم في أثناء الخطبة باسم الله او اسماء بعض الصالحين ، ( « المنار » ١٨/ ٥٥٩ ) .

---

(١) قاله ابن حبان كما في « اللآلىء المصنوعة » للسيوطي .

(٢) انظر ص ١٠٩ ـ ١١٠) من هذه الرسالة .

٥٥ - إتيان الكافر الذي أسلم في اثناء الأسبوع ، الى الخطيب وهو على المنبر حتى يتلفظ بالإسلام على رؤوس الناس ، ويقطع الخطيب الخطبة بسببه ( « المدخل » ٢/ ١٧١ ) .

٥٦ - التزام ذكر الخطباء الخلفاء والملوك والسلاطين في الخطبة الثانية بالتنغيم [1] ( « الاعتصام » ١٧ - ١٨ و٢/ ١٧٧ ، « المنار » ٦/ ١٣٩ و١٨/ ٣٠٥ و٥٥٨ و٣١/ ٥٥ ) .

٥٧ - دعاء الخطيب للغزاة والمرابطين . ( « الاعتصام » ١/ ١٨ ) .

٥٨ - رفع المؤذنين أصواتهم بالدعاء للسلاطين وإطالتهم في ذلك والخطيب مسترسل في خطبته [2] ( « المنار » ١٨/ ٥٥٨ ، « السنن » ٢٥ ) .

٥٩ - سكتات الخطيب في دعائه على المنبر ليؤمن عليه المؤذنون ( « شرح الطريقة المحمدية » ٣/ ٣٢٣ ) .

٦٠ - تأمين المؤذنين عند دعاء الخطيب للصحابة بالرضى وللسلطان بالنصر . ( « شرح الطريقة المحمدية » ٣/ ٣٢٣ ) .

٦١ - الترنم في الخطبة ( « الابداع » ٢٧ ) .

٦٢ - رفع الخطيب يديه في الدعاء [3] .

---

(١) وقد ذكر ابن الحاج في « المدخل » ( ٢/ ٢٧٠ ) نحو هذا لكنه قال : « فهذا من باب المندوب لا من باب البدعة » . وقد وهم في ذلك ، فإننا لا نعلم أن أحداً كان يفعل ذلك من سلف الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم .

(٢) نص ابن عابدين في « الحاشية » (١/ ٧٦٩ ) على كراهة ذلك يعني كراهة تحريم .

(٣) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في « الاختيارات العلمية » (٤٨) :

٦٣ ـ رفع القوم أيديهم تأميناً على دعائه .[1] ( « الباعث » ٦٤ و٦٥ ) .

٦٤ ـ التزام ختم الخطبة بقوله تعالى:( إن الله يأمر بالعدل والاحسان ) . أو بقوله : ( اذكروا الله يذكركم . . ) ( « المدخل » ٢/ ٢٧١ و « السنن » ٥٧ ) .

٦٥ ـ اطالة الخطبة وقصر الصلاة .[2] .

٦٦ ـ التمسح بكتف الخطيب وظهره عند نزوله من المنبر . ( « الابداع » ٧٩ ، « إصلاح المساجد » ٧٢ ، « السنن » ٥٤ ، « نور البيان » ٤٤ ) .

٦٧ ـ المنبر الكبير الذي يدخلونه في بيت اذا فرغ الخطيب من الخطبة . ( « المدخل » ٢/٢١٢ ) .

٦٨ ـ عد الجماعة في بعض المساجد الصغيرة يوم الجمعة لينظر هل بلغ عددهم اربعين .

٦٩ ـ اقامة الجمعة في المساجد الصغيرة . ( « إصلاح المساجد » ٥٩ ) .[3]

---

« ويكره للامام رفع يديه حال الدعاء في الخطبة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان يشير بأصبعه إذا دعا » .

(١) قلت : وذكر ابن عابدين في « الحاشية » ( ١/ ٧٦٨ ) أنهم اذا فعلوا ذلك أثموا على الصحيح .

(٢) قلت : لأن السنة اطالة الصلاة وقصر الخطبة كما تقدم صفحة (٤٩) فعكس ذلك كما هو عادة اكثر الخطباء اليوم لا شك في كونه بدعة . وقد جاء في « الدر المختار » ( ١/٧٥٨ الحاشية ) ما نصه « وتكره زيادة خطبتي الجمعة على قدر سورة من طوال المفصل » .

(٣) قلت : وللقاسمي رحمه الله بحث مهم جداً بين فيه « خروج الجمعة عن =

٧٠ ـ دخول الامام في الصلاة قبل استواء الصفوف ( « اصلاح »٩٢-٩٣ ) .

٧١ ـ تقبيل اليد بعدها . ( « إصلاح المساجد » ٩٢ ) .

٧٢ ـ قولهم بعد الجمعة : يتقبل الله منا ومنكم .[١] ( « السنن » ٥٤ ) .

٧٣ ـ صلاة الظهر بعد الجمعة[٢] ( « السنن » ١٠ , ١٢٣ ، « إصلاح المساجد » ( ٤٩ ـ ٥٣)، « المنار » ٢٣/ ٢٥٩،٤٩٧ ، و٣٤/ ١٢٠ ) .

٧٤ ـ قيام بعض النساء على باب المسجد يوم الجمعة ، تحمل

---

= موضوعها بكثرة تعددها » ص٥١من طبعتنا ، وللسبكي رسالة في هذه المسألة بعنوان: « الاعتصام بالواحد الأحد من اقامة جمعتين في بلد » ، وقد قال فيها « تعدد صلاة الجمعة عند عدم الحاجة منكر معروف بالضرورة في دين الاسلام » ( ج/ ١ ص ١٩٠ ) من الفتاوى له ، وقد انتهى القاسمي في بحثه إلى انه ينبغي:« ان يترك التجميع في كل مسجد صغير سواء كان بين البيوت أو في الشوارع وفي كل مسجد كبير ايضاً يستغنى عنه بغيره ، وأن ينضم كل أهل محلة كبرى الى جامعها الأكبر ،ولنفرض كل محلة كبرى كقرية على حدة فيستغنى بذلك عن كثير من زوائد المساجد ، ويظهر الشعار في تلك الجوامع الجامعة في ابدع حال ، فيخرج من عهدة التعدد » .

قلت : وهذا هو الحق الذي يفهمه كل من تفقه بالسنة وتأمل في واقع الجمعة والجماعة في عهد النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم كما كنت نبهت عليه في الكلام على هذه المسألة ( ص ٩٦ ـ ٩٨ ) من « أحكام الجمعة » والله الموفق .

(١) قلت : واما حديث « من لقي اخاه عند الانصراف من الجمعة فليقل : تقبل الله منا ومنك فإنها فريضة اديتموها الى ربكم » . فقد اورده السيوطي في « ذيل الأحاديث الموضوعة » وقال(ص١١١ ) : « فيه نهشل وهو كذاب » .

(٢) وللشيخ مصطفى الغلاييني رسالة نافعة في هذه المسألة اسمها : « البدعة في صلاة الظهر بعد الجمعة » نشرت في مجلة « المنار » على دفعات فانظر ( ٧/ ٩٤١ـ٩٤٨ ، ٨/ ٢٤ ـ ٢٩ ) . ولعلها أفردت في رسالة مستقلة .

طفلاً لها، لا يزال يزحف ، ولا يمشي ؛ قد عقدت بين ابهامي رجليه بخيط ، ثم تطلب قطعه من أول خارج من المسجد ، يزعمن ان الطفل ينطلق ويمشي على رجليه بعد اسبوعين من هذه العملية !

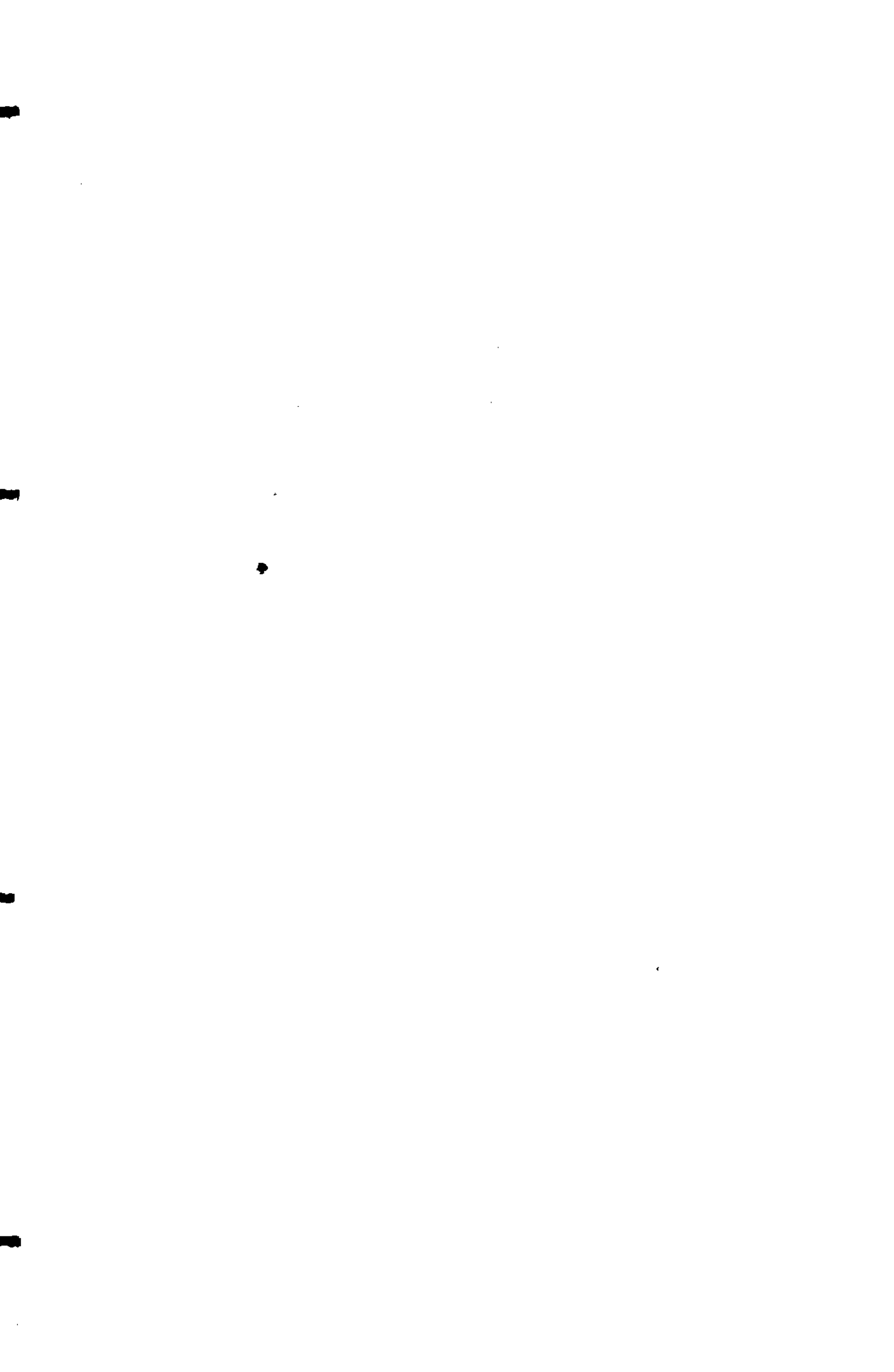
٧٥ ـ قيام بعضهم على الباب وعلى يده كأس ماء ، ليتفل فيه الخارجون من المسجد واحداً بعد واحد ، للبركة والإستشفاء!

وهذا آخر بدع الجمعة.

والحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

دمشق ٢٧/ ٢/ ١٣٨٢ هـ

**محمد ناصر الدين الألباني**



# الفهرست

١١٦ـ قول الباجوري: « لا يكره للامام والرجل الصالح والرجل العظيم تخطي الرقاب » !

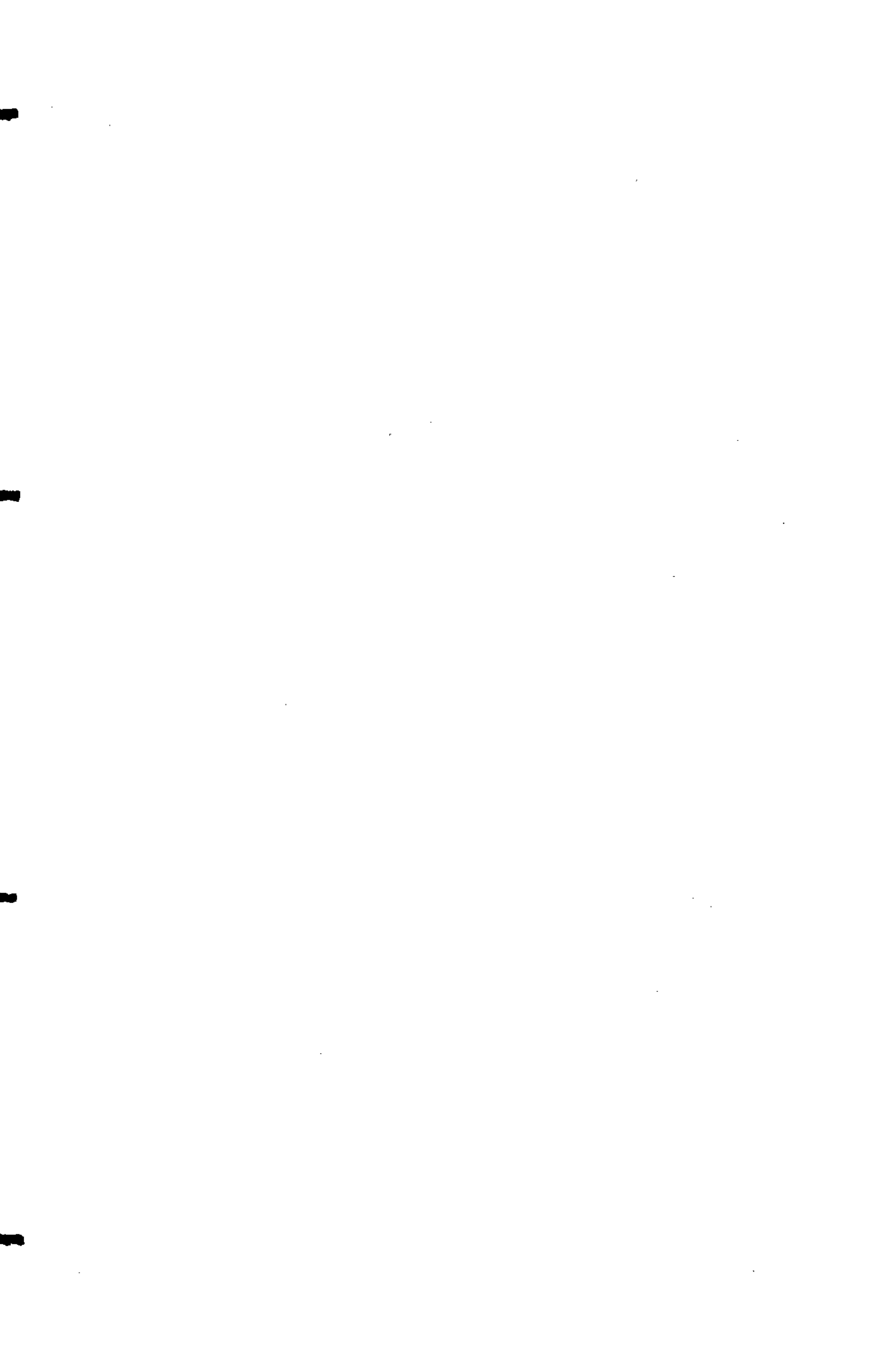
١٢١ ـ حديث: « إن لله في كل ليلة من رمضان ستمائة الف . . . » باطل

١٢٣ ـ اقامة الجمعة في المساجد الصغيرة من البدع. وكلام السبكي والقاسمي في ذلك وهو مهم .

# نظام التكافل الإجتماعي
## في الإسلام

للأستاذ سيّد قطب

دمشق - ١٣٧٣



بسم الله الرحمن الرحيم

« ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله . ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون﴾ ٢ ـ ١٠٢ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا﴾ ٤ ـ ١ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً ، يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾ ٣٣ ـ ٧٠ ـ ٧١ [١] .

أما بعد فإنه يسر (قسم النشر في لجنة المسجد) أن يقدم هذه

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها اصحابه كما رويت عن ابن مسعود (رضي الله عنه) عند احمد وأصحاب السنن الاربعة .

[وقد خرجها المحدث الشيخ ناصر الدين الالباني في رسالة خاصة طبعها المكتب الاسلامي .]

الرسالة الثانية، بعد أن رأى من ذيوع الرسالة الاولى وانتشارها أكبر مشجع له على المضي في عمله.

إننا نقدم هذه الرسالة، بعد أن أدركنا كثرة المشاكل التي نعانيها من جرّاء غزو الحضارة المادية الكافرة لنا التي افسدت طباعنا وجعلتنا في فوضى خلقية منكرة، وأساءت الى تفكيرنا فاستطاعت ان تنفث سمومها في بعض افرادنا فجعلت منهم ماديين يكفرون بكل شيء سوى المادة ينعقون بصيحات الكفر دون تفكير.. يزعمون ان الاسلام دين لا يحل مشاكلنا!! ولكنهم ببغاوات يرددون الصوت الذي يسمعونه ولو كان سباب انفسهم وقردة يقلدون العمل الذي يجري امامهم ولو كان تسويد وجوههم وصدق المثل العربي (الناس اعداء ما جهلوا) فهم اعداء الاسلام لانهم يجهلونه!!

والاسلام الذي سما بالروح، لم يهمل المادة وعالمها بل نظمها اكمل تنظيم، وحل مشاكلها بكل بساطة وسهولة واحكام، ودراسه المنهاج الاقتصادي في الاسلام امر جليل يتصل بشتى نواحي الحياة الاخرى ويقتضي جهوداً متواصلة.

وما أشد حاجتنا الى أن تنشأ حلقة علمية تختص بنشر هذه البحوث الاقتصادية من وجهة النظر الاسلامية بنشرات شهرية او اسبوعية حتى تأخذ بأيدي من ضل، الى سواء السبيل.

لاسيما ان في هذه المواضيع كثيرا من الكتابات، اجلها على ما

نعلم رسالة (معضلات الاقتصاد وحلها في الاسلام) للاستاذ المودودي وكتب الاستاذ قطب والغزالي وغيرها . .

وعسى أن يكون نشر هذا البحث خطوة أولى في هذا الميدان الرحب الفسيح وهذه الرسالة تتضمن بحث عنصر. مهم من عناصر العدالة الاجتماعية. والاستاذ الكبير « سيد قطب » هو من أقدر من يكتب عن رسالة الاسلام بأسلوب مشرق مبين وكيف لا وهو (لسان الدين) ـ كما سماه الاستاذ الطنطاوي ـ

والله نسأل أن يوفقنا الى فهم مبادىء الاسلام من اجتماعية واقتصادية وسياسية وروحية، فندعو إليها معتزين بها لانها هي وحدها الحق الذي ارتضاه الله . ﴿وَمَنْ يبتغِ غيرِ الاسلامِ ديناً فَلن يقبلَ منه وهو في الأخرة من الخاسرين [1]﴾ .

ونحن اليوم نجدد عهدنا لله : أن نعيش مجاهدين في سبيله ما حيينا، حتى ترفع راية الأسلام في الأرض، ويومئذ يتحرر المظلومون من كل عنت وطغيان، وينعمون بنعمة السعادة والهناء. . نعمة الاسلام ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا. . [2]﴾

دمشق ـ ٢٠ شعبان ١٣٧٣

لجنة المسجد

---

(١) آل عمران : ٨٥.

(٢) الحج : ٣٨.

**قال الاستاذ سيد :**

لقد تعودنا حين نذكر (التكافل الاجتماعي ، ) ونتحدث عن دور العقيدة الدينية فيه ، أن تخطر ببالنا كلمات الأحسان، والصدقة والبر، وعلى الأكثر كلمة : الزكاة .

أريد أن اقرر أن هذه الكلمات ، وما وراءها من مدلولات وما تلقيه حولها من صور وظلال، لا تمثل حقيقة الدور الذي تقوم به عقيدة كالعقيدة الاسلامية في ميدان التكافل الاجتماعي .

ان التكامل الاجتماعي في الاسلام نظام كامل، نظام لكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى هذا النظام قد تدخل في عناصره مدلولات الاحسان والصدقة والبر والزكاة وما اليها، ولكنها هي بذاتها لا تدل على حقيقته ، لأن حقيقته اوسع منها جميعا . ان هذه المدلولات هي بعض وسائل ذلك النظام، ولكنها ليست هوة لأن الوسيلة غير الماهية .

ان نظام التكافل الاجتماعي في الاسلام لا يعني مجرد المساعدات المالية ـ ايا كانت صورتها ـ كما تعني مثلا كلمات الضمان الاجتماعي فالمساعدات المالية هي نوع واحد من المساعدات التي يعينها التكافل في الاسلام. ثم انها هي وغيرها من المساعدات الاخرى ليست صلب النظام، انما هي وسائل لتحقيقه .

والآن نجيء الى بيان حقيقة نظام التكافل الاجتماعي كما عناه الاسلام.

لقد عني الاسلام بالتكافل الاجتماعي أن يكون نظاما لتربية روح الفرد وضميره وشخصيته وسلوكه الاجتماعي، وان يكون نظاما لتكوين الاسرة وتنظيمها وتكافلها، وان يكون نظاما للعلاقات الاجتماعية بما في ذلك العلاقات التي تربط الفرد بالدولة، وان يكون في النهاية نظاما للمعاملات المالية، والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الاسلامي.

وهكذا نرى أن مدلولات البر والاحسان والصدقة - وحتى الزكاة - تتضاءل امام هذا المدلول الشامل للتكافل الاجتماعي كما عناه الاسلام، وكما طبقه في واقع الحياة في يوم من الايام!

لقد بدأ الاسلام فجعل التكافل علاقة تربط بين المرء ونفسه فجل الفرد مسؤولا عن نفسه امام الله: مسؤولا عنها ان يزكيها ويطهرها، وان يكفها عن شهواتها، وان يقف لها بالمرصاد كلما هفت الى غواية. وقرر أن هذه النفس مستعدة للفجور والتقوى وان على صاحبها ان يختار لها الطريق وعليه تبعة ما يختار لها.

﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد افلح من زكاها. وقد خاب من دساها﴾ [1].

ولقد كلفه أن يمتع نفسه في الحدود التي لا تفسد فطرتها، وان

---

(١) الشمس: ٧ - ٨.

يمنحها حقها من العمل والراحة فلا ينهكها ويضعفها ﴿واتبع فيما آتاك الله الدار الآخرة. ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾[1].. « ان لبدنك عليك حقا »[2].

وفي مقابل حرية الاختيار قرر الاسلام فردية التبعة! فكل انسان وعمله، وكل انسان وما يكسب لنفسه من خير او شر، ومن حسنة أو سيئة ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[3]. ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[4].

وبذلك يقف الانسان من نفسه موقف الرقيب والكفيل: يهديها ان ضلت، ويمنحها حقوقها المشروعة. ويحاسبها ان اخطأت، ويحتمل تبعية اهماله ان أهمل في ردّها عن الغواية وبذلك يقيم الاسلام من كل فرد شخصيتين تتراقبان وتتكافلان فيما بينهما في الخير والشر سواء.

ذلك التكافل بين المرء ونفسه نظام تربوي. يوقظ ضمير الفرد وحساسيته، كما يوقظ شخصيته وينميها. فالحرية والتبعة هما قوام الشخصية المستقلة، وهو تكافل فردي في ظاهره، ولكنه في حقيته تكافل اجتماعي على المعنى الواسع الذي يعنيه الاسلام. ذلك ان تربية الفرد على هذا النحو إنما هي اعداد له في ميدان المجتمع. فلهذا التهذيب نتائجه في السلوك الاجتماعي، وفي التكافل

---

(١) القصص : ٧٧

(٢) صحيح الجامع ٧٨١٩

(٣) المدثر : ٣٧.

(٤) الاسراء : ١٣.

الاجتماعي. لأن الاسلام يوجد الفرد بعد هذه الخطوة ـ خطوة ايقاظ ضميره وارهاف حساسيته ـ الى الاثار والتعاون والتكافل مع الجماعة، فيجده على استعداد طيب للخطوة الثانية بعد اختياره المرحلة الاولى.

* * *

بعد ذلك ينتقل الاسلام بالتكافل الاجتماعي من نفس الفرد الى محضن الاسرة، فيقيم هذا المحضن على اسس وطيدة من التكافل، يتعادل فيها الغنم والغرم، وتتناسق فيها الحقوق والواجبات، والاسرة هي اللبنة الاولى في بناء المجتمع فاذا اقيم بناؤها على اساس التكافل، ضمن هذا المجتمع في النهاية بناءً وطيد الاركان، سليما غير متخلخل، وخفت الاعباء الاجتماعية على الدولة، لأن قسطاً كبيراً منها سيتم في داخل محيط الاسرة.

هذا التكافل في الاسرة ليس مجرد تكافل اقتصادي، انما هو تكافل انساني كامل. يشمل واجب العناية بالاطفال وتنشئتهم واعدادهم للحياة، جسمياً وعقلياً وروحياً، وواجب الرعاية للامهات والآباء عند الكبرة والهرم، الى جانب التكاليف المادية والتوارث المقابل لهذه التكاليف.

ولا مفر من الاعتراف بقيمة الاسرة في بناء المجتمع، على الرغم من جميع المحاولات التي تتجه اليها بعض النظم المادية للقضاء على الاسرة، وتكافلها الاجتماعي الخاص ـ كما تحاول الشيوعية مثلا ـ بحجة انها تنمي أحاسيس الاثرة الذاتية، وحب التملك،

وتمنع الشيوعية المال، وشيوعية ملكية الدولة للافراد. فالاسرة تقوم على ميول ثابتة في الفطرة البشرية يلبيها الاسلام تلبية سليمة حين يجعل للاسرة مكانها الرئيسي في نظامه الاجتماعي كما انها هي العش الذي ننشأ في دفئه، ومن حوله، مجموعة الاداب والاخلاق الخاصة بالجنس، وهي في صميمها آداب المجتمع الذي ارتفع عن الاباحية والحيوانية.

كذلك هي ضرورة بيولوجية ونفسية لا يغني عنها نظام الاختلاط الجنسي الاباحي. فتخصيص امرأة لرجل واحد اصلح بيولوجيا وافلح لانجاب الاطفال اما من الوجهة النفسية فان مشاعر المودة والرحمة والتعاون تنمو في جو الاسرة خيرا مما تنمو في أي نظام آخر. وتكوين الشخصية يتم في هذا المحيط خيراً مما يتم في أي نظام آخر. وقد اثبتت تجارب محاضن الاطفال كما قالت انا فرويد ودورتي برلنجهام في كتابهما « اطفال بلا اسرة » ان الطفل الذي يتناوب تربيته عدة حاضنات تختل شخصيته وتتفكك، كما ان الطفل الذي يشاركه في حاضنة اطفال آخرون في مثل سنه لا تنمو في نفسه مشاعر الحب والتعاون.

فالاسلام حينما جعل الاسرة قاعدة نظامه الاجتماعي، وجعل التكامل بكل معانيه قانوناً لهذه الاسرة، كان يضع للتكامل الاجتماعي الاساس الصحيح المتفق مع الفطرة البشرية المحقق لاقصى ما فيها من استعداد للخير والكمال.

هذا التكافل الاجتماعي في محيط الاسرة ينشأ عنه بجوار

الواجبات والتكاليف الادبية حقوق وواجبات في المال اذ يقرر الاسلام النفقة للعاجز على القادر في محيط الاسرة، ويقرر معه نظام التوارث بين الاقرباء على خلاف فيها بين الآراء الفقهية لا يعنينا هنا بيانه. انما المهم هو تقرير اصل التكامل العائلي والتعادل بين الغنم والغرم فيه، تبعاً لمبدأ العدل الذي هو اساس النظام الاجتماعي في الاسلام.

ثم ننتقل من محضن الاسرة الى محيط الجماعة، حيث نجد التكافل الاجتماعي يشمل كل العلاقات الاجتماعية، ولا يقف فقط عند حدود المال.

هنالك تكافل بين الفرد والجماعة، وبين الجماعة والفرد، يرتب تبعات على كل منهما كما يرتب حقوقاً تقابل هذه التبعات، فالاسلام يبلغ في هذا التكامل حد التوحيد بين المصلحتين، وحد الجزاء والعقاب على تقصير ايهما في النهوض بتبعاته.

هذا التكافل - كما قلنا - لا يقف عند حدود المال هو تكافل في كل علاقات الحياة الاخرى هو تكافل في حماية المجتمع من الشر والرذيلة والفاحشة والفساد وحمايته سواء من الحاكم او المحكوم. وعلى كل فرد دور في هذه الحماية « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه وهو اضعف الايمان ».

وقد فهم بعض المسلمين يوما من قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين

آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم﴾ [1]. فهم هذا البعض انها تجيز لهم السكوت عن رد المنكر وتغييره. فنبههم الخليفة الاول ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ الى عدم فهمهم لها قال :

« يا أيها الناس، انكم تقرأون هذه الآية.. وانكم تضعونها على غير موضعها، واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الناس اذا رأوا المنكر ولم يغيروه او شك الله ان يعمهم بعقابه » [1] وهذا هو التفسير الصحيح الذي ينطبق على مرامي الاسلام انما كل ما في الآية هو تقرير التبعة الفردية، والضلال السلبي ـ الذي ليس له اثر ايجابي في محيط الجماعة ـ امر يخص صاحبه، وعلى الآخرين ان يحاولوا الهداية، وان يغيروا المنكر. فاذا لم يهتد الضال ولم يكفّ فهو وما كسبت يداه. ولا يجازى على الجرم بعدئذ سواه.

وكل فرد مكلف ان يحسن عمله الخاص. لأن ثمرة عمله عائدة على الجماعة « ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه » . ولكل فرد حق العمل على الجماعة ـ او على الدولة النائبة عن الجماعة ـ فالتكافل الاجتماعي في الاسلام ليس نظام احسان او صدقة في اصله انما هو نظام اعداد وانتاج تنشأ عنهما الكفاية الذاتية اولا وقبل كل شيء. وقد جاء رجل الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسأل وهو قادر على العمل ـ فلم يعطه مالا ، انما هيأ له فأسا

---

(١) المائدة : ١٠٥.

(٢) انظر « ابو بكر » للطنطاوي.

وكلفه ان يذهب فيحتطب بها، فيبيع ما احتطب، فيعيش به، كما كلفه ان يعود اليه ليرى عمله وكيف حاله. . فهو قد هيأ له اداة العمل، وهداه اليه، وظل يرعاه ليرى مدى نجاحه في عمله وانتاجه فيه. وبذلك قرر مبدأ حق العمل للقادر وحقه على الدولة في تيسير وسيلة العمل وأداته، تطبيقاً لمبدأ التكامل الاجتماعي بين الفرد والجماعة في صورته الشاملة الكاملة.

وتطبيقاً لهذا المبدأ كذلك قرر الاسلام تحريم التعامل بالربا فليس تحريم الربا بمعزل عن نظام التكافل الاجتماعي.

ان الاسلام يقرر مبدأ الملكية الفردية للمال الذي كسبه صاحبه بطريقة مشروعة. ولكنه يقرر بجانب مبدأ الملكية الفردية مبدأ آخر يقرر أن هذا المال مال الله، استخلف الجماعة فيه ﴿وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾، ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ [1] وان الملكية لا تقوم الا بعقد تم عليك من الشارع حقيقة او حكما، باعتبار انه نائب عن الجماعة المستخلفة في مال الله.

وتبعاً لهذين المبدأين يحرم الاسلام الربا. فالربا كسب غير مشروع، لأن المال لا يجوز أن يلد المال. انما العمل هو الذي يستوجب الجزاء، وكذلك لأن المال مال الجماعة ومالكه انما هو موظف فيه لاستثماره. فاذا احتاج غيره من افراد الجماعة الى شيء يستثمرونه او يقضون به حاجاتهم الضرورية فيجب ان يعطي لهم قرضاً بلا فائدة، تحقيقاً لنظام التكافل الاجتماعي.

---

(١) النور : ٣٣.

ولن يقوم تكافـل اجتماعـي على وجـه صحيح ونظـام الفوائـد الربـوية قائـم، والمال محبـوس في ايدي اصحابـه، لا يدعـون الاخرين ينتفعون به في العمل والاستغلال الا اذا ادوا عنه فائدة ربوية لا ينهض على اساس من العدل ـ بله التكافل ـ واطلاق المال ليعمل فيه قادر، وليستثمره افراد الجماعة بالعمـل، هو الاسـاس الذي يضعه الاسلام اول ما يضع لتحقيق التكامل الاجتماعي.

* * *

وأخيراً نجيء الى الزكاة، ونجيء الى الصدقات. وقد تعمدت ان اؤخرها لأشير الى انها ليست الا قاعدة واحدة من قواعد كثيرة يقوم عليها نظام التكافل الاجتماعي في الاسلام، على حين يظـن الكثيرون انها القاعدة الوحيدة لذلك النظام.

انها قاعدة تجيء بعـد قواعـد العمـل وتسـير لكل قادر عليه، والقرض الحسن وتمكين كل من يريد المال ليعمل فيه او ليأكل منه بلا فائدة (ربا)، والتكافل بين افراد الاسرة والتضامـن في العـزم والتبعة الفردية والجماعية تجاه المجتمع ـ لا من ناحية المال وحده بل في كل نواحي الحياة ـ تجيء بعد أن تكون فكرة التكافل الاجتماعي قد شملت تربية الفرد وتربية الجماعة وتنظيم الحياة الاجتماعية قد شملت تربية الفرد وتربية الجماعـة وتنـظيم الحياة الاجتماعية على اسس فاضلة يكفلها الفرد وتكفلها الجماعة ويحميهـا الجميع من كل اعتـداء سواء جاء هذا الاعتـداء من الافـراد المحكومـين او السلطات الحاكمة.

اخيراً تجيء الزكاة، فاذا هي حق مفروض في المال، حق مقدر معلوم، غير متروك لوجدانات الافراد ولا لتقديرهم حق تأخذه الدولة وتقاتل عليه، لا إحساناً فردياً من يد الى يد، ومن متفضل الى متفضل عليه.

وبذلك تنفي من الزكاة تلك الصورة الذليلة التي يتصورها البعض لها : صورة يد ممدودة بالسؤال ويد متفضلة تنفحها بشيء من المال، انها صورة مزورة مفتعلة لفريضة الزكاة، يتخيلها من لا يعرفون حقيقة هذا النظام، او ممن يعرفون، ولكنهم يحاولون تشويه الحقائق لغرض معلوم.

فأما الصدقات، فلأن فيها مظنة الاحسان من مخلوق الى مخلوق فاننا نرى الاسلام ينفي هذه المظنة بشدة ويقرر دائماً انها قرض لله يجزي عليه الله. وليس تفضلا من انسان على انسان وان الرابح في هذه العملية هو من ينفق المال. وانه انما يقدم لنفسه ما انفق بلا منّ ولا افضال.

﴿وما تنفقوا من خير فلأنفسكم. وما تنفقوا الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوفّ اليكم وانتم لا تظلمون﴾ [1].

﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، فيضاعفه له، وله اجر كريم﴾ [2].

ومن ثم فالمعطي حين يعطي، لا يتفضل على المحتاج انما هو

---

(١) البقرة : ٢٧٢. (٢) الحديد : ١١.

يقدم قرضاً لله والمحتاج الذي اخذ انما كان واسطة لمن اعطى لينال اجره من الله .

* * *

هذه هي الصورة الحقيقية لنظام التكافل الاجتماعي في الاسلام عرضته عليكم في ايجاز، لنعلم انه نظام تربية للفرد والجماعة، ونظام تمكين للاسرة وحماية، ونظام للمجتمع يحدد علاقات افراده وحكوماته، واخيرا فهو نظام اقتصادي يحدد العلاقات الاقتصادية في ميادين كثيرة. ويجعل العمل والانتاج وسيلته الاولى ولو تتبعناه في بقية المعاملات كما تتبعناه في موضوع العمل والربا لوجدناه يشمل جميع العلاقات الاقتصادية.

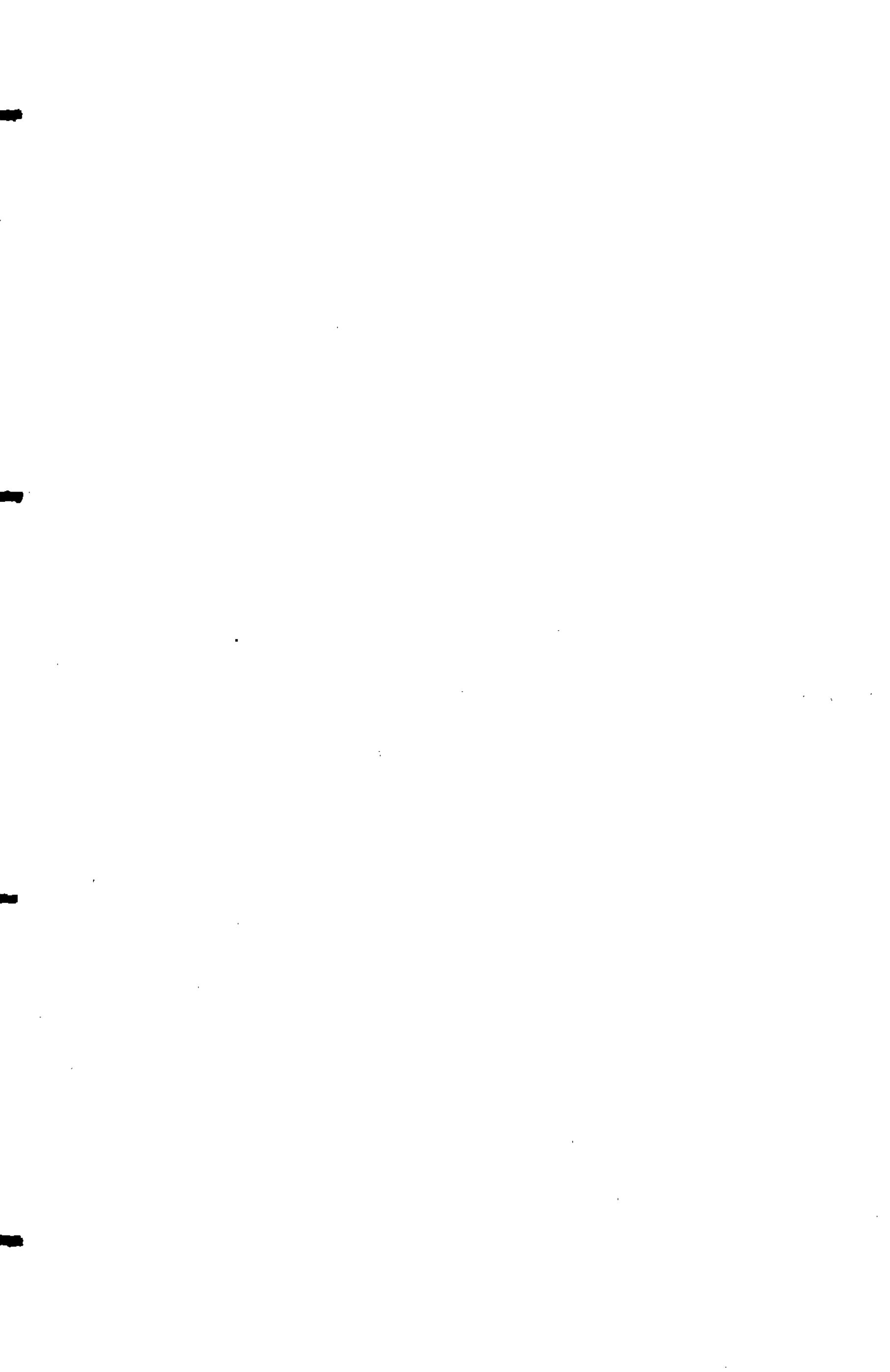
ومن ثم فهو نظام حياة شامل، لا نظام احسان وصدقة وبر فقط كما يتبادر كثيرا الى الاذهان. ولقد حقق الاسلام بهذا النظام مجتمعا متكاملا لم تعرفه البشرية من قبل، وما تزال تتطلع الى تحقيق مثله حتى الآن.

سيد قطب

# الصراع بين الخير والشر

الأستاذ
محمد خير الجلاد

نص الخطبة التي ألقيت في
مسجد الجامعة في ١٢ رمضان ١٣٧٣



# مُقدِّمة

الدكتور مصطفى السباعي
المراقب العام للاخوان المسلمين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

( وبعد ) فان الاسلام غني بمصادر القوة والنصر، حافل بالدعاة الذين اخذوا على انفسهم أن يدعوا الى الله على هدى وبصيرة، وأن يعملوا للخير في اوساط أمتهم ما وسعهم العمل، ويكافحوا الشر في مجتمعاتهم ما استطاعوا من الكفاح، حتى يعود المسلمون الى حقائق دينهم، وتنكشف للأعين روعته وبهاؤه، وتتفتح النفوس لهدايته وإشراقه . .

وهذه الرسالة التي تقوم بنشرها « لجنة مسجد الجامعة السورية » هي دروس مفيدة من كتاب الله الخالد، يعرضها علينا الاخ الداعية المربي الاستاذ محمد خير الجلاد، باسلوب نير نابع من نفس مؤمنة وروح مشرقة، يجد فيها الشاب المؤمن ما يذكره بعبوديته لله ، وكرامته عنده، وحاجته الى عفوه ورحمته ، كما ينبهه الى دسائس الشيطان ودخائله في النفس، وان للشيطان مداخل ما هلك من هلك الا لغفلته عنها، وما نجا من نجا الا لتنبهه لها

وحذره منها، ولولا مسالك الشيطان في النفس، لما حبط أجر العامل، ولا انقطع عن عبادته العابد، ولا ضل عن سبيله الداعية، ولم يجاهد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون العارفون من بعدهم شيئاً كما جاهدوا خدع الشيطان ودسائسه.

وما أحوجنا اليوم الى قراءة مثل هذه الرسالة، وقد عصفت في النفوس رياح الهوى، وانحرف الشيطان بمكره الدفين بكثير من أتباع الخير والهدى، حتى كاد يلتبس الحق بالباطل، والاصلاح بالافساد، والخير بالشر، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ونسأله الهداية والتوفيق، كما نعوذ به من شرور أنفسنا ومن وساوس الشيطان ودسائسه، والله اكبر ولله الحمد.

دمشق في ٣ من ذي القعدة ١٣٧٣
و٤ من تموز ١٩٥٤

**مصطفى السباعي**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن الا وانتم مسلمون﴾[1]﴿ياايهاالناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام، ان الله كان عليكم رقيباً﴾[2] ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم اعمالكم، ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [3].

أما بعد: فان شهر رمضان المبارك تحفة مباركة من عمر السنة ينجلي الله سبحانه فيها على عباده فيفتح ابواب رحمته، وينشر اعلام طاعته، فيزيد العابدون اقبالا على العبادة، ويتوب العصاة منيبين مستغفرين لما فرط منهم في جنب الله. فهو اذاً شهر موسمي الهي تنطلق الروح فيه من كثافة الران المخيم على القلب، فينبلج صبح الايمان وضاء مشرقاً نترجم عنه الابتسامة المتلألئة على ثغر الصائم، فهو يتردد بين ليل يقومه، ونهار يصومه، وقرآن يتلوه، وأمل

---

(١) آل عمران : ١٠٢. (٢) النساء : ١. (٣) الأحزاب : ٧٠.

يحدوه، الى تحري ليلة القدر، التي هي خير من الف شهر، حتى اذا ذاب قلبه في الخشوع، واشرقت روحه في الطاعة، تذوق لذة انسانيته المؤمنة، وأحس بانه ارتفع بطائرة الروح الى سماء المعرفة والمناجاة، فشهر الصيام معراج يرقاه المؤمن ويتخذه مرحلة جديدة لانطلاق جديد في معارج الكمالات التي تقربه الى الله، وتجعل منه انساناً ملكاً يمشي على هذه الارض.

فنحن نهتبل موسم هذا الشهر شهر العبادة والقرآن، لنتناول طائفة من آيات الذكر الحكيم نتفحص في قراءتها قصة خالدة رائعة، يتمثل فيها الصراع العنيف الدائب بين قوى الخير وقوى الشر، لنتحسس فيها العظة البالغة، والعبرة المؤثرة، والتسابق في حلبة الصراع الهائل بين هذه القوى، وقد قصها الله علينا أكثر من مرة، في اساليب شتى، ومشاهد متنوعة، لنكون على ذكر من سر وجودنا، وحقيقة رسالتنا وواجبنا، ولنعلم اننا خلقنا في هذه الدنيا جنود حرب وصراع ونضال لا هوادة فيه ولا راحة معه، وان اللحظة التي نترك فيها اليقظة والاستعداد والكفاح ولو طرفة عين، تكون هي اللحظة التي يمتد فيها سلطان العدو ويفتك فينا سلاحه.

واننا نمر كثيراً على هذه الآيات الواضحات مرور من اعتاد رؤية الشمس كل يوم فلا يكاد يجد فيها معجزة تبهر عقله، وتأخذ لبه، لانه اعتاد أن يراها كل يوم فلا يفكر فيها طويلا. مع أن القرآن يحثنا على التدبر والتفكر في قرابة خمسين آية أو تزيد، لئلا تنساق الآيات

بين ايدينا مساق العادة المألوفة فنخسر لذة التفكر فيها، ونهمل العظة التي سيقت هذه الآيات بسببها ومن أجلها.

ثم ان المؤمن حينما يتدبر قصة هذا الصراع بيقظة واهتمام لا يسعه الا ان يتحمس له متأهباً لخوضه مندفعاً نحوه، لان روح القصة تؤجج في النفس روح الثورة على العدو المتأهب، والروح النبيل تواق الى حب المغامرة في سبيل الواجب الذي يحتم عليه الانتصار له والتفاني في سبيله.

واذا اتيح للمؤمن الانتصار على خصمه في هذه المعركة، فقد فتح له الطريق للانتصار في كل معركة مهما حمي وطيسها، واشتد أوارها، واذا انهزم في هذه المعركة، فقد خسر المعارك كلها مهما كان كثير العتاد والقوة.

تلك القصة هي قصة آدم عليه السلام وقصة ابليس عليه اللعنة على أن لهذه القصة مشاهد عدة نعرضها بالترتيب واحداً بعد آخر.

**المشهد الأول**: يعرض الله سبحانه فيه أصل آدم وانه من طين يابس مسود مصور، وأصل ابليس وانه من النار النافذة في المسام. ويأمر ابليس فيه بالسجود لآدم فيأبى خارجاً من رحمة الله مطروداً، فيطلب إنظاره وتأخيره الى يوم القيامة، فيجاب الى ما طلب، فيقسم: لَيغوينَّ آدم وأبناءه وليزيننَّ لهم الشهوات، واستثنى عباد الله المؤمنين الذين لا شأن له بهم، ولا سلطان له عليهم قال الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حماءٍ مسنون. والجان خلقناه من قبل من نار السموم. واذ قال ربك للملائكة: انـي

خالق بشراً من صلصال من حماءٍ مسنون. فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين. قال: يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين؟ قال: لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماءٍ مسنون. قال: فاخرج منها فانك رجيم. وان عليك اللعنة الى يوم الدين. قال: ربِ فأنظِرني الى يوم يبعثون. قال: فانك من المنظرين. الى يوم الوقت المعلوم. قال: رب بما اغويتني لأُزيننَّ لهم في الارض ولأُغوقنهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين. قال: هذا صراط عليّ مستقيم. ان عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين. وإن جهنم لموعدهم اجمعين. لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ [1].

**والمشهد الثاني**: يذكر الله لنا فيه تكريمه لآدم بدخوله وزوجه الجنة، ونهيه اياهما عن الاقتراب من الشجرة، واغراء الشيطان آدم وزوجه بالاكل منها حتى اخرجا هابطين الى الارض، كل فريق عدو للآخر على مسرح هذه الارض.

فقال تعالى:﴿وقلنا: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين﴾ [2].

---

(١) الحجر: الآيات من ٢٦ إلى ٤٤.

(٢) البقرة: ٣٥ ـ ٣٦.

**والمشهد الثالث:** هو مشهد استغفار آدم وتوبته، وابتداء المعركة بين الخير والشر بين خير الايمان وشر الكفران، بين نور الله وهدايته، وظلام الشيطان وغوايته، فقال تعالى: ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم. قلنا: اهبطوا منها جميعاً [illegible] منى هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم [illegible] أصحاب النار هم فيها [illegible]

[illegible] منزلة كلّ [illegible] امته الحجة [illegible] عفاء للذين [illegible] ذاب الله من [illegible] زعنا أم صبرنا [illegible] له وعدكم وعد [illegible] سلطان الا ان [illegible] سكم، ما أنا [illegible] إني كفرت بما [illegible]. وأدخل الذين [illegible] لانهار خالدين فيها [illegible] العظيم.

: ٢١ - ٢٢ - ٢٣.

هذه مشاهد القصة، تبرز فيها حقيقة هذا الصراع الجامح بين آدم وابليس. وعلى بني آدم ان يتخذوا منها اكبر عبرة، وأجل موعظة، وأعظم تجربة.

فيا أيها الآدمي المكرم على ربك، والذي سجدت له الملائكة، وطرد الله ابليس من رحمته لابائه عن السجود لك، وامتناعه عن امتثال أمره فيك.

ويا ايها الآدمي الذي أدخلك الله الجنة فنهاك عن الاكل من الشجرة، فوسوس لك ابليس العدو، فخالفت أمر ربك. فأكلت منها وأطعت الشيطان، فطُردتَ من الجنة، فشمت بك عدوك إبليس، وفرح بطردك واطمأن إلى انه صرعك في الشوط الاول من المعركة، ورجا ان يحكم عليك بالطرد من رحمة الله كما طرد هو فتكونان سواء.

ولكن الله الكريم الغفور الرحيم علمك كيف تتوب، فدلك على الاستغفار ليمحو عنك الخطيئة، ثم لتعاود الصراع طامعاً في الانتصار على الشيطان الذي كان قد صرعك، فتتعود ان تصرعه دائماً.

يا أيها الآدمي الذي بلغت من اكرام الله إياك ما عرفت، ومن عفوه ما رأيت، ما أجدرك بتقدير هذا الاحسان، وما أحق الله بقلبك أن يستأثر به ويحتل سويداءه.

أليس الانسان عبد الاحسان؟ ألم تجبل القلوب على حب من أحسن اليها؟ أيكون الاب محبوباً لانه الوالد، ويكون

الصديق أثيراً لانه الودود، ويكون كل ما في هذا الكون حبيباً لانه الجميل، ثم لا يكون الله الذي خلق هؤلاء وسخرهم لرفاهيتك أحق بالحب منهم جميعاً؟ ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحبَّ اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [1].

فانظر أي انسان أنت في هذه المعركة. فإما ان تكون مخلصاً لله قلبك، ومسلماً اليه أمرك، متوجهاً اليه في جميع أمورك، ومراقباً إياه في جميع حالاتك،فتظفر برضاء الله، وسعادة الدارين، وتنتصر على الشيطان.

وإما أن تكفر نعمة الله عليك، فتخالف اوامره اليك، فيفترسك الشيطان، ويسوقك بخطام غفلتك الى غضب الله، ويستعملك في غواية الناس، فتكون الخاسر في معركة الصراع، وتكون لئيماً لأنك سمحت لعدوك أن يأسرك برضاك، ويسوقك بارادتك الى مخالفة أمر الله، وكان باستطاعتك أن تتوب وتحسن التوبة وتستغفر، فقصرت، وأمعنت حتى أنساك الشيطان ذكر الله، ومهمة الكفاح، فقعدت واستسلمت استسلام الجبناء، فكفيت شيطانك أمرك، واستراح من مقاومتك، واستخدمك في اغراض الشر، فخسرت الصفقة، وانهزمت في معركة الصراع.

واعلم ايها المؤمن ان للشيطان خدعاً خبيثة، بها يصل الى ولوج

---

(١) التوبة : ٢٤.

قلب المؤمن، ومنها يشن الغارة ويبدأ الهجوم، وقد رد الله خدع الشيطان بما ينقضها، ويزيل اثرها، ويرد كيده فيها ﴿ان كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ وأعظم هذه الخدع أن يزين الشيطان للانسان ارتكاب معصية ما، حتى إذا طغاه ووقع فيها، خُيّل اليه مخدوعاً ان معصيته قد صهرته في ظلمتها، واذابته في بوتقها، وأنه بلغ من اتساخ القلب، ودناءة المعصية، ما يحجبه عن رحمة الله، ويبعده عن قبول التوبة، فاذا رفع بصره الى السماء يستغفر داعياً مبتهلاً، شخص شيطانه بين عينيه وناداه: أن اخسأ أيها العاصي الملوث بأوزار المعصية، إن معصيتك لا تمحى بالدموع، ولا تزول بالتوبة،فطأطىء رأسك،وغض طرفك، وعدْ الى ظلمتك التي أنت من معدنها. وسرعان ما تسري في نفس العاصي هيبة الموقف، وهول المعصية فيخجلُ من ربه، ويتهافت في نفسه، ويظن ان الهرب من التوبة، والفرار من الاستغفار، هو الاليقُ بذنبه، والأجدر بمقامه، فيفر من التوبة، ويحجم عن الاستغفار، فيجد الشيطان في ذلك أمنيته، فيعبث به عبث الطفل بالكرة وينهزم المؤمن العاصي حينئذ في معركة الصراع مع الشيطان.

ولعلَّ اكثر العصاة المصرين على معاصيهم هم من هؤلاء اليائسين من رحمة الله، المخدوعين بعبث الشيطان وكيده، ولئلا يقع العصاة في فخ اليأس الشيطاني، فقد فتح الله لهم باب الامل بعفوه ومغفرته، إذا هم أخلصوا توبتهم لله، وندموا على ما فعلوا،

وعزموا على أن لا يعودوا، فقال تعالى : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ [١] وقال سبحانه : ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ [٢] وقال : ﴿ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ [٣] وان من أخبث الخدع الشيطانية أن المؤمن قد تتحكم به عادة سيئة تتملكه، وتتمكن منه، فيفكر في تركها، ويهم محاولا انتزاعها، فيتصدى له الشيطان بأن زوال جبل من مكانه أهون من زوال عادة عن صاحبها، ثم يميلي على نفسه الوحشة عند مغالبتها وهجرها، ثم لا يزال يزين له عادته، وييئسه من التغلب عليها، حتى يقعد عن معالجتها، ويلقي سلاح المقاومة تحت أسر الشيطان وتغريره، فينهزم في معركة الصراع مع الشيطان.

فعلى المؤمن أن يستعين بالله في مغالبة الهوى، وكفاح مساوىء العادات، فالنصر رهين التحمل والصبر والتجلد والتربص لمكائد العدو وردها بما يقابلها ويلائم صراعها. وان التحصن بالله، والفرار اليه، والاعتزاز به، يملا قلب المؤمن ثقة وايماناً، فسرعان ما يندحر الشيطان أمام هيبة الله وسلطانه ﴿قل اعوذ برب الناس، ملك الناس، اله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي

---

(١) الزمر : ٥٣.    (٢) النساء : ١١٠.
(٣) النحل : ١١٩.

يوسبوس في صدور الناس، من الجِنة والناس﴾ [1] والانسان بنفسه ضعيف كل الضعف عن مقاومة الشيطان كيف لا وقد تكالبت عليه المغريات من كل جانب:

ابليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم اعدائي

وان من اخطر خدع الشيطان ( والحرب خدعة ) غفلة القلب عن الله تبارك وتعالى، فان الذي شغلته دنياه عن آخرته مع وفرة المذكرات القرآنية غافل كل الغفلة، مغرق في نوم عميق ونوم القلب معناه غيبوبته بخدر الغفلة المسيطرة، واذا تخدر المريض قبل الجراحة بما يسمى « البنج » غاب احساسه بعبث المبضع، ولم يدر أي شيء يفعل به. واذا تخدر قلب المؤمن بخدر الغفلة غاب احساسه بعبث المشرط الشيطاني وهو لا يدري، فينهزم في معركة الصراع مع الشيطان. فعلى المؤمن أن ينتبه الى خطر الغفلة، وسوء عاقبتها، حتى يثوب الى يقظته، ويحمل سلاح المقاومة فينتصر في المعركة: قال سبحانه: ﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ [2].

وان من اخفى خدع الشيطان: حب المؤمن الخير لنفسه من دون الناس، وايثاره المصلحة الخاصة وحدها دون التفكير والاهتمام في المصالح العامة، وركونه الى العزلة والانفلات من الصراع الاجتماعي ايثاراً للدعة والراحة وسكون النفس، ظناً منه انه قد هرب من ظلمة الفوضى الى سكون العزلة.

---

(١) سورة الناس. (٢) الانفال: ٢.

وتكاد تكون هذه الخدعة افتك سلاح بيد الشيطان لخفائها على كثيرين من جهة، ولخطرها الاكبر في تمزيق وحدة الصف، واجتماع الكلمة من جهة ثانية : ويعلم الشيطان أن اجتماع كلمة المسلمين عصمة لهم من شره وحصن لهم من ضلاله وانهزام أي انهزام له في معركة الصراع لهو يدأب جاهداً في اثارة لذة حب الذات في كل نفس. . وإشاعة حب العزلة في كل قلب ، واقامة سدود من الموانع لعرقلة اتصال المؤمنين بعضهم ببعض، ليكونوا كأحجار البناء المبعثرة هنا وهناك، لا ينسجم منهم صف؛ ولا يرتفع بهم بنيان. وان الله قد رد كيد الشياطين، فامرنا بالاعتصام بحبله، والتعاون على تقواه وبره، ونهانا عن التفرق المقرون بالفشل وذهاب القوة، وشبه النبي ﷺ المؤمنين بالجسد الواحد المتماسك. ولفت نظر المؤمنين الى ضرورة التعارف والاخاء، وتمتين الأواصر، حتى لقد ناط الرسول ﷺ دخول الجنة بالايمان، وربط الايمان بالتحاب، وجعل وسيلة هذا الحب افشاء السلام بين الناس فقال: «والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم» وما ذلك ليبني الله بوحدة الصف صرحاً أساسه الحب والاخاء وطاعة الله ، فينتصر المؤمنون وهم خير قوة في معركة الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، وينخذل الشيطان بخزيه ووساوسه منهزماً مدحوراً.

وهكذا فإن مكائد الشيطان لا تنتهي، ولا يعرفها إلا الذين عزّ

عليهم ايمانهم، وصدقت عزيمتهم على مقاومة الشيطان. فاللهم ارزقنا حلاوة الايمان، وخشوع القلب، واستقامته، وردّ عنا كيد الشيطان، فانا نجعلك في نحره ونعوذ بك من شره : يا أرحم الراحمين. .

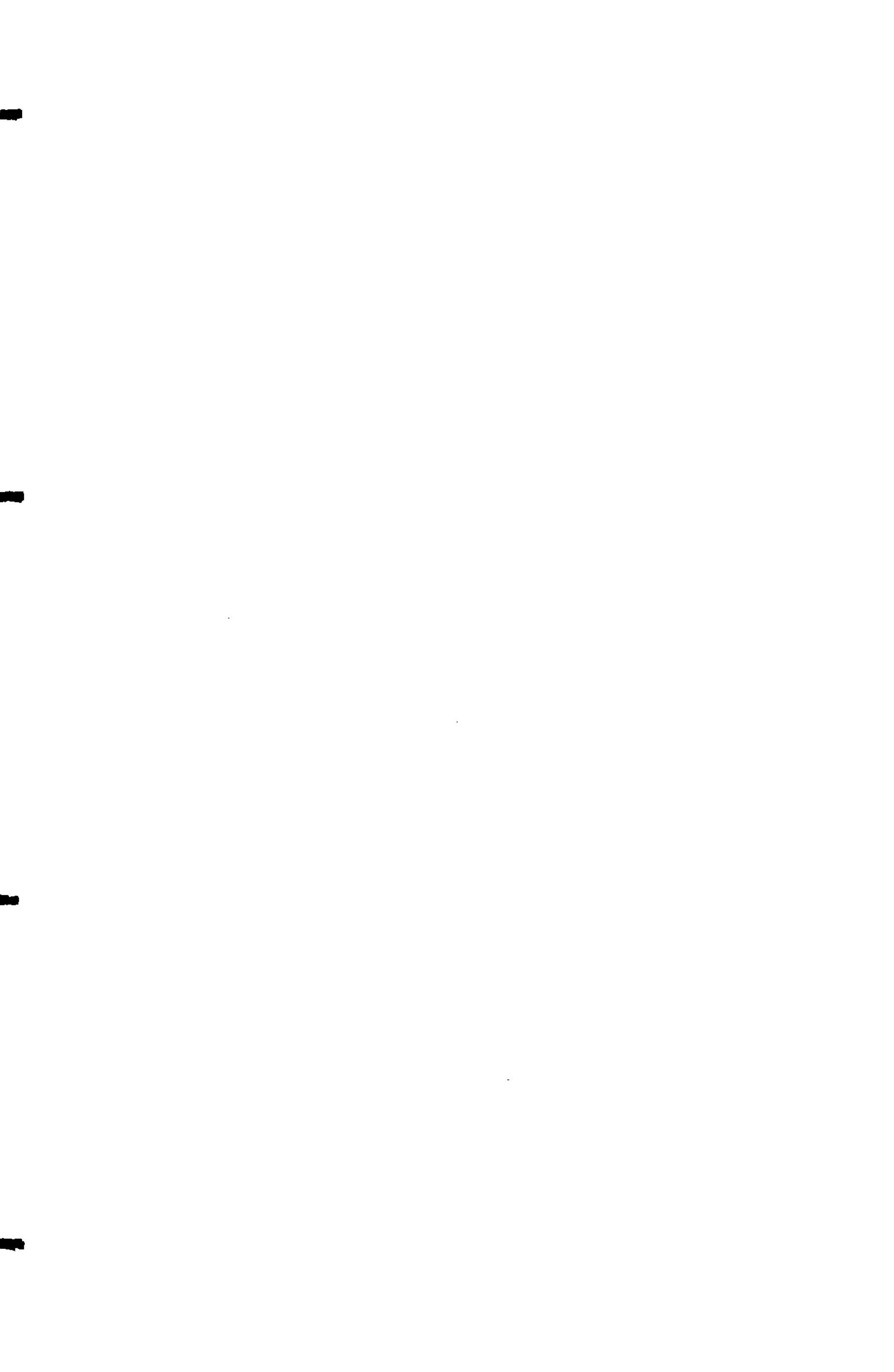
محمد خير الجلاد

# من إلهامات الهجرة

للأستاذ

محب الدين الخطيب

« ذكرى الهجرة »



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة على رسوله، وعلى آل رسوله وعلى أصحاب رسوله وأتباعهم ما دامت السماوات والأرض.

أما فوضى المفاهيم التي نتخبط في عشوائها من جراء تقليد الغربيين فمما يحتاج إلى حل شاف..

وأما الطبقة التي تستطيع تصحيح ما ساء من هذه المفاهيم، فنحن لا نفتقد أفرادها بحمد الله ولو كانوا قلة مما أثقل واجبهم وعظم أجرهم باذن الله..

وفي مقدمة المفاهيم التي أصبحت تستدعي التوضيح السريع مفهوم الدين.

وفي مقدمة المفكرين الاسلاميين هؤلاء كاتب هذه الرسالة.

ولقد قام الاستاذ محب الدين يدافع عن الاسلام ويذود عنه الكائدين والمتحللين والملحدين والمستعمرين في الوقت الذي زاد فيه المستجيبون لهم، ولم يجدوا من يقف في وجه طغيانهم وتهديمهم، فاصدر الفتح والزهراء يوم لم تكن للمسلمين صحف غير الفتح والزهراء، وتخرج على يديه نفر من المفكرين الاسلاميين الحاليين، كنا نفتقدهم لو لم يدرسوا في جامعة الفتح والزهراء، وكانت الفتح والزهراء الى هذا ملتقى المسلمين من أقطار الأرض،

وأملهم، تجمعهم فكرياً بعد أن انهارت الخلافة التي كانت تجمعهم نظرياً وتحاول أن تخلق في نفوسهم الوحدة التي أرادها لهم الله جل وتعالى.

ثم بدا للناس كأنما اعتزل الاستاذ الجليل الميدان بعد أن خرج لهم أناساً يرضى عنهم الله ويرضون عنه فاحتملوا ذلك في صمت لأن الثغرة التي خلفها لا تُسد واستبشروا يوم أخذ يحرر الازهر بعد الزهراء.. وأصبحوا بحاجة الى أن يستعيدوا نفحات قلمه المسلم واستجابة لهذه الحاجة نقدم هذه الرسالة ـ كما وعدنا ـ هدية في ذكرى الهجرة.

ومفهوم الهجرة الذي أوضحه الاستاذ الخطيب في هذا المقال الذي نشر في الفتح ـ يوم كانت الفتح ـ قد غمض على المسلمين وشاه، تبعاً لما شابه من دخل وأصبح الناس يحتفلون بالهجرة كما يحتفل اطفال النصارى ببابا نويل، يفرحون ويهللون، كأن المسألة مسألة احتفال يقام أو مولد يتلى.. لا مسألة مبدأ من أرسخ المبادىء وأساس من أعظم أساس الدين.

ولجنة المسجد التي تقدم هذه الرسالة، خطوة جديدة في الطريق التي خطتها لنفسها من محاولة تبيين الوجه الصحيح للاسلام وتوضيح فكرته ونشر دعوته، تدعو الله سبحانه وتعالى أن يمد في عمر الداعية الاسلامي الكبير،وأن يكون في أبناء المسلمين من يسير على خطاه وينهج نهجه حتى تتجلى المفاهيم ويبدو الصراط المستقيم وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله..

اللهم وفقنا إلى فهم دينك، واحياء شريعتكِ ونصرة نهجك، والسير في سبيلك، وأمدنا بالقـوة من عنـدك والتـأييد. . اللهـم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة المحرم عام ١٣٧٤

**لجنة المسجد**

# من إلهامات الهجرة

في الاسلام ظاهرة يمتاز بها على غيره من الاديان التي تموج أقطار الأرض بأتباعها. فأهل الديانات الاخرى ينحصر معنى الدين عندهم في العقيدة والعبادة فاذا ضُمنت لهم في أي نظام من أنظمة الحكم اكتفوا بها، وأذعنوا لذلك النظام مهما كان، ولا يعرفون دينهم إلا ساعة الاجتماع في المعابد.

أما الاسلام، فكما أنه دين عقيدة وعبادة، فانه يشمل ايضاً الآداب في المنازل والمجتمعات، والتعاون بين الأفراد والجماعات، ويتناول العقود والمصالح والالتزامات، وتتسع دائرته فتحيط بنظام الحكم كله. والمسلمون لا يعتبرون انفسهم عائشين في بلد إسلامي، إلا إذا ساد نظام الاسلام بلدهم، وقامت فيه أحكامه وآدابه كما تقوم فيه شعائره وتسود عقائده. وإذا تعذر على المسلمين إقامة أحكام دينهم، وتأييد أنظمته الاجتماعية، وآدابه الخلقية والبيتية، وجب عليهم الانتقال الى البلدالذي يعمل فيه بأحكام الاسلام وآدابه، تكثيراً لسواد المسلمين، وإعزازاً لأمر الدين، واستعداداً لنصره وتأييده في العالمين. واذا لم يكن للمسلمين بلد تتوافر فيه هذه الشروط، وجب عليهم أن يتجمعوا في بعثة صالحة يقيمون فيها نظام الاسلام تاماً كاملا، ويتعاونون على حماية

دعوته، واتخاذ الأسباب والوسائل لتحقيق رسالة الاسلام كما جاء بها صاحبها صلوات الله عليه وكما فهمها أصحابه والتابعون لهم باحسان.

هذه هي حكمة (الهجرة) ، وهذا هو الباعث عليها والداعي لها.

فالاسلام يجب أن يكون له وطن تقام فيه معاني الاسلام كلها، ويعمل فيه بأحكامه وأنظمته في دواوين الدولة، ومرافق الأمة، ومعاملات الأفراد، وآداب البيوت، بقدر ما يعمل فيه بشعائر العبادات، وبقدر ما تحمى فيه حقائق العقيدة التي لا يكون الاسلام إسلاماً إلا بها.

وقد غفل عن هذه الظاهرة من أمر الاسلام بعض الذين دخلوا فيه على عهد رسول الله ﷺ ، فلبثوا في وطنهم (مكة) مستضعفين فيها لا يستطيعون إعلاء كلمة الله، لغلبة الباطل يومئذ على الحق، ولا يهاجرون منها إلى المدينة فيقوى بهم الاسلام. فنزل فيهم قول الله عز وجل: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم - أي بعدم إقامة دينهم في بلدهم، وتخلفهم عن نصره وتأييده في دار هجرته - قالوا: فيما كنتم قالوا: كنَّا مستضعفين في الأرض. قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم، وساءت مصيرا﴾[1] هذه الآية نزلت في قوم أسلموا، وكانوا يؤدون صلواتهم على النهج الشرعي في منازلهم أو في الحرم إن استطاعوا، وكانوا

---

(١) النساء : ٩٧.

صحيحي العقيدة وغير مقصرين في العبادة. إلا أنهم كانوا سبب ضعف للاسلام، برضوخهم لنظام غير نظامه، وإحجامهم عن تقوية الاسلام في وطنه ودار هجرته. ولما كان الاسلام دين يسر ومن مبادئه أن تقدر الضرورات بقدرها وأن يعذر أهلها، كان من تمام الآيات السالفة قول الله عز وجل: ﴿إلا المستضعفين من النساء والرجال والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، وكان الله عفوًّا غفوراً ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً - أي مذهباً ومتحولاً - كثيراً وسعة. ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله، وكان الله غفوراً رحيماً﴾ [1].

إن النفس الاسلامية يريد لها الاسلام أن تعيش في جو من النظام والحكم يسهّل لها فهم هداية الاسلام، ويحبب اليها العمل بهذه الهداية في كل ضرب من ضروب الحياة، وتتوفر فيه حرية الدعوة إلى كل ما ينشده الاسلام من حقيقة وخير فيتيسر القيام بهما جهاراً في جميع أحوال الفرد المسلم والجماعة الاسلامية، ويكون فيه للحق قوة تقمع من يصد عن ذلك أو يحول بين المسلمين وبين الدعوة إلى هدايتهم والعمل بها في بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم ومجتمعاتهم. فاذا نشأت النفس الاسلامية ونمت تحت جناح نظام يقيم أحكام الاسلام ويحمي دعوته ويحمل الأمة على آدابه، كانت هذه النفس قوة للاسلام تعمل على رفعته وتوسيع دائرته وكانت

---

(١) النساء : ٩٨ - ١٠٠.

غصناً في دوحة الاسلام تورق وتثمر في جناته. أما اذا نشأت ونمت تحت جناح نظام يخالف الاسلام ويخذل دعوته ولا يربي الامة على آدابه، فأن قوتها تكون معطلة عن تأييد الاسلام وتعميم هدايته.

ان (الهجرة المحمدية) من ديار الشرك إلى دار النصرة قد مضت بأهلها، ولكن (الهداية المحمدية) لا تزال في أمانة المسلمين، وهي في عصرنا أحوج ما كانت إلى تفكير المسلمين في صيانتها، والتماسهم الأسباب لازدهارها وتعميم العمل بها.

لما هاجر النبي ﷺ باصحابه من ديار الشرك إلى دار النصرة، كان للاسلام - على قلة أهله يومئذ - قوة بتلك القوة من أهله لا نكون صادقين إذا زعمنا أن عندنا للاسلام مثلها اليوم مع كثرتنا واتساع آفاق أوطاننا. فاذا كانت الهجرة مضت بأهلها فإن القوة التي توخاها النبي ﷺ للاسلام بالهجرة، لا يزال نظام الاسلام وآدابه واهدافه مفتقرة اليوم الى مثلها، بل هي اليوم أشد افتقاراً إلى مثل تلك القوة مما كانت في زمن الهجرة.

نحن محتاجون اليوم - من معاني الهجرة واهدافها وحكمتها - إلى أن ننخلع في بيوتنا عن الآداب التي تخالف الاسلام، وان نعيد الى هذه البيوت الصدق والصراحة والنبل والاستقامة والاعتدال والمحبة والتعاون على الخير. فالبيت الاسلامي وطن اسلامي، بل هو دولة إسلامية. وقبل أن أتبجح فأنتقد ما خرج عن دائرتي من بيئات لا يفيدها انتقادي شيئاً، يجب عليَّ أن أبدأ بمملكتي التي هي بيتي فأهاجر أنا ومن فيه من زوجة وبنات وبنين الى ما يحبه الله من

الصدق ، هاربين من الكذب الذي يكرهه الله ويلعـن أهلـه في صريح كتابه. ويجب أن أنخلع أنا وأهل بيتي من رذيلتي الافراط والتفـريط فنـكون معتدلـين في كل شيء، لأن الاعتـدال ميزان الاسلام. ويجب أن نحب أنظمـة الاسـلام وآدابـه محبـة تمـازج دماءنا، فتتحـرى هذه الانظمـة في أخلاقنـا وأحوالنـا وتصرفاتنـا ومعاملة بعضنا لبعض (هاجرين) كل ما خالفها مما اقتبسنـاه عن الاغيار وخذلنا به مقاصد الاسلام واغراضه الجوهرية.

فاذا تربينا في بيوتنا على محبة الانظمة الاسلامية وتأصل ذلك في أذواقنا وميولنا، وتعودنا العمل به في مختلف ضروب الحياة، فشا العمل به من البيوت الى الاسواق والاندية والمجتمعات ودواوين الحكم، ولا يلبث الوطن كله بعد عشرات قليلة من السنـين أن يتحول من وطن عاص لله الى وطن مطيع لله ، ومن وطن تسود فيه الانظمة التي يسخطها الله إلى وطن تسود فيه الانظمة التي أمر بها الله .

نحتفل بذكرى الهجرة في كل سنة ، ونتكلم فيها عن الماضي فلا ننتفع بها في حاضرنا. ولو اننا فهمنا الحكمة التي انطـوت عليهـا حادثة الهجرة، وعلمنا أن كتاب الله الذي نتلوه قد أنحى باللائمة على جماعة من أصحاب رسول الله كانوا في مكة يصلون ويصومون ولكنهم ارتضوا البقاء تحت جناح انظمة تخالف الاسلام، فلا قوة لهم على تغييرها ولم يهاجروا الى قلعة الاسلام ليكونوا من جنودها المتحفزين لتغيير تلك الانظمة، لعلمنا أن الاسلام لا يكتفي من

أهله بالصلاة والصوم، بل يريد منهم مع ذلك أن يقيموا أنظمته وآدابه في بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم ومجامعهم ودواوين حكمهم، وأن عليهم أن يتوسلوا بجميع الوسائل لتحقيق هذا الغرض الاسلامي : بادئين به من البيت، وملاحظين ذلك في تربية من تحت أمانتهم من بنات وبنين، ومتعاونين عليه مع من ينشد للاسلام الرفعة والازدهار من اخوانهم. حتى إذا عم هذا الاصلاح أرجاء واسعة، تلاشت تحت أشعته ظلمات الباطل، فكان لهذا الاسلوب من أساليب الهجرة مثل الآثار التي كانت لهجرة النبي ﷺ وأصحابه الأولين.

روى مسلم في كتاب الامارة من صحيحه عن أبي عثمان النهدي أن مجاشع بن مسعود السلمى قال : جئت بأخي (أبي معبد) إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح فقلت : يا رسول الله بايعه على الهجرة فقال ﷺ: « قد مضت الهجرة بأهلها » قال مجاشع : فبأي شيء تبايعه؟ قال : « على الاسلام، والجهاد، والخير». قال: أبو عثمان النهدي فلقيت أبا معبد فأخبرته بقول مجاشع فقال : صدق.

وفي كتب السنن وبعضه في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو ابن العاص وفضالة بن عبيد بن ناقد الانصاري أن النبي ﷺ قال: « المهاجر من هجر السيئات ».

وفي حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة وفي حديث عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده أنه قيل لرسول الله ﷺ:

« . . فما أفضل الهجرة؟ قال : من هجر ما حرم الله » .

وفي مسند الامام أحمد بن حنبل (٦ : ٢١) من حديث فضالة ابن عبيد بن ناقد أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع : « ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم؟ من سلم الناس من لسانه ويده. والمجاهد؟ من جاهد نفسه في طاعة الله . والمهاجر؟ من هجر الخطايا والذنوب » .

فالى الهجرة أيها المسلمون

الى هجر الخطايا والذنوب في أعمالنا واخلاقنا وتصرفاتنا .

الى هجر ما يخالف أنظمة الاسلام في بيوتنا، وما نقوم به من اعمالنا .

الى هجر الانانية والصغائر والسفاسف مما أراد نبي الرحمة أن يطهر منه نفوس أمته حتى تكون خير أمة أخرجت للناس .

بهذا، وبهذا وحده، نحيي ذكرى الهجرة الشريفة، ونحقق مقاصدها ونستمطر رحمة الله على بيوتنا وأوطاننا وممالكنا . وهذا هو « الفلاح » الذي يدعونا اليه المؤذن خمس مرات في كل يوم عندما يدعونا الى الوقوف بين يدي الله الكريم .

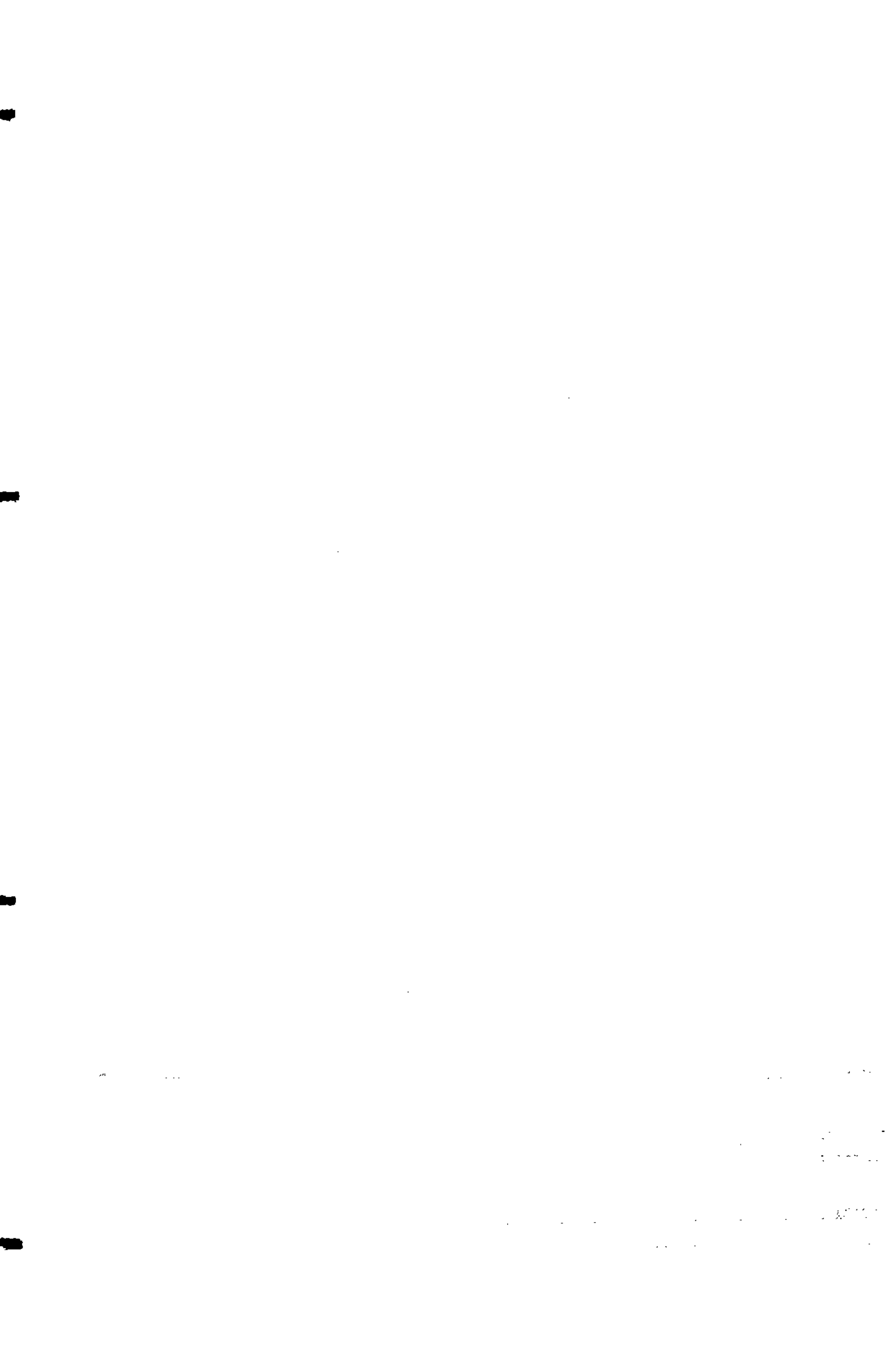
محب الدين الخطيب

# إحياء سنن الإسلام وقواعده

للأستاذ

محب الدين الخطيب

« المحرم ١٣٧٤ »



# مُقـدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

**للاستاذ علي الطنطاوي**

عضو محكمة التمييز

لو كان الاستاذ محب الدين الخطيب، من هؤلاء الرجال الذين دخلوا ميدان الدعوة منذ أمد قريب، وكان بيني وبينه ما يكون بين المرء ورفيقه الذي لقيه مرَّات، فعرف طرفاً من أخباره. وكشف طرفاً من نفسه، لكتبت كلمة طويلة في التعريف به، ولم أجد فيها مشقة ولا حرجاً. ولكن الاستاذ محب الدين اكبر قائد اليوم في الجبهة الاسلامية، ووراء الاستاذ محب الدين ماض في الجهاد طويل، يمتد اكثر من خمسين سنة، كله عمل ونضال ودعوة وتوجيه، وصلتي بالاستاذ محب الدين، صلة الولد بأبيه، والتلميذ باستاذه، فهو خالي، وهو استاذي في الحياة، وهو الذي يحتل من نفسي منزلة ليست لأحد غيره، وأنا أعرف عنه ما يملأ كتاباً لذلك وجدت من المشقة والحرج في كتابة هذه الكلمة مالا أجد مثله لو ألفت ذلك الكتاب.

* * *

وأنا منذ بلغت السن التي يميز فيها الطفل، ويفهم الكلام، كنت أسمع أن لي في مصر خالاً، هو شقيق والدتي رحمها الله، وأبوها بعد أبيها، وكنت ألمس لمس اليد. بظاهر حبها إياه وشوقها اليه، فيعديني هذا الحب، كما اعدى الحسن في قصيدة البحتري. . ولما تعلمت الكتابة، كتبت اليه أول رسالة، نسختها من كتاب ( الانشاء العصري)، ولم أزد عليها شيئاً إلا الاسم فقد كان موضعه في الكتاب خالياً، فوضعت فيه اسم خالي، والا التاريخ، فتلقيت منه جواباً، بخط لا أجد أحداً يكتب مثله، خط مفرد في بابه، فيه روح أحسست من ذلك اليوم انها روح جديدة وفيه معنى كريم شعرت به وإن لم أفهمه، وقد كان لهذه الرسالة التي مر عليها الآن اربعون سنة وبعض السنة (ولا تزال عندي) اكبر الاثر في نفسي.

ثم بدأت أفهم ما لا يفهمه الطفل الصغير، فعلمت أن خالي كان من أقدم من نادى بالدعوة إلى العربية التي أراد الاتحاديون القضاء عليها، إن لم يكن أقدمهم وأن نشاطه ظهر وهو في مكتب عنبر (وقد بقي إلى أيامنا، وكان الثانوية الوحيدة في دمشق) وكان يجمع مالم يجمعه قبله أحد : الثقافة الاسلامية التي كان يحتكرها المشايخ، والثقافة الجديدة التي كان يستأثر بها الافندية وتلاميذ المدارس، وانه كان يتصل بالشيخ طاهر الجزائري (باعث النهضة الفكرية في الشام) ويلتقي عنده بالكبار من أصحاب الشيخ، ويحمل اليه ليلتقي به، الصغار من أصحابه هو، فكان واسطة

العقد الذي يضـم الناهـين من الشيب والشبـان، ثم انتقـل الى القسطنطينية للدارسة العـالية فاتسعـت دائرتـه، وازداد نشاطـه، وتكونت به ومعه عصبة من الشباب صاروا بعـد اعـلام العـرب وزعماء الاقطار العربية، منهم من مضى في قافلة الشهداء، ومنهم من بقي في الاحياء، وضاق به الاتراك الحاكمون وضـاق بهـم، فانتقـل إلى أقصى بلاد العـربية، إلى اليمـن ومشي إلى العـراق. وشارك في الحركات العربية في كل مكان واسره الانكليز ايام الحرب الاولى، وكان مع الملك حسـين يحـرر( القبلـة) وسافـر الى مصر فأسس فيها مكتبة وداراً للنشر، ثم قدم دمشق مع الشريف فيصل سنة ١٩١٨ وهناك لقيت خالي الذي احببته وتتبعت أخباره قبل أن القاه.

ولو أني وجدت مجال القول لقلت لكم ما أيام فيصل في دمشق وماذا كان أثرها في نفـوس الشـاميين الـذين لقوا من الاتحـاديين الألاقي ، وحملوا أيام الحرب الشدائد، وماذا كان عمل محب الدين فيها، ولكن لا مجال لتفصيل المقال فحسبكم أن تعلموا أنها كانت ايام ثورة على الاتراك، وفورة في النفوس، وحماسة لهذه الدويلـة الناشئة، ولهذا الجيش الوليد، وان محب الدين كان انشط شخص في هذه الدولة بلا استثناء وكان لولب كل حركة شعبية ورسمية، وان كان رسمياً (مدير المطبوعات) فقط.

ولما كانت نكبة ميسلون حكم عليه الفرنسيون ففر على الابل إلى مصر، وهنالك بدأ محب الدين أزهر مرحلة من مراحـل حياتـه،

وانفعها للناس، وارضاها لله، فقد وجد مصر، ليس فيها من ينادي بالعروبة أو بالاسلام وانها كان فيها الازهر منزويا منطوياً على نفسه، وفيها صحافة تجانب الدين وأهله فأنشأ جريدة الفتح، وكانت أول صوت ارتفع في مصر - بل وفي بلاد العرب كلها - يدعو إلى الاسلام وكونت الفتح مدرسة اسلامية، كان تلاميذها منبثين ما بين فاس ومراكش، والهند وجاوه، وكانت مجلة عالية حقاً وكان يكتب فيها كاتب الاسلام الاكبر الامير شكيب، واديب الاسلام الاكبر الرافعي، وكانت لها مواقف تواجه فيها الدول المستعمرة وتقف فيها موقف المحارب ويكتب لها النصر عليها، منها موقفها العظيم. يوم الظهير البربري وجهادها في سبيله حتى ابطل، ومواقفها المناصرة لجهاد الامير عبد الكريم ولسوريا وللعراق وتونس وللجزائر، ولكل حركة في بلاد الاسلام، وهي التي عرفت العرب باخوانهم في الهند وفي جاوه (اندونيسيا) وفي الصين.

وفي دار الفتح (المطبعة السلفية) ألفت جمعية الشبان المسلمين وفي مدرسة الفتح تخرج الامام حسن البنا، وقد عرفته في دارها قبل أن يدعو دعوته الخير، سنة ١٩٢٧ وقد صرح رحمه الله بما يدل على ذلك في كثير من مقالاته، وفي غير موضع من (مذكراته).

أما قلم محب الدين فهو قلم المترسل البليغ العالم المطلع. المحقق المدقق، وقد ظهرت ثمرات هذا القلم من اكثر من نصف قرن، ولا تزال تتوالى، وقد كتب آلاف الصفحات في الاهرام وفي

القبلة وفي المنار وفي الفتح وفي الزهراء، وفي جريدة الاخوان (وقد كان رئيس تحريرها مرة) وفي الازهر ( وهو رئيس تحريرها اليوم) ، وحقق عشرات من الكتب وعلق عليها انفع التعليقات.

وليس محب الدين من الشيوخ الذي يفخر بسبقهم وحده، وماضيهم فقط، بل هو لا يزال في الطليعة، كما كان دائماً في الطليعة، وقد جاوز (مد الله في عمره) السبعين، ولا يزال شاب الجسم والقلب والحماسة. وهو اليوم اعلم المسلمين بالمسلمين وهو الحجة في الشؤون الاسلامية، وهو المرجع في تاريخ القضية العربية، ووثائقها الاصلية عنده، في ثلاث خزائن، ولا أدري متى توفق سوريا أو احدى الدول العربية الاخرى لتكليفه كتابة تاريخ القضية العربية - فليس فيما كتب عنها الى اليوم ما يعد تاريخاً صحيحاً وافياً - ثم يشرى أحد المجامع العلمية العربية هذه الوثائق ويحفظها للقرون القوادم، ويجزى محب الدين الذي حفظها وأدّاها، ما تجزي به الامم أمثاله من كبار الرجال.

وهذه المقالة تدل من لا يعرفه (ولا أعرف أنا من لا يعرفه) على نضج تفكيره الاسلامية، أما استقامته وعمله بعلمه وعزوفه وقناعته، وثباته على مبدئه، وشجاعته في الحق، فقد سبق فيها كل سابق، ولولا أن المجال قد ضاق، وان هذه مقدمة مقالة للرجل، وليست بحثاً عن الرجل، لضربت عليها أروع الامثلة.

هذا هو محب الدين في كلمة موجزة، أما محب الدين كما هو فلا يكفي للكلام عنه كتاب كبير [1].

مد الله في عمره، واكثر من أمثاله، وجزاه عن الاسلام وأهله خيرا.

**علي الطنطاوي**

(١) وقد انتقل أستاذنا محب الدين إلى رحمة الله في عام (١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م)، ودفن في مصر، وقد ترك مكتبة غنية بالمؤلفات والوثائق، ويقوم على دار النشر التي أسسها باسم (الفتح) ولده الأستاذ الكريم قُصَي الخطيب. « زهير ».

١١ ربيع الثاني ١٤٠٤

١٤ كانون الثاني ١٩٨٤

# إحياء سنن الاسلام وقواعده

سنن الاسلام وقواعده لا تنحصر في المسجد، ولا في أصناف العبادة من صلاة وصوم وحج، بل هي عامة شاملة لكل ما تعمه الحياة وتشمله الطمأنينة والسعادة، لانها هي رسالة الاسلام الى الانسانية ما بقيت الانسانية.

وهي تبدأ من العقل البشري، لأنه المنظم لمدارك بني الانسان، والمحرك لجوارحهم، والمتصرف - ايجاباً وسلباً - في عواطفهم وأهوائهم التي تنطوي عليها جوانحهم، فتحوطه بما يقيه الخطأ فيما يجب عليه من الحكم للحق على الباطل، والخطل فيما ينبغي له من إيثار الخير على الشر.

وتصحب هذه السنن والقواعد النفس الانسانية - في جميع أدوار حياتها - فتملي عليها التصرف الحميد في كل ما يصدر عنها من قول وعمل في معترك الحياة، وفي مذاهب العيش، وفي تنظيم الحوائج والضرورات، وفي تعديل الميول والاهواء.

وهذه السنن والقواعد يقوم منها حارس أمين على المنزل والاسرة إذا اتخذت معياراً للأقدار، ومقياساً في الحسنات والأوزار، واذا عنى الوالدان بأن يسيرا عليها في أخلاقهما وتصرفاتهما، ويكونا قدوة للبنين والبنات في معرفتها من طريق العادة والعمل، والتزامها في السر والعلن.

ومن هذه السنن والقواعد ما لو تعامل به الجار مع جيرانه، والتاجر مع عملائه، والأقارب مع أنسبائهم وأصهارهم، وصاحب العمل وعماله، والموظف مع أصحاب المصالح في مصلحته، ورئيس المصلحة مع موظفيه، لكنّا جميعاً ـ بسبب العمل بهذه السنن والقواعد ـ أشبه بالأسرة الواحدة في المحبة والمودة، حتى لو كان عددنا في هذه المملكة عشرين مليوناً، بل كنا نكون ـ لو عمل جميع المسلمين بها ـ كالاسرة الواحدة في المحبة والمودة ولو كان عدد المسلمين خمسمائة مليون.

سعادة عظيمة هي في متناول ايدينا، ولكننا لا نعرفها، لأن الطريق الحقيقي والعملي لمعرفتها هو طريق التعامل بها، ومما يؤسف له أن التعامل بها بطل من ألف سنة وأكثر، وكان معمولا بها في البطون الثلاثة الاولى في الاسلام وهي زمن الصحابة والتابعين والتابعين لهم باحسان، وهم الذين صح عن رسول الله ﷺ انه قال فيهم: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» وكان قرنه خيراً من القرن الذي تلاه، وكان القرن الذي تلاه خيراً من الثالث، والقرون الثلاثة ـ بنص الخبر المحمدي الصحيح ـ هي خير قرون الاسلام، لا لأنهم اكتسبوا ذلك من زمنهم، فالزمن في نفسه متشابه به قبل آدم وبعد آدم، وقبل محمد ﷺ وبعده، وقبل القرون الثلاثة من أجيال الاسلام وبعدها. بل الخير الذي امتازت به الاجيال الثلاثة الاولى في الاسلام جاءهم من اتباع هذه السنن والقواعد وعملهم بها، وكان الموفق من الله

من أبنائهم يتعلمها من الآباء بالقدرة والمشاهدة والعمل. وزمن الدولة الأموية - الذي رسم اكثر الناس صورة له في أذهانهم كاذبة مشوهة - كان ثالث هذه الثلاثة، وحتى الذين كانت فيهم رجولة وشهامة وحزم وتربية من خلفاء صدر الدولة العباسية هم الذين تربوا في زمن دولة بني أمية. ثم أخذ الناس يتهاونون بهذه السنن والقواعد من طريق القدوة أيضاً - كما كانوا يعملون بها بالقدوة - حتى تناسوها وتناسوا اكثرها، والموجود منها الآن عند أصلح الناس يكاد يكون من أشكال هذه السنن والقواعد ومن مظاهرها، وقلما أبقى الناس على شيء من حقائقها. والذي ضاع بتاتاً ونسي بالمرة تسعمائة جزء من الألف، والذي بقيت مظاهره وأشكاله لا يبلغ مائة من الألف. وهو في نفسه من الشكليات التي لا أثر لها في النفس الانسانية الا من طريق العرَض، أما جواهرها وحقيقتها التي تسمو بالنفس الانسانية فهي التي أهملت ونسيت.

يقول نبينا محمدﷺ فيما رواه الترمذي: « من أحيا سنة أميتت بعدي كان معي في الجنة ».

وكانﷺ يعلم أن شريعته وسنته ستحتاج إلى من يحييها ويقيمها في عصورنا، كما احتاجت الى من يعين على تقريرها وتعميمها والدعوة اليها ابتداء في القرون الثلاثة الاولى، فبشرﷺ العاملين على إحياء سنن الاسلام وقواعده في عصورنا بأنهم كالغيث الذي يحيي الله به الارض وأنهم يضارعون في الخير ذلك الغيث الاول الذي أحيا الله به الاسلام في القرون الثلاثة الاولى،

ولذلك قال ﷺ فيما رواه الترمذي أيضاً : « إنما مثل أمتي كمثل الغيث لا يُدْرَى أولـه خـير أم آخـره ». وإذا كان لاحياء سنـن الاسلام وقواعده هذه المنزلة على لسان رسول الله ﷺ فلا شك أن العاملين على إحيائها مثوبون على عملهم كثواب العبادة، بل إن هذا من نوع الجهاد، والجهاد أفضل العبادات، ويقول نبينا ﷺ فيما رواه الامام مسلم في صحيحه : « ان العبـادة وقـت الهـرج والفتن كهجرة إليّ ».

هذه الملايين التي أسلمت في صدر الاسلام في مختلف الأقطار لم تسلم بالجدل والمناظرة، لأن الاسلام يكره الجدل ويكتفي من المناظرة بعرض الحق على فطرته ونقائه. ثم يرى الأغيارُ تطبيق ذلك في معاملة المسلمين الأولين وأخلاقهم، فلا يخامرهـم شك في أن هذا هو دين الفطرة، وأنه الخير المحض المجرد الذي تعرفه الانسانية وتنشد من ينهض به ويجعله دستوراً لأبنائها.

والعمل بالخير المحض، وبالحق النقيّ، أمنية لجميع الأجيال، وكان العمل بهما محتاجاً الى سنن وقواعد تبينهما تبييناً حازماً واضحاً مركزاً، والى أمة تجرب العمل بهما، فيتجلى أثر ذلك من الطمأنينة والسعادة في المجتمع، فتقبل الأمم عليه.

وكانت مهمة الاسلام ورسالته إعلان هذه السنن والقواعد، وكان واجب المسلمين العمل بهما، والتخلق بأخلاقهما. وبهذا عم الاسلام أقطار الأرض المعروفة في زمن ظهوره. وكان الاسلام في زمن ظهوره غريباً، وبمعرفة سننه والعمل بها زالت غربته. وصح

بعد ذلك ما أنبأ به نبيناﷺ من أن الاسلام يعود غريباً كما بدأ ومعنى ذلك أن سننه وقواعده تعطل وتهمل، فيأتي على الاسلام زمان يحتاج فيه الى من يزيل غربته باحيائها، وقد حض النبيﷺ على ذلك ورغب فيه بحديث الترمذي الذي أوردناه آنفاً وهو قوله صلوات الله عليه : « من أحيا سنة أميتت بعدي كان معي في الجنة ».

وبعد فإن لاحياء سنن الاسلام ثلاث مراحل : الاولى الدعوة الى ذلك باخلاص وحسن نية وابتغاء وجه الله الكريم، وأرجو ان تكون هذه الكلمة من هذه المرخلة.

المرحلة الثانية تفرُّغ أهل العلم من الأزهريين والجامعيين لتتبع هذه القواعد واستقصائها، وتحرّي ما قاله سلف الأمة في أحكامها، وفهم ذلك وهضمه، والنظر اليه من ناحية ما نرجوه لمجتمعنا من السعادة بهذه السنن والقواعد، وما يترتب عليها من الطمأنينة والرضا العام الشامل.

والمرحلة الثالثة العمل بذلك وتربية المسلم نفسه على العمل بسنن الاسلام في عقله ونفسه وبيته وأسرته وبيئته ومحيطه وكل ما يتصل به.

بهذا نكون مسلمين، وبهذا يكون البعث الاسلامي، وهذا هو الوجه المشرق الجميل للاسلام، ويستحيل على غير المسلمين أن يروه وأن لا يحبّوه ، فكيف بالمسلمين من خاصة وعامة وتابعين ومتبوعين.

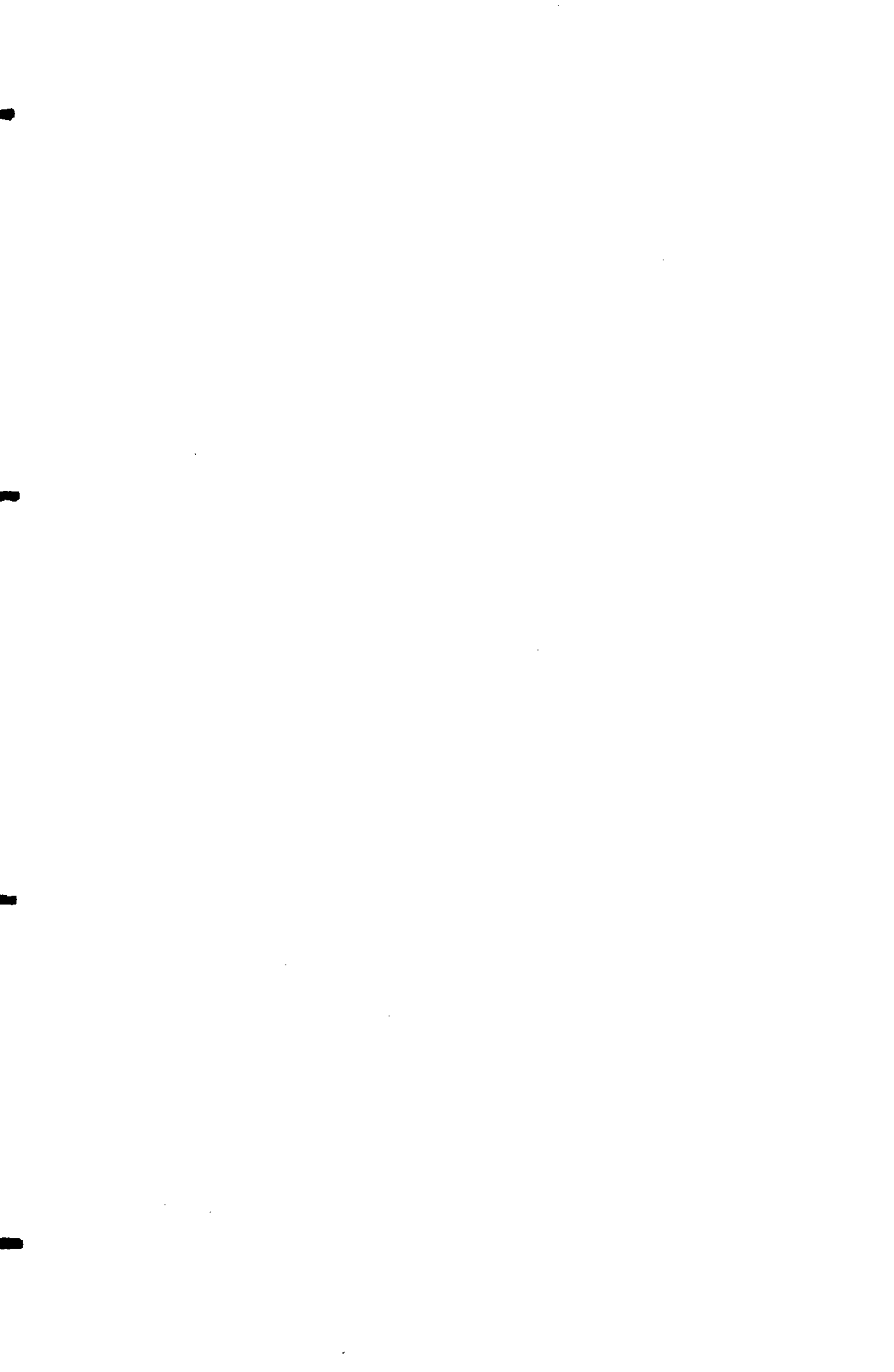
إن المسلمين بانسلاخهم الآن عن سنن الاسلام التي فيها سر جماله قد أصبحوا حجابا بين الاسلام ومعرفة الامم به، فهي لا ترى من الاسلام إلا ما عليه المسلمون. والذي عليه المسلمون اليوم غير الذي كان عليه المسلمون الاولون عندما عرفوا الاسلام من الرسول الذي جاءهم به، وعندما عرفه الذين جاءوا بعدهم من السيرة التي كان عليها تلاميذ الداعي الأولﷺ والذين بقوا منا على عهد الوفاء للاسلام اكتفوا منه بنظام عبادته، وانجرفوا مع تيار المجتمع في نظام المجتمع من جهة التعامل والتطبع والتخلق بما يسمو بالنفس الى المثل العليا، أو ينحط بها الى المنافع الوقتية الزائلة، فصرنا جميعاً ممن يؤثرون العاجلة وإن كانت تافهة، على الآجلة وإن كانت أجل وأبقى وأرضى لله عز وجل.

كان الاسلام دين الانسانية. والسنن والقواعد التي جاء بها هي سنن الانسانية العليا والمدنية الفاضلة. وقد استجابت لها الأمم يوم كانت لا تزال كما هي وبقدر ما هي، وكان من نتائج ذلك وثمراته ما نقرأه في التاريخ عن سيادة أسلافنا وسعادتهم وازدهار العمران والعدالةوالطمأنينةبهم. ثم أخذ الاهمال والتهاون والتناسي ينقص هذه السنن والقواعد فتذبل خضرة أغصانها، الى أن تحولت بقاياها القليلة من أغصان زمردية يانعة الفاكهة والزهر، الى حطب اقتنع من يراه بأنه لا يصلح الا للوقود. وما على الاسلام ذنب في شيء من هذا التحول، ولكن الذنب فيه على المسلمين، ولا أحصره

بمسلمي جيلنا، بل هو يعم كل من ساهم في هذا الاهمال من مسلمي الاجيال بعد البطون الثلاثة الاولى.

وأعود فأذكر صالحي المسلمين من أزهريين وجامعيين وسائر المثقفين بقول نبي الانسانية ورسولها الأعظم ﷺ : «من أحيا سنة أميتت بعدي كان معي في الجنة». وقد يظن من يأنس في نفسه الميل الى المساهمة في هذا الخير أن إحياء سنن الاسلام وقواعده عمل علمي يتم بالبحث عنها في كتب الحديث المحمدي والشريعة الاسلامية وسيرة السلف وتدوين ذلك ونشره في مقالات ورسائل وكتب. ولا انكر أن هذا من خير ما يعمله أهل العلم والشباب الاسلامي المثقف غير أن طريقة السلف في هذه الناحية هي أنهم كلما عرفوا شيئاً من ذلك عملوا به في أنفسهم، وأرشدوا إليه إخوانهم وأحبابهم وذويهم، فاذا انتقلوا الى غيره من طريق العلم انتقلوا اليه وهم عاملون بما عرفوه من قبل. وقد حدثت قراء الفتح فيما مضى بما رواه حماد بن زيد وغيره عن عطاء بن السائب أن أبا عبد الرحمن السلمي قال : أخذت القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعملوا ما فيهن. فكنا (نتعلم) القرآن و(العمل) به. وأنه سيرث القرآن بعدنا قوم لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز هاهنا (ووضع يده على حلقومه).

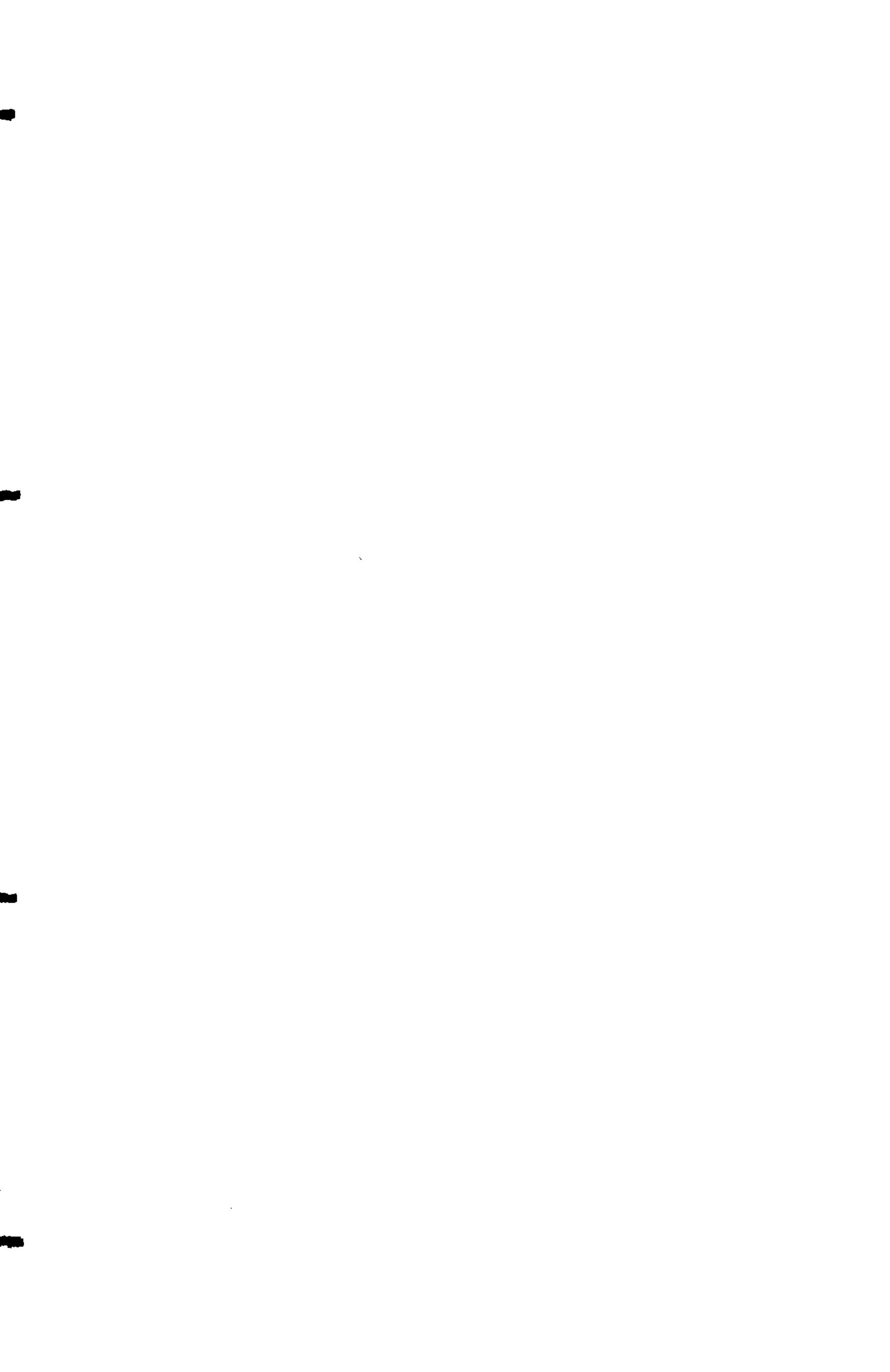
محب الدين الخطيب



# بين حضارتين

للأستاذ
محمد هيثم الخياط

صفر ١٣٧٤



# مُقَـدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

**للاستاذ عصام الدين العطار**

اتصلت الحضارة الغربية ببلاد الاسـلام والمسلمـون ضعـاف متخلفون والغربيون أقوياء متقدمون فكان من جملة نتائج ذلك أن أقبل بعضهم على الحضارة الجديدة لما اطلعوا مفتتنين بها ورأوها أفضل لقومهم مما هم عليه، ولم يكونوا يعرفون الاسلام فظنوا ما عليه المسلمون اسلاما فحقروه ولم يروه صالحا للبقاء ولـو انهـم عرفوه لرأوا أن انكاره لواقع المسلمين أشد من انكارهم وأنه أبرأ ما يكون من هذا الواقع.

وأنكر آخرون ما أقبل عليه هؤلاء، ورأوا بهم ضلالاً عن الحق وإضلالاً للناس ولم يشكوا في الاسلام ـ وهو الدين المنزل ـ أنه أفضل، ولكن أعوزتهـم وسائـل البرهـان الـذي يقنـع بالمقارنـة والموازنة برجحان الاسلام.. إلى أن ظهر في الميدان طبقة جديدة من المسلمين فهمت الاسلام وفهمت حضارة الغرب فما زادها هذا الفهم إلا إيماناً بالاسلام واعتزازاً به ويقيناً بأنه الصالح دون سواه،

وغدت هذه الطبقة تدعوا إلى الله بايمان القلب وقناعة العقل بين يديها حجتها المؤيدة بالبرهان فكانت انجح في الدعوة وأقدر على استرداد المثقفين الجامحين . .

وهذه أيها القارىء خطبة ألقاها الأخ محمد هيثم الخياط في مسجد الجامعة السورية قارن فيها بين دعائم في الحضارة الغربية ودعائم في الحضارة الاسلامية وانتهى منها إلى تفضيل الدعائم الاسلامية بما يرضي العقل ويرضي الضمير. وهي تعالج هذا الموضوع محكومة بوقتها المحدودوجمهورهاالذي يستمع استماعا ولا يقرأ بتمهل وفسحة من الوقت.

والأخ محمد هيثم نابغة قلَّ امثاله وأمل من آمال الدعوة للمستقبل فهو - على حداثة سنه - ملم باللغة الانجليزية ، متصل بالثقافة الغربية اتصاله بالثقافة الاسلامية، متفوق في الدراسة الادبية ، آخذ بما أخذ به عن فهم ، داع اليه على بصيرة، متحقق به أحسن تحقق . .

وإنه ليسرني أن أقدم إليك هذه الخطبة أثراً من آثار هذه الطبقة الجديدة التي حدثتك عنها والتي أخذت تحمل في الشباب أمانة الدعوة بصدق وقوة وفهم ، وتختار الاسلام لا لأنها نشأت عليه بل لأنها آمنت به ولا لأنها جهلت سواه بل لأنها آثرتهعلى سواه.

ولعل هذه الطبقة تزداد قدرة وتزداد عددا فيكون على يدها جلاء الاسلام ورده إلى حكم الحياة من جديد.

عصام الدين العطار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل والله أكبر كبيراً. وأشهد ألا آله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً. أرسله بين يدي الساعة مبشراً ونذيرا. وداعياً إلى الله بأذنه وسراجا منيرا. فهدى به من الضلالة، وبصرّ به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً. وقلوباً غُلفا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

يا أيها الذين آمنوا!

بدأ هذا الدين غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء.

يا أيها الذين آمنوا!

نحن اليوم على مفترق طرق.. وقد حطّ علينا ضباب كثيف اسود بغيض فحجب عن أعيننا السبيل الموصل إلى سعادة البشر، ووجهنا إلى سبيل مفروش أوله بالورود والرياحين ولكنه يؤدي في غايته إلى شقاء البشر فضلا عن صرفهم عن غايتهم المنشودة، وأخذ الناس يسلكون هذا السبيل وقد قام من بين الجمع نفر قلائل يدعون الناس إلى الطريق القويم فنظر اليهم القوم باستغراب،

ونعتهم البعض بانهم مجاذيب لانهم سيتأخرون عن الركب، واتهمهم البعض الآخر بانهم مجرمون لأنهم سيعوقون سير القافلة . . وهؤلاء ـ يا أيها الذين آمنوا ـ هم الغرباء . . فطوبى للغرباء . .

هكذا نحن اليوم . . قد حطت علينا الحضارة الغربية بكلكلها، فوجهتنا وجهة الغرب، وأصبح مقياس الغرب هو المقياس الصحيح في نظر أكثرنا . . وأصبح الفرد إذا دعا إلى الله تقوم في وجهه ومن حوله اصوات المنكرين المنكرة، متهجمين متجنين، وليس معه إلا الله والله أكبر . وإذا اضطهد اناس في سبيل الله قامت أصوات المنكرين هذه شامتة، متشفية، وهم لا يبالون بذلك لانهم يجاهدون في سبيل الله والله اكبر . .

والحضارة الغربية ـ يا أيها الاخوة ـ ترتكز بلا شك على عدد من الاسس من أهمها : الألحاد والقومية والديمقراطية .

فأما الالحاد فهو : عقيدة ترك ما لقيصر لقيصر، وما لله لله وهذا هو الشرك .

وعقيدة ألا إله . وهذا هو الكفر .

وعقيدة ان للدين علاقة خاصة بين العبد وربه وهذا هو السخف .

فأما العقيدة الاولى ، فكأني بأصحابها يعنون أن ما لقيصر ليس لله ولا دخل له فيه . .

﴿ضرب لكم مثلا من انفسكم : هل لكم مما ملكت أيمانكم

من شركاء فيما رزقنا كم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم؟ كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون﴾ [1].

وعقيدة الشرك موجودة منذ القديم، مذ أخذ إبليس ـ لعنه الله وحزبه ـ يحاول اضلال الناس وإغواءهم. وقد جعل الله الكفر بها الاساس الاول من اسس العقيدة :

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[2]

ذلك لأنّ الشرك معناه الذل والله يريد المؤمنين أعزة :

﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [3].

والشرك لا يعني فقط أن تتخذ صنما من حجر او تمر تعبده وتقدم له القرابين، ولكن الشرك أن تشرك بالله في وجوده او خلقه أو حكمه أو سلطته أو قدرته أحداً، سواء أكان الأحد صنما من حجر أو صنما من لحم ودم : طاغوتاً من طواغيت الانس « الديكتاتورين »، أو كان نفسك التي بين جنبيك :

﴿أفرأيت من اتخذ آلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ [4].

فاذا خشيت جباراً أو طاغية معتقداً أن في مكنته أن يضرك أو ينفعك فأنت قد أشركته بالله :

« واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم

---

(١) الروم : ٢٨.

(٢) النساء : ٤٨.

(٣) المنافقون : ٨.

(٤) الجاثية : ٢٣.

يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . »

وما قاوم الطواغيت والجبابرة أنبياء الله مذ خلق الله الأرض ومن عليها ألا خشية على ملكهم وسيطرتهم من أن تهان وينظر اليهم الناس على أنهم بشر أمثالهم . .

وأما عقيدة الكفر فقد كانت شائعة فيما مضى ، لأن حجة أصحابها في إنكار وجود الله أنهم لا يرونه وهذه حجة العوام.

فالهمجي في مجاهل أفريقيا والبدوي في الصحراء إذا حدثته عن السيارة أو الراديو فانه ينكر ذلك وينكر وجوده ويتهمك بالكذب لأنه لم يره . . وهذه هي عقلية العوام . . وأما العلم ، فان أقصى ما يمكن أن يسمح به لرجل لم ير شيئاً أن يقول إنه لم يره، ولكنه لا يسمح له ابداً أن ينكر وجوده فليس معنى عدم رؤية الشيء ـ علمياً ـ عدم وجوده .

والكهرباء . . لم يشاهد أحد حتى الآن أمام ناظريه جسماً يسمي الكهرباء، ولكن الناس يستدلون عليها بآثارها ، ولم يقم مع ذلك أحد من المتنطعين ينكر وجودها لأنه لم ير شيئاً ذا طول معين أو شكل معين أو لون معين يطلق عليه اسم الكهرباء!

وإلا فليسمح لنا هؤلاء الجاحدون أن ننكر وجود عقولهم ذلك لأن العلماء لم يستطيعوا حتى الآن أن يعرفوا ما هو العقل ولا أن يقيسوا قطره ولا أن يعينوا المنطقة التي يقطنها تماماً . .

وهكذا . . فالمثل الاعلى في الحياة المادية؟ الكهرباء لا نراها ونستدل عليها بآثارها . .

والمثـل الاعلى في الحياة الفكرية : العقل نؤمن بوجوده بماله من أثر دون أن نبصره..

والله عز وتعالى.. ولله المثل الاعلى.. لا نراه ولكننا نؤمن ايماناً عميقـاً لا يتزعـزع بأنـه جل وعـلا خالـق هذا الـكون ومنظمـه الحكيم.. الحي القيوم!

أما العقيدة الثالثة فهي السخف.

فاذا كنا لا نحتاج إلله الا في علاقتنا الخاصة معه ولا نحتاج اليه ولا إلى ارشاداتـه وتوجيهاتـه في شؤون أسرنـا وفي شؤون مدننـا وقرانا، وفي مدارسنا وكلياتنا، وفي شوارعنا وأسواقنا، وفي مجالسنا النيابية ودور حكوماتنا، وفي محاكمنا العليا ومكاتبنـا وفي جنودنـا وشرطتنا، وفي حربنا وسلمنا.. ففي أي نطـاق من الحياة يحتـاج إليه؟

ولماذا يقبل آله كهذا ويؤمن به ويعبده وهو غيرلازم لاعطائنا أي ارشاد في حياتنـا؟ أو ( وأستغفـر الله من هذا الـكلام) هل آراؤه سخيفة للغاية حتى أنه لا يوجد شيء منها معقولاً ومناسباً لادارة شؤون حياتنا؟

الواقع أن هذا كله كلام فارغ..

فالحياة الخاصة للفرد ليست سوى تعبير مجرد..

إن الانسان كائن اجتماعي وحياته كلها جماعية مشتركة فهو يولد نتيجة لعلاقة اجتماعية بين الوالد والوالدة. فاذا دخل العالم فتح عينيه في اسرة تحوطه وترعاه، فاذا ترعرع أصبح بتماس مباشر مع

المجتمع في علائقه المختلفة من أخوة، ومدنية، ووطـن، ونظـام اجتماعي، ونظام اقتصادي، ونظام خلقي. ونظام سياسي وكل هذه الاحتكاكات المباشرة التي تربطه بالآخـرين وتربطهـم به تتـوقف عليها سعادة العالم بأسره، ولا يمكننا أن نجد منظما حكيما لهـذه العلائق أجمع سوى الله سبحانه وتعالى وأسسـه الثابتـة المحكمـة حتى إذا ما تركت القضية إلى تفـكير النـاس وتجربتهـم الخاصـة استحال الأمر إلى فوضى عميقة في كل نظم المجتمع نشاهد أثرها اليوم.

فمـن هذه النظـم السياسية المختلفـة من ملـكية وجمهـورية ورئاسية وغير رئاسية وديمقراطية ودكتاتورية..

إلى هذه النظـم الاقتصـادية المتباينـة من رأسمالية وشيوعية واشتراكية..

إلى هذه النظم الاجتماعية المتعددة من ضمان اجتماعـي وقـرى نموذجية ومدن عمال وقوانين عمل..

إلى تلك النظم الخلقية الشـاذة من تغلـب مبـدأ الحـق للقـوة وانتشار الوجودية والاباحية..

كلها تشهد بنتيجة ترك الامور إلى تفكير ابنـاء آدم وتصرفهـم الخاص.

ولا يوجد نظـام يقـوم على نظـام ثابـت ويمـكن أن يكتـب له الاستقرار والـدوام سوى شرع الله الحـكيم جل وتعـالى عن أن

تستطيع عقول البشر الاحاطة بشيء من علمه إلا بما شاء . .

* * *

أما الاساس الثاني من أسس الحضارة الغربية : القومية فقد سبق لنا الكلام عنها وبينا الاسس التي تقوم عليها من وحدة في اللغة والجنس والارض، وكيف أن هذه الاسس ماهي إلا أسس حيوانية هي التي تجمع الحيوانات بعضها الى بعض، وكيف أن الله قد ميز الانسان بالعقل، وهو يقيم على أساسه دولة فكرية في الأرض وكل تفكير من القبيل الاول انما هو في نظر الاسلام ارتكاسة حيوانية لا يسمح بها بحال من الاحوال.

ثم بينا العواطف التي تمتاز بها القومية : كيف أنها تحل مبدأ الحق للقوة مادة في دستورها، وكيف انها تخلق في الانسان عاطفة تقديس قومه وقوميته واعتبارهم فوق الجميع وما يؤدي اليه هذا استعمار قوم لقوم واضطهادهم واستثمار ثرواتهم لمصالحهم الخاصة.

ويكفي القومية - التي يمكن اعتبار ألمانيا مثلا واقعيا من امثلتها - فخراً أنها كانت السبب في اشعال نار الحربين العالميتين السابقتين وما أدتا إليه من افناء البشر بالجملة.

ثم تكلمنا عن نفعية القومية وكيف أن القومي شخص بلا مبادىء اللهم إلا ما يوافق هوى قوميته في كل حال وكيف أن الانانية في الحياة الخاصة تساوي القومية في الحياة الاجتماعية.

ويجب ألا يغرب عن بالنا أنه لا فرق بين قومية العناصر وقومية

المبادىء، بين أن تضطهد قومية غيرها وبين أن يضطهد مبدأ من المبادىء من لا يعتنقون فكرته ولكنهم لا يحاولون معارضته ولا تهديمه بأي شكل وإلا كانوا خارجين على القانون ولهم شأن آخر.

* * *

ولننتقل أخيراً إلى الكلام عن الديمقراطية. . .

والديمقراطية كما يعرفونها حكم الشعب للشعب. . والحكم يعني السلطة، والسلطات ثلاث : تشريعية وتنفيذية وقضائية.

أما أن يكون حق تنفيذ التشريع للشعب أي لمن ينيبه الشعب عنه، وكذلك حق القضاء بين الناس تبعاً للدساتير والقوانين الموضوعة، فهذا لامراء فيه. .

ولكن النقطة الهامة نقطة التشريع. . ذلك أن كلا السلطتين التنفيذية والقضائية تدوران ضمن نطاق محدد لا يمكنها مخالفته وهو الدستور. . والدستور لهذا يجب أن يكون ذا اسس ثابتة لا يمكن أن تتغير فضلا عن انه يجب أن يكون وافيا باسس جميع ما يحتاجه الرعية.

فاذا تركنا الدستور للشعب، أو لنوع خاص من أفراد الشعب مهما كانوا على رقي، فلا يمكن أن يفوا بجميع متطلبات الحياة الاساسية ويضعوا لها اسساً معقولة عادلة. . ثم إن سلطة تعديل التشريع بيد الشعب دائماً وهكذا فهو تابع لاهواء الناس يلعبون به كيف شاؤوا. .

هـذا إذا غضضنـا النظـر عن كيفية انتخـاب هؤلاء الشرعيين وكيفـ أنهم يختارون لا تبعاً للكفاءات التي يتمتعون بهـا ولـكن حسب ما يملكون من سلطـات : سلطـة المال وسلطـة السيطـرة وسلطة اللسان وغـير ذلك، والانسـان حر بطبعـه، لا يمـكن أن يحدث شيء إن ترك الأمر اليه على الاطلاق، ولم توجد لها، اسس ثابتة ليست من وضعه، وليس له حق التصرف فيها، ولهذا انزل الشرع الإلهي . .

* * *

هذه بايجاز أهم الاسس التي تقوم عليها الحضـارة الغـربية، ولكن الاسلام يحل محلها ثلاثة أسس اخرى تغايرها تمام المغايرة : الايمان، والعالمية، والخلافـة [1] . .

فالنـاس في حاجـة دائماً وابـداً إلى مثـل اعلى يهتـدون بهـديه ويلجؤون إلى فضله كلما الم بهم مهم، ليسدد خطاهم ويصحـح خطأهم ويوجههم دائماً إلى سلوك السبيل القويم . .

والايمان يتطلب منا أن نؤمن بالله خالقا لهذا الكون ـ بما فيه ـ وسيداً وحاكما . وان ننظم حياتنا تبعاً لاوامره وإرشاداته والا نكتفي باداء طقوس بالنسبة اليه، بل ان نطيعه ونسلم انفسنا له . والا نتبع تعاليمه في حياتنا الخاصة فحسب بل في حياتنا الجماعية والمشتركة

---

(١) وضح هذا تمام التوضيح الاستاذ ابـو الاعلى المودودي في (رسالـة الجماعـة الاسلامية) « بالانكليزية » .

على السواء. وان نتبع ما شرعه لنا الله في حياتنا الاجتماعية والخلقية والاقتصادية وفي معارفنا وتربيتنا، وفي صياغة قوانينا، وقضائنا، وفي تسيير حكوماتنا، وفي سلمنا وحربنا، وفي علاقاتنا الدولية. والا نكون احراراً في تنظيم شؤوننا الشخصية والجماعية كما نهوى بل إن حريتنا يجب أن تكون محددة في نطاق قواعد الله ونظمه.

والمبدأ الثاني يقتضي أن نظام الحياة الذي بني على أساس عبادة الله وطاعته، ينبغي ألا يوافق على أي تمييز من نوع كان لعنصر معين أو بلدة معينة أو لون أو لغة معينة ولا على إحلال الانانية محل الحق والعدالة. وأن يقوم نظام فكري مؤسس على مبادىء معينة وقيم ثابتة مقام النظام القومي، أبوابه مفتوحة لأي شخص يقبل هذه المبادىء، وكل من يقبلها يحق له أن يصبح مواطنا على قدم المساواة مع الجميع دون تمييز من أي نوع.

أما أهل الكتاب الذين لا يقبلون هذه المبادىء أو بعضها لسبب أو آخر، هم يستطيعون العيش في ظل هذا النظام بحقوق خاصة، وتفتح لهم ابواب هذا النظام ليدخلوه أعضاء مواطنين حالما يعتنقون مبادئه دون النظر إلى أي تمييز كان.

وهذه النظرة العالمية لا تنافي فكرة الوطنية ولكنها تحاول وضعها في موضعها الطبيعي. ففيهامكان لحب الوطن والاخلاص له لا للتعصب القومي.. ونظرة الحب الوطنية فيها حلال في حين أن الانانية القومية هي الحرام.. والحرية القومية مصونة ولكن طغيان

قومية على قومية هي الممنوعة والمحاربة!

والفرد الذي يعيش في ظل هذا النظام هو مواطن عالمي لا يتقيد بجزء معين فقط. وله ملء الحق أن ينادي : « إننا نعتبر أي بلد في الدنيا بلدنا لأنها ملك الهنا ».

أما النظام الحالي فهو مؤسس على التعصب البغيض فلا يكاد المرء يغادر حدود بلاده حتى يشعر بأن ارض الله مليئة في كل مكان بالصعوبات والمشاق بالنسبة اليه.. ففي كل مكان ننظر اليه على انه غريب ، ولا يوثق به كائنا هو لص او سارق، وفي أي مكان تتبعه التحريات وتوضع القيود على قلمه ولسانه وحركاته ولا يتمتع حيثما كان بالحرية حقه الطبيعي!

ونحن نريد أن نحل محل هذا النظام نظاماً عالمياً يعطى فيه المواطن العالمي الحرية الكاملة..

وإن أعيننا لتتوق إلى رؤية « ابن بطوطة » جديد يستطيع أن يذهب من شواطىء الأطلسي إلى شواطىء الهادي دون أن يعامل في أي مكان كغريب ويكون له الحق في كل مكان أن يكون كما هو في بلده : قاضياً أو وزيراً أو مفوضاً أو سوى ذلك..

* * *

لننتقل الآن إلى الاساس الثالث، فان شريعتنا تجعل الحكم لله ، وما سوى ذلك فنحن ديمقراطيون وديمقراطيتنا قد عرفها العالم قبل أن يوجد هذا النظام الديمقراطي الحديث بعدة قرون

غير أن ما لا نسمح به أن تكون عقلية الجماهير هي المسيطرة على الدستور الاساسي ذلك لأن الحكم لله . .

ونحن بذلك نكون قد وثقنا من بقاء الدستور ثابتاً لا يتغير بحسب الظروف المختلفة لأن ما وضعه الله سبحانه وتعالى من عنده هو وحده المناسب للناس، أما ما لم ينص فيه على شيء فقد ترك للناس الخيار فيه لاستنباط حكمه بناء على الدستور الثابت.

أما ما سوى ذلك من الشورى في الحكم واختيار الجماهير للأمير وتحديد سلطات السلطة التنفيذية والقضائية فذلك هو المثل الأعلى للديمقراطية الحقة.

* * *

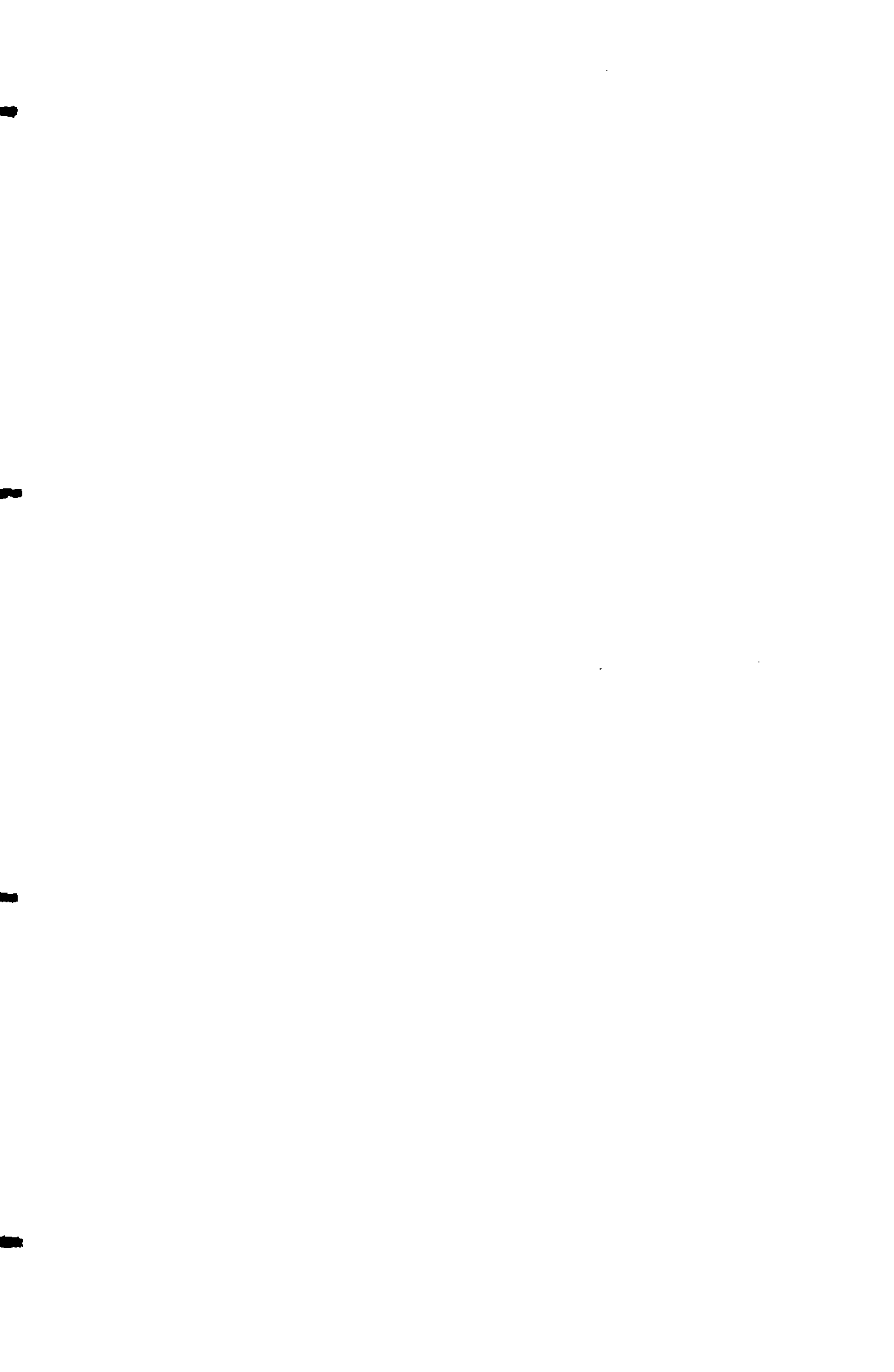
وبعد، فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يهدينا سبلنا وان يوفقنا إلى تطبيق مبادئه واحيائها في حياتنا كلها ويومئذ تسعد الدنيا بتطبيق مبادىء الاسلام. .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

# اتجاه الفكر الاسلامي

للأستاذ
الدكتور عز الدين ابراهيم

ربيع الاول ١٣٧٤



# مُقـدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الله سبحانه وتعالى ليدع دعوته، دون أن يقيض لها جنوداً مدافعين وأتباعاً منافحين ودعاة مكافحين. . ذلك لأن الله يقول : ﴿ إنا نحن نزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (١).

ولقد ذخر تاريخ دعوتنا بهؤلاء المجاهدين في سبيل الله دون أن يبتغوا من وراء ذلك جاهاً ولا مالاً ولا منفعة خاصة، ودون أن تؤثر فيهم مغريات المال أو مغريات النفس أو مغريات السلطان، فلم يكن بدعاً أن يقف في وجههم اتباع الشيطان وأعوانه ـ وما أكثرهم في هذا العصر ـ، ولم يكن غريباً أن يضطهدوا وأن يعذبوا ولم يكن عجيباً أن تقف في وجههم جميع قوى الشر من ملاحدة وفجار وطواغيت يحاولون محاربتهم والقضاء على دعوتهم، وما كانوا ليهونوا أو يستكينوا لأنهم انما يستمدون قوتهم من الله. . والله اكبر!

من هؤلاء المجاهدين أخونا الكريم عز الدين. . وعز الدين من هؤلاء الناس الذين تحبهم لأول لقاء وتشعر تجاههم باطمئنان

---

(١) الحجر : ٩.

عميق، فاذا كلمتهم زدت طمأنينة وثقة، وإذا نظرت إلى أفعالهم رأيت مثلا حياً لما يدعون إليه . .

ولقد أخذ عز الدين نفسه بالتهذيب والتثقيف فلـم يكن عالماً بدعوته فحسب، ولم يكن مثقفاً ثقافة حديثة فقط، وإنما ضمهما معاً وجمع اليهما فهما لدقائق الامور وعمقاً في سبر غورها وهذا ما تستطيع استشفافه مما ستقرأ في هذه الرسالة .

والقضية التي عالجها هنا قضية هامة ذلك لأن مما يشغـل بال الدعاة في هذا العصر هذه الموجة الطاغية من التفكير الغربي التي صرفت تفكير اكثر الناس في هذا العصر الى وجهتها التي تريد . . فأصبحت انماط ابحاثهم واتجاهات افكارهم مسيخة شائهة . .

وليس غريباً أن يكون للحياة الغربية نظمها الخاصـة ونهجهـا الخاص في التفكير ، ذلك لأنها - وإن كانـت لا تزال في تعـديل مستمر - قد خطت لنفسها خطوطاً رئيسية مستمدة من روحها لا يخرج عنها افرادها إلا في قليل من الاحيان .

ولكن الغريب أن تستولي هذه النظم على تفكيرنا وتأسر ألبابنا وتوجهنا من حيث لا نشعر وجهتها التـي لا تتفق معنا بحال .

ولئن كانت النهضة الاسلامية في العصر الحـديث قد ظهـرت تباشيرها، فانهـا لا تزال بحاجـة إلى رواد يزيلـون العشرات من سبيلها، ويقضون على المؤامرات التي تحـاك ضدهـا، ويعدلـون بعض الاتجاهات التي لا تتفق معها، ويحررون أفكار افرادها من القيود التي كبلهم بها نمط التفكير الغريب المقيت . .

إلى أخواننا الـذين يفتخـرون بانتمائهـم إلى دعـوة الاسـلام، ويعتزون بجهادهم تحت لوائها، ويسعون جهدهم لفهمهـا حق الفهم وتطبيقها أمثل التطبيق والدعوة اليها حق الدعوة، ويؤمنون بأن لها الحياة وأنها هي ستبقى، ولا يبالون بالعثرات التي تعترضهم لانها كالذباب الذي يحط على الصرح الضخم ويعتقد أنه قد نال منه إن حمل في خرطومه شيئاً من الغبار . .

إلى هؤلاء نقدم اخانا عز الدين كما عرفناه : جنديا عاملا وعالماً فاهماً، ورائداً مخلصاً . . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ربيع الأول ١٣٧٤

لجنة المسجد

# اتجاه الفكر الاسلامي

الملاحظ، في السنوات الأخيرة، أن التفكير الاسلامي قد اتسم بالطابع العملي التطبيقي. فلو تتبعنا كتابات المفكرين الاسلاميين ومحاضراتهم لوجدنا أنها تدور، في الاغلب، حول الحلول العملية التي يمكن أن يقدمها الاسلام لاصلاح الحياة من جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وقلما نجدها تمس الجوانب الروحية في الاسلام : كالعقائد والعبادات والاخلاقيات.

ولعل الدافع الى هذا الاتجاه العملي أمران : أولهما، يتعلق بالنهضة الاسلامية المرتجاة، والتي يعمل لها كثيرون من المخلصين في كل مكان، فقد كان من الطبيعي أن تؤسس هذه النهضة بحيث تفي بمطالب الحياة جميعاً، ولذلك حرص الداعون إلى إقامة هذه النهضة إلى اثبات صلاحية الاسلام للحكم بما ينشرونه من أبحاث ودراسات، تتعلق بالجوانب العملية التطبيقية، اكثر من تعلقها بالجوانب الروحية.

وثانيهما، يتعلق بالجو الفكري العام في العالم. فقد سادت العالم موجات فكرية طاغية، واهتم أصحاب المذاهب المختلفة بابراز مزايا مذاهبهم بشتى وسائل الابراز. ولذلك كان من الضروري أن يعنى الداعون إلى الاسلام بابراز مزايا مذهبهم

وخصوصاً الجوانب العملية في هذا المذهب باعتبار انها مجال الاحتكاك والمخاصمة بين المذاهب.

فلهذين السببين، حرص المفكرون الاسلاميون ـ من كتاب، ومربين، ومحاضرين ـ على أن يعالجوا الجوانب العملية، وأن يفروا من الجوانب الروحية. حتى إن بعض الوعاظ المستنيرين يعتبر الحديث عن الجنة، والنار، والحساب، والعبادة والمثل الخلقية، وسائر الموضوعات الروحية، ضرباً من التخلف والانتكاس في تصور وعرض القضايا الاسلامية على الناس.

* * *

ونحن لا نعيب الاتجاه العملي التطبيقي للفكر الاسلامي ولا ننتقده، لأن الدوافع اليه طبيعية ومنطقية كما قدمنا، ولأن الاسلام في حقيقته دين عملي شامل يفي بمطالب الحياة جميعاً.

ولكننا نخشى أن يؤدي التمادي في هذا الاتجاه العملي، مع إغفال الجوانب الروحية، الى اخطار وخيمة، نكاد نلمس آثارها من الآن في حقلين :

الحقل الأول : حقل الدراسة.

الحقل الثاني : حقل التربية.

ففي حقل الدراسة، نجد أن بعض الدارسين، لشدة حرصهم على اثبات المزايا العملية للاسلام يتجهون اتجاها فيه كثير من السطحية والتسرع. فاذا أرادوا أن يعالجوا الناحية الاقتصادية مثلا، التمسوا معالجتها بالرجوع أولا إلى تقريرات الغربيين فيها،

ثم بالتماس ما يؤيد هذه التقــريرات من النصــوص الاســلامية كالآيات والاحــاديث وآراء الأئمـة المجتهـدين. مع أن المنهــج الصحيح يقتضي الرجوع ابتداء الى المصـادر الاسـلامية لتـكون الدراسة مستندة ومستمدة من فلسفة الاسلام العامة عن الحياة، ولا بأس بعد ذلك من الاستئناس بالصحيح الممحص من ابحاث الغربيين في حدود القواعد الاسلامية الاصلية. وهذا يقتضي ان يكون الدارس للجوانب العملية قد أحاط إحاطة دقيقة بالجوانب الروحية التي هي عماد الأسلام واساس فلسفته.

وفي حقل التربية، نجد أن الاتجاه العملي في تصور الاسلام وتصويره، يحدد مناهج التربية الاسلامية. فلا يعنى في تربية أجيال الناشئين المسلمين إلا بتثبيت المزايا العملية للاسلام في نفوسهم، وبتوجيههم نحو تحقيق نظم الاسلام العملية في الحياة، دون أي اعتناء بتأكيد الجوانب الروحية : كتصـحيح العقيدة وتأصيلهـا، وتأكيد معنى التعبد لله العلي الكبير بشكره وذكره وامتثال أوامـره والاستعانة به والخشية منه، وتقويم الاخـلاق على اسـاس المثـل الرفيعة التي جاء بها الاسلام. وقد حدث هذا فعلا في بعض البلاد الاسلامية، حيث اهتم المصلحون الاسلاميون بتـأكيد الجوانـب العملية، وأغفلوا بالكلية الجوانب الـروحية، ظانـين أنهـم بهـذه الطريقة يحققون النهضة الاسلامية. وهم في ذلك جد مخطئين لأن الأجيال التي سيربونها والتي سيعهدون اليها بامانة الاسلام سوف

تكون بعيدة كل البعد عن حقائق الدين الاصلية وإن تحمست لبعض انظمته العملية التطبيقية.

* * *

ونحن حينما ننادي بضرورة العناية « بالجوانب الروحية » للاسلام، نعلم تمام العلم أن هذا التعبير مطاط جداً بحيث يختلف الناس في تصوره وتحديده. ولذلك نجد لزاماً علينا أن نحدده لتبدو الفكرة التي ندعو اليها اكثر وضوحاً وانضباطاً.

والجوانب الروحية الاصلية ـ فيما نعتقد ـ ثلاثة :

أولها : العقيدة.

وثانيها : العبادات.

وثالثها : الاخلاق وقواعد السلوك.

فبتصحيح العقيدة، وتخليصها من الشوائب والخرافات، وتمكينها في النفوس نتوصل إلى فلسفة الاسلام الاصلية على اعتبار انه « دين » من عند الله لا « نظام من صنع البشر » وانه « دعوة » ملزمة للعباد لا « فكرة » يتجادلون في تخطيطها، وأنه، حلقة من سلسلة الهداية الالهية التي تنظم الوجود بأزمنته وأمكنته جميعاً وليس وثبة من وثبات الفكر الانساني المحدد بالزمان والمكان.

وبتأكيد العبادات، نتوصل إلى ربط الناس دواماً بخالقهم، ليقوموا على حسن عبادته، والتسبيح بحمده. والاعتماد عليه، والتحنث له، وبذلك ترتبط الكائنات الموجودة بالقوى الموحدة في اطار متماسك أساسه العبودية الخالصة.

وبتقويم الاخلاق على أساس الاسلام نتوصل إلى تثبيت القيم والمعايير التي لا تستقيم العلاقات الانسانية وترتقي بغير تثبيتها.

أي ان العناية بالجوانب الروحية، على النحو الذي حددناه، تنتهي بنا إلى تأصيل امور ثلاثة لا بد من تأصلها كأساس للنهضة الاسلامية، وهي :

اولاً : فلسفة الأسلام عن الوجود.

ثانياً : الاطار العام الذي ينظم العلاقات في الوجود.

ثالثاً : القيم والمعايير العليا التي تحكم صلات البشر باعتبارهم العنصر المكلف في الوجود. وبديهي ان كل تفكير في انظمة الاسلام العملية لا بد وأن ينبع من هذه الاصول الرئيسية.

* * *

(وبعد) :

فقد عانت النهضة الاسلامية الحديثة في مبدأ امرها من جمود المسلمين وعدم تفكيرهم في النواحي العملية للاسلام، ولذلك اهتم المصلحون الاسلاميون كثيراً بتأكيد الاتجاه العملي.

واليوم نلاحظ أن الاتجاه العملي قد ثبت، ونخشى أن يطغي على ما عداه من الاتجاهات الاخرى الضرورية في تصور الاسلام وتصويره وتوجيه نهضته.

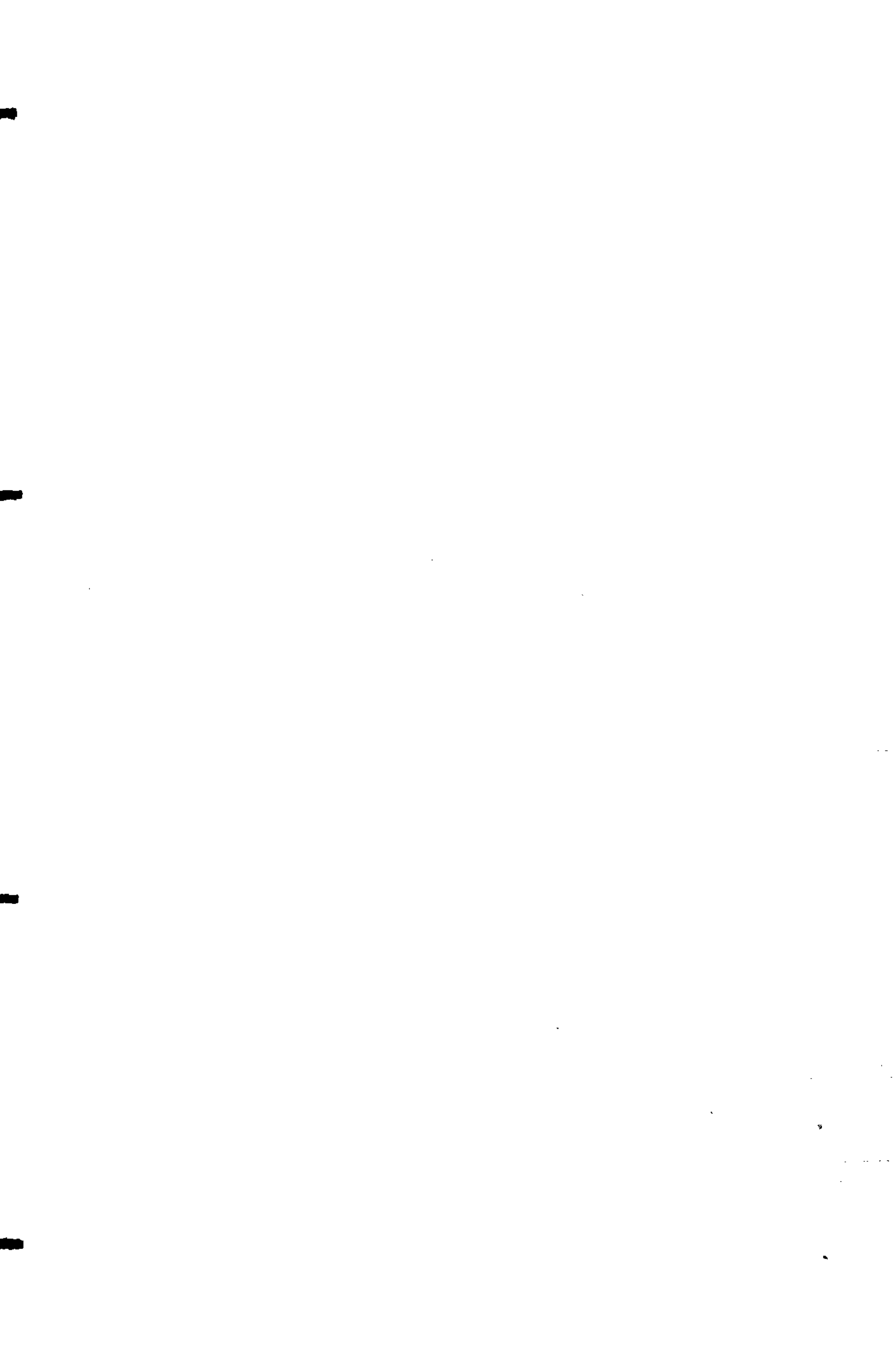
ولذلك لزم أن ننادي بضرورة ايجاد التوازن بين اتجاهات الفكر الاسلامي بحيث تعنى بالجوانب الروحية والعملية معاً، فبغير ذلك لا تستقيم النهضة الاسلامية المرتجاة.




الاستاذ
محمد المجذوب

« ذكرى المولد »

ربيع الثاني ١٣٧٤



# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ذاق طعم الأيمان من رضي بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالاسلام ديناً ». وهذا الرضى الذي يجعله الأسلام شرطاً لتذوق الأيمان ليس بالشيء العادي الذي يمكن أن يحصل بسهولة، ولا بالكلام الفارغ الذي يتشدق به المغنون على انه مدائح، ولا بالالفاظ التي يلفظها الفرد كالابله دون أن يلقي لمعناها بالاً . . ولكنه احساس عميق صادق، يخالط الروح، وتطمئن إليه النفس، ويجري على اللسان ويصدقه العمل!

ذكرنا هذا الكلام لأننا في ظرف تظلنا فيه ذكرى كريمة قيمة، غير أن مما يؤلم الفؤاد ويحز في النفس أن ننظر معها إلى واقع المسلمين اليوم وقد تداعت عليهم الامم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها لا من قلة فهم كثير ولكنهم غثاء كغثاء السيل.

إنهم غثاء لأنهم غفلوا عن جوهر الدعوة وخدعوا بمظاهر زائفة وشكليات باهتة، وانساقوا في تيار من التقليد الاعمى الجارف . .

إنهم غثاء لانهم القوا بكنزهم الثمين في الارض واستبدلوا به

أشتاتاً أبعد عن أن تكون نظاماً ما، وأسمالاً أنأى عن أن تركب رداء ما وأخذوا يدعون بعد ذلك أنهم مسملون . .

إنهم غثاء لانهم خرجوا من عبودية الله الى عبودية غيره فخافوا الطواغيت ومالؤوا الكفار وأطاعوا الشهوات ورضوا بالعاجل الزائل . .

إنهم غثاء لانهم قطعوا هذا الرباط المقدس الذي كان ينشلهم كلما أشرفوا على السقوط، ويهديهم كلما قاربوا الضلال . .

إنهم غثاء لانهم لم يفهموا هذا الرضى حق فهم، ولم يؤدوه حق تأديته، ولم يؤمنوا به حق إيمان . .

وما الفوضى الفكرية التي نتخبط فيها في هذه الايام إلا مظهر من النفاق الذي هو مناقضة القول العمل والله يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [1].

فلا غرابة بعدئذ إن استولت الشكليات على أعمالنا كما ذكرنا وأصبحت مادة أساسية في الدستور الذي استمددناه من الشيطان . .

ولكن . . ما بالنا قد استغرقنا في التشاؤم الى هذا الحد . . لا إنه والله ليس بتشاؤم ولكنه زفرة حرى لا تصدر عن مصدور وإنما تصدر عن مؤمن بالله والايمان بالله يقتضيك أن توقن أن الله الذي أنزل هذه الدعوة لم يكن ليدعها وقد تعهد بحفظها. ولئن كان

---

(١) الصف : ٢، ٣.

البعض قد عقها، وبخسها حقها، فلقد قيض الله لها من ينافح عنها ويدافع يبينها للناس على حقيقتها التي تركها عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يضل عنها إلا هالك ».

وبعد . . فلسنا في حاجة إلى أن نقدم الاستاذ المجذوب كداعية من دعاة الاسلام في هذا العصر فسوف يستنتج من لا يعرفه ذلك من هذه الرسالة، ولكننا نضرع إلى الله أن يبارك في هؤلاء الدعاة ويبارك لهم وأن يسدد خطاهم ويهديهم سبلهم ويتم نعمته عليهم إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الثاني عشر من ربيع الاول عام ١٣٧٤.

لجنة المسجد

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرت بالأمس حفلة تقليدية لذكرى المولد النبوي، واستمعت فيها إلى القصة، وإلى الأناشيد، فكان كل ما تجمع لدي من ذلك ألفاظاً شعرية، تتألف من العطور والزهور، والاغاريد والطيور، ثم ذكر النسب الكريم، وما إلى ذلك من صفات شخصية وجسدية للرسول العظيم..

وسمعت بعض الاذاعات في هذه المناسبة المباركة، فوجدت فيها بعض الجدة، وهي جدة يمكن تلخيصها بكلمة صغيرة : انها عرض لبعض الامجاد القومية التي نشأت في أثر الرسالة المحمدية..

وهأنذا الآن أقف بين النتيجتين متأملا مفكراً، فلا أعثر على الصورة الصحيحة، التي يجب أن يخرج بها الانسان إثر استعراض هذه الذكرى!

فالحفلات التقليدية تدور حول موضوع الذكرى دون أن تلمس حقيقة فتكتفي بالألفاظ الشعرية المنمقة، وكذلك الأمر في الحفلات الجديدة، فهي أيضاً تدور بدورها حول أشياء لا تمس حقيقة الذكرى في الكثير من أعراضها. ومردّ الأمر في الحفلات

القديمة أنها لا تزال صدىً مكرراً لعصور الانحطاط التي أنست الناس جوهر الرسالة الاسلامية فوقفوا عند قشورها، وأن الاشخاص المجددين - في الحفلات الحديثة - ينظرون إلى شخص الرسول من وراء نظارات أجنبية صرف، لا ترى من الذكرى غير جانبها المادي وحده، لذلك تكتفي من الموضوع بالكلام على النواحي القومية، وما إلى ذلك من ذكريات الامجاد والفتوح . . . وكأنما تريد من ذلك أن تقيم الدليل على عبقرية الرسول العربي، التي استطاعت أن تضيف إلى التاريخ الأنساني كل هذه الأحداث . .

أما مبادىء الرسول، وأما تعاليم الرسول، وأما رسالة الرسول، وما فيها من أسرار السماء والهداية الربانية فذلك بعيد عن تفكير المقلدين والمجددين جميعاً!

ولعمري إن الناس ما داموا بعيدين عن إدراك هذه الحقيقة، فسيظلون يدورون في حلقة مفرغة لا تنتهي إلى خير . .

ومن أجل أن نحيط علماً بهذه الحقيقة علينا أن نحدد مفهومنا العقلي من الرسالة الاسلامية، ذلك لأن شخصية محمد صلى الله عليه وسلم لا تفهم إلا على ضوء هذا التحديد، ويوم نستطيع أن ندرك هذا الواقع ثم نجهر به للناس، يومئذ يحق لنا القول : إننا نحسن الاحتفال حقاً بذكرى مولد محمد.

إن شخصية محمد لم تستمد خصائص عظمتها من نسبه ولا من بيئته، ولا من عبقريته الخاصة، وإن تكن هذه أشياء لا

يستغني عنها الدارس لمهمة الرسول العربي، ولكن السر الحقيقي في عظمة هذا الانسان الممتاز، هو أن الله اختاره لهداية القطيع الانساني الضال عن طريق الحق.. ثم زوده من الصفات العقلية والنفسية بالقدر العظيم الذي يحقق تنفيذ هذه المهمة العظمى..

لقد اغرق الناس في المادية حتى أوشكوا أن ينسوا حكمة الله في تكوين هذا الجنس الانساني الذي اختارته العناية الربانية لعمران الأرض، واستخدام طاقاتها، فحسبوا أن العظمة الحقة موقوفة على القدرة الشخصية، التي بها يستطيع الانسان أن يقود الجماعات، وينشر الحضارات. وقد فاتهم أن القدرة الشخصية مهما تبلغ من القوة، تظل عاجزة عن هداية الانسان الى الحقيقة التي يجب أن يسخر في سبيلها كل قوته.. وذلك من أجل أن تأخذ الحياة الانسانية اتجاهها الامثل نحو السعادة العامة..

ومثلاً واحداً نضربه على ذلك: هو أن فلسفة الانسان على كثرة مظاهرها، لم تستطع أن تخط للجماعة الانسانية مذهباً واحداً، يمكن أن تجتمع عليه البشرية في اطمئنان وإيمان، بينما نرى النبوات الربانية وحدها هي التي استطاعت أن تسيطر على وجدان الانسانية فتسوقها إلى غاية موحدة، راضية مختارة..

هذه قاعدة اجتماعية لا يؤثر عليها الشذوذ الفردي، الذي يتراءى بين الحين والحين، في تمرد بعض الافراد أو الجماعات على حقيقتها المسلمة عندما يحاولون التنكر للرسالات السماوية، ليقيموا بدلاً منها مبادىء فلسفية من صنع الأرض..

أجل.. على ضوء هذا القانون الرباني، يجب أن ننظر إلى شخصية الرسول العربي الأمي، وبذلك وحده نتصل مباشرة بالمعنى الأسمى لميلاده.. فنرى انه ليس ميلاد شخص ولكنه ميلاد دعوة.. ميلاد رسالة.. ميلاد نبوة..

من العبث أن نتعرف شخصية محمد عندما ننظر إليه في منعزل عن صفته النبوية، إن محمداً لم يقل عن نفسه إنه بطل وعظيم وعبقري، ولكنه عرّف هذه النفس في تواضع فقال: «أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد».. ثم لخص حقيقة هذه النفس بقوله: «إني رسول الله إليكم وإلى الناس كافة» وكذلك عرَّفه ربه بقوله الحق: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً..﴾ [1].

فمحمد سراج أضاءه الله لهداية الانسانية كافة، وجدير بنور هذا السراج أن يخرج القطيع البشري من الظلام إلى النور، لأنه ليس من صنع الذكاء الأرضي، ولكنه شعلة من قبس السماء..

ولقد أدرك المؤمنون الأولون هذه الحقيقة، فباعوا نفسوهم لها، ووقفوا وجودهم عليها، ثم لم يرضوا أن يحتكروا هذه السعادة لأنفسهم وحدها فاندفعوا ينشرونها في أكناف الأرض، ومضت الأرض تنطوي تحت أقدامهم في سرعة معجزة حتى ركزوا ألويتهم في كل مكان، وفي أقصر زمان...

وها هو ذا أحد هؤلاء المؤمنين، يلخص مفهومه لهذه الرسالة في

---

(١) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

كلمات بسيطة يصرخ بها في سمع (رستم) قائد فارس عندما سأله عن هدف العرب من حروبهم فقال : « هدفنا أن نخرج عباد الله من عبادة الناس إلى عبادة الله وحده.. » فكان في هذه الكلمات القليلة خلاصة وافية لمعاني الرسالة الاسلامية.. إنها رسالة التحرير للعودة بالانسانية الحائرة إلى نور ربها وإلى حريتها الأصلية..

ولقد ضل كثير من الناس فزعموا أن الفتح الاسلامي لم يكن إلا نتيجة لعوامل اقتصادية لاغرض لها من دين أو ورع.. ولا نزال مع الأسف نسمع مثل هذا القول، يتبجح بترديده بعض المقلدين لأعداء الاسلام، وحسبنا أن نسمع رد المؤمنين الأولين على هذه المزاعم لنقف على مفهوم الرسالة الحق في قلوبهم...

ها هو ذا عبادة بن الصامت يدخل على المقوقس في وفد من جيش عمرو بن العاص، فيعرض المقوقس عليهم المال لقاء رجوعهم عن مملكته.. فبماذا يجيب عبادة على هذه الرشوة؟ إنه يتبسم ضاحكا من العقلية التي لا تعرف رباً غير المال، ثم يقول له في أناة وإيمان : « أبالدنيا تغرينا؟.. والله ما خرجنا من بيوتنا إلا ونحن ندعو الله ألا يعيدنا إليها، وأن يكتب لنا الشهادة في سبيل دعوته.. »

هكذا فهم المؤمنون الأولون شخصية محمد ورسالة محمد، فهم إذا وقروه فانما يوقرون دعوته، وإذ يندفعون لنشرها إنما يفعلون ذلك بدافع الايمان الراسخ بأنهم ينشرون كلمة الله ويحملون

رسالته، لتحرير عباد الله من ظلم الطغاة، وتعسف البغاة، الذين اتخذوا عباد الله خولاً وأموالهم دولا . .

وبعد فهذا ما أفهمه من ذكرى مولد الرسول. . انه مولد الدعوة إلى الله من جديد. انه مولد الحرية التي قيدها الظالمون. . مولد النور الذي لا يزال ينتظره الحائرون. . ولعل أناساً يحتفلون بهذه الذكرى، وهم حرب على معانيها، ومعول لتحطيم مباديها، وهم بذلك يهدمون أنفسهم وإنسانيتهم وما يشعرون. .

إن عالم اليوم كعالم الأمس، لا يبرح في قيود العبودية : عبودية الشهوات، وعبودية الطغاة، وإن اختفلت مظاهر هذه العبودية بين الأمس واليوم. . وهو لذلك أحوج ما يكون إلى الاستضاءة بنور صاحب هذه الذكرى، فلنحمل إليه من جديد تعاليم محمد، ولنفهمه في حكمة رسالة محمد. . وبذلك وحده نعطي هذه الذكرى التقدير الذي تستحقه.

ولعمري . . لقد آن للعرب اليوم، وقد أخفقت تجاربهم النظرية جميعاً، أن يعلموا أن ليس للعروبة الحقة من رسالة سوى رسالة محمد، وأنهم حملة هذا المشعل إلى العالم كله، ألقاها الله في أيديهم ليكونوا أوصياءه على الأرض، وشهداءه على الناس : ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (١).

---

(١) البقرة : ١٤٣.

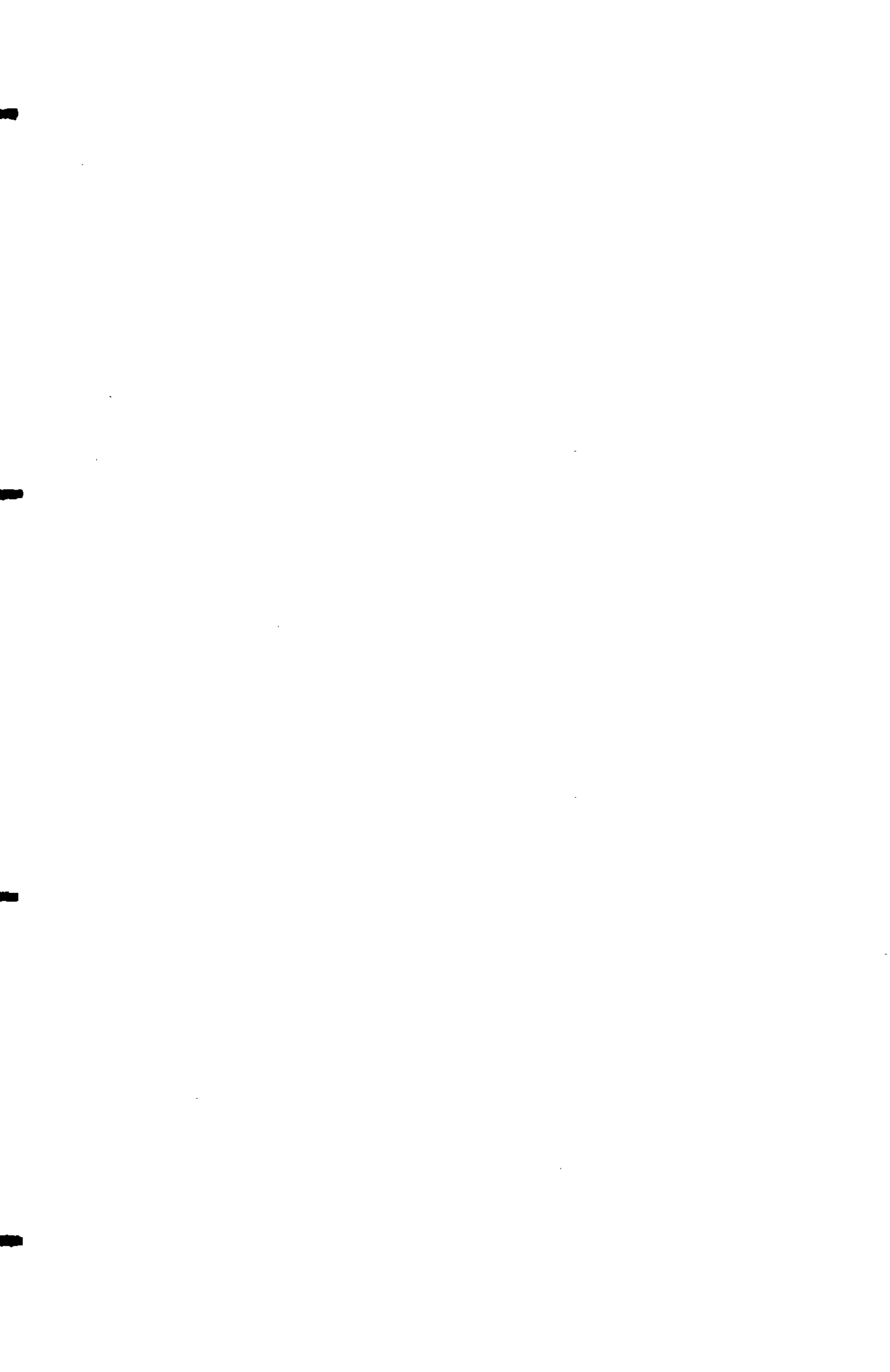
ولئن اقتصر اليوم الاحتفال بمولد الرسول العربي، على بعض الانسانية دون بعض، فقد يأتي يوم تعرف فيه الانسانية كلها حقيقة محمد، فتجمع على الاحتفال بذكراه كمنقذ للبشرية جميعها.. ويومئذ تشرق الأرض بنور ربها.. ويومئذ يفرح المؤمنون..

**محمد المجذوب**

# الحدود في الإسلام

الاستاذ
مظهر الصديق

ربيع الثاني ١٣٧٤



بسم الله الرحمن الرحيم

من مزايا هذا الدين العظيم أنه حطَّم الفوارق الحيوانية بين الناس.. فلم يقم أي وزن للميزات العرقية أو الارضية أو اللغوية ولكنه ربط بين أفراده برابط أسمى من أي رابط كان وأقوى من أي رابط كان فأحل مبدأ الأخوة في الله!

وكلما تتالت الأيام رأينا مصداق هذا الرأي واضحاً جلياً وأبصرنا هذا التجاوب البعيد بين أفراد دعوة الله حيثما كانوا وفي أي صقع من ارض الله قطنوا!

ولا جرم... فان أحب نداء يستمع اليه المسلم في الصين أو أندونيسيا نداء أخيه في بلادنا هذه.. وإن أصدق دعوة نتجاوب معها دعوة اخواننا في الهند او باكستان... هذا التجاوب العجيب وهذه الصلة الوثيقة وهذه الاخوة الكاملة سوف تبقى باذن الله واضحة ظاهرة لانها من أرسخ آساس الدين...

ولا أدلّ على ذلك من تطوع المجاهدين المسلمين في أقصى المشرق لخوض غمار الجهاد في فلسطين لولا وقوع الهدنة قبل وصولهم... ولا أدلَّ على ذلك من هبة المسلمين في بلادنا هذه واحتجاجهم على ما يصيب اخوانهم في باكستان ـ الجماعة الاسلامية ـ على ايدي وأذناب المستعمرين... ولا أدل على ذلك

من نصرة مسلمي باكستان لاخوانهم في البلاد العربية في هذه المحنة الاخيرة... ولا أدل على ذلك من تأهب بلاد الاسلام للوقوف موقفاً ايجابياً من المجازر التي يقوم بها المستعمر الكافر في المغرب...

هذه الامثلة وغيرها تبعث الأمل في النفوس وتحيي الهمم وتبعث العزائم للسير قدماً نحو المجتمع المنشود والدولة المنشودة والوحدة المنشودة.

وإنا لنفخر ـ ويحق لنا الفخر ـ باخواننا في كل صقع من أصقاع ارض الله.. ونحاول ان نعزز الصلة بيننا وبينهم... ونسعى الى تكوين المشاركة العملية معهم في كل مضمار!

ومن إخواننا الذين نفخر بهم اخواننا في باكستان ومن هؤلاء الفئة المجاهدة التي كونت ـ جمعية الطلبة الاسلامية ـ والتي تصدر صحيفة نصف شهرية باسم صوت الطلبة يشرف على تحريرها الاخ الكريم الاستاذ خورشيد أحمد.

وهذه الرسالة ترجمناها عن مقال نشر في العدد السابع من المجلد الثالث لهذه المجلة للأخ الاستاذ مظهر صديق يدل على سلامة في التفكير وعمق في استشفاف بواطن الأمور وحجة واضحة قوية.. رأينا أن نقدمه الى إخواننا في هذه البلاد هدية من إخوانهم في الشرق... باكستان!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

لجنة المسجد

ربيع الثاني ١٣٧٤

# الحدود في الاسلام

« هل تقصدون أن تباشروا قطع أيدي السارقين حتى في هذا القرن العشرين؟ »... سؤال كثير التردد خلال الحديث عن الدولة الاسلامية. والجواب بالايجاب يثبت أنك متعصب ورجعي!

وبما أن القوانين الاسلامية بقيت غير مطبقة ردحاً وافراً من الزمن، وبما أن جوهر الاسلام ليس الآن مفهوماً فهماً صحيحاً، فليس غريباً على الاطلاق أن تتولد أمثال هذه الشكوك في عقول الكثيرين من ذوي النية السليمة في مجتمعنا الاسلامي.

إن الاقتصار على دراسة العلوم والآداب الغربية والسيادة السياسية والاقتصادية للشعوب الغربية، كل هذه العوامل قد انضمت لتخلق موقف الخضوع لكل غربي والحكم على كل أمر بالمقياس الغربي.

وهكذا فان أي شيء لا يوافق العادات والقيم الغربية بصرف النظر عن جدارته أو عدمها، يقوَّم بأدنى قيمة وأحط اعتبار.

هذا الاتجاه الفكري المغرض الضال، قد قاد « تقدميينا » الى القيام بتهجم جماعي على الاسلام. وهم قد أخذوا ـ لنفس السبب غالباً ـ يعتبرونه ملائماً للاحوال البدائية للمجتمع القبلي فحسب.

وهم يشعرون أن قوانين الاسلام لا تتجاوب إلا مع مزاج القرون الوسطى المظلمة، ولكنها قاسية وبربرية إذا طبقت في عصر التقدم والنور.. القرن العشرين.

وهم لذلك يعتقدون أن الاسلام بدلا من أن يكون نعمة فهو نقمة وعائق في تقدمنا نحو حياة اكثر مدنية.. ويأتون بالعقوبات ( البربرية ) الموضوعة لعقاب السارق والزاني شاهداً صريحاً على هذه الحيلولة.

الخطأ الاساسي :

إن الخطأ الأساسي في ناقدي الاسلام يتجسم في أنهم حينما يعالجون مسألة خاصة متعلقة بالاسلام فهم يركزون اهتمامهم في وجه واحد فحسب مهملين كافة الوجوه الأخرى.

وهم ينسون أن الاسلام كلٌ كامل متماسك لا يمكن أن يقبل مجزءاً! وهم ينسون أيضاً أن الاسلام حينما يبدأ بالحكم كقوة مسيطرة في الحياة الاجتماعية لأي مجتمع، فهو لا يقوم فقط بتطبيق قانون عقوباته.. إن لديه إلى ذلك نظرة عالمية ونظاماً اجتماعياً واقتصادياً خاصاً. وإذن فان الاسلام إذا لجأ إلى القوة فهو لن يستعمل عقوباته « القاسية » دون إحداث تغييرات جوهرية في النظام الاجتماعي الاقتصادي القائم.

الجرائم واسبابها:

لكي نتعرف إلى الطريقة التي يضعها الاسلام لاستئصال الجرائم لا بأس من أن نقف قليلا لنحلل أسبابها الرئيسية.

في رأيي أن الانغماس في الاجرام ومحاربة المجتمع ينبثق من عاملين:

احدهما داخلي بالنسبة للانسان والآخر خارجي بالنسبة اليه. ولتوضيح ذلك باختصار أقول إن الجرائم تنبثق من الميول الخاطئة والنظرة غير الصحيحة للانسان من جهة وللمجتمع الخارجي السقيم من جهة أخرى.

ولأوضح هذه النقطة أبعد من ذلك: إن السبب الأول لارتكاب الانسان الجريمة يتركز في حبه المفرط الزائد للمنافع المادية والمسرات الشهوانية وتناسيه ان الله موجود وأنه سيحاسب أمامه ويثاب على أفعاله الحسنة ويلقى العذاب الخالد على أفعاله السيئة.

فاذا كان الانسان لا يؤمن بالله ولا بالبعث فما الذي يمنعه من أن يحرر نفسه من قيود « الخير في الحياة » ويطمس كل الحدود والقيود؟ لماذا يتقيد بالمبادىء الخلقية إذا كانت ستؤدي إلى ضبط النفس والتضحية والخسارة المادية؟

وفي الحقيقة فبدون الايمان بهذه الاسس الرئيسية في الدين لا يبقى أي حافز قوي يحفظ الانسان ثابتاً على طريق الفضيلة.

وثانياً فإن النظام الاجتماعي الخاطيء يجعل من الصعب على الانسان أن يحافظ على حياة بريئة.

ففي مجتمع كمجتمعنا حيث التفاوت الكبير في الدخل، وحيث لا يحظى غير المالكين بوجبتين مشبعتين في اليوم، من الصعب

للانسان أن يتقيد بالقيم الخلقية . . .

إن شخصاً فارغ المعدة، لا يتمتع ولا بكوخ يواجه به .قساوة الطقس مع اولاده انصاف العراة وزوجه التي تطوف في الشوارع تستجدي الكسرة من الخبز. . . مثل هذا الشخص لا يستطيع إلا بصعوبة أن يضيع فرصة سرقة مائة ليرة مثلاً إذا توفرت له هذه الفرصة.

### كيف يستأصل الاسلام الجرائم :

دعنا بعد هذا التحليل ـ نختبر باختصار الكيفية التي يحاول معها الاسلام أن يقتلع هذه الشرور من جذورها وبالتالي يصلح القوانين الخلقية العامة في المجتمع

وفي هذا الخصوص يجب أن نذكر قبل كل شيء أن الاسلام لا يخوض هذه المعركة بأي سلاح. ولكنه يتطلب من الدولة نشاطاً ايجابياً طبقاً لخطة مرسومة لازاحة جميع الميول السقيمة.

وهذا البرنامج الموضوع يتلخص فيما يلي :

أولا : باحياء الايمان بالله واليوم الآخر في الناس وخلق الحب للخير وكذا استئصال الجذور العميقة للشر من قلوب الناس وعقولهم التي هي في الحقيقة الباعث الاصلي لهم.

ثانياً : بخلق نظام اجتماعي يساعد الانسان على أن يحيا حياة مستقيمة. . نظام تكفل فيه للمرء المؤونة الكافية لسد حاجياته الاساسية، وجو ملائم لتنمية الخير ونبذ الشر.

ثالثاً : بايجابه على الدولة أن تحمي حياة وعرض وخلق مواطنيها

وتنقذهم من العناصر الجانحة الخارجة على النظام الاجتماعي وأن تفرض على المجرمين عقوبات شديدة تكون رادعة للآخرين.

**ليس بالسوط والجلد فقط!**

هذه الملاحظة ـ على اختصارها ـ كافية لتبرهن أن السوط والمدية ليسا السلاحين الوحيدين في يد المجتمع الاسلامي لاستئصال الشرور.

دعنا نضرب السرقة كمثال: فالدولة الاسلامية تسعى أولا لايقاظ ضمائر الناس وهذا بند هام في برنامجها. فالايمان العميق بالله يكبح جماح غرائز المرء حتى حينما يكون وحيداً ويأمن أي عقاب دنيوي. وهكذا فان من واجب الدولة الاسلامية أن تكرس جهودها لترسيخ الايمان بالله واليوم الآخر وهذا هو الضمان الاول في المستوى الخلقي الراقي لمواطنيها.

**ضمان الحاجات الرئيسية:**

ولكن هذا غير كاف لمنع السرقة. فالاسلام أيضاً يطبق نظامه الاقتصادي الذي يضمن توفر الحاجات الرئيسية للانسان أعني الطعام والكساء والمأوى والتعلم لكل المواطنين بصرف النظر عن معتقدهم ولونهم. فالاسلام يجد من واجبه أن يقرر العدالة الاجتماعية قبل أن يطبق العقوبات الموضوعة من قبله.

وهذا هو السبب في أن سيدنا عمر رضي الله عنه أوقف حد قطع ايدي السارقين في زمن المجاعة.

وهذا هو السبب أيضاً في أنه عفا عن بعض الذين اقترفوا السرقة في حالة وضع اسيادهم لهم في حالة مزرية يباح لهم فيها حتى أكل الحرام.

وطبقاً للفقه الاسلامي يباح للشخص أن يستل سيفه ليحصل على حاجاته الضرورية إذا لم تكفل له الدولة هذه الحاجات.

ولكن بعد تأمين الضروريات الرئيسية للحياة فالاسلام لا يرى أية رحمة في غير محلها بالعناصر الخارجية على النظام الاجتماعي لأن الواجب الرئيسي والاول على حكومة مدنية أن تحمي رعاياها ومواطنيها من المجرمين الجامحين.

فالاسلام حينئذ يعاقب بشدة كل من ينغمس في سلب الناس حياتهم وضرورياتهم وفي هذه الاحوال يبتر أيدي اللصوص حتى لا يعودوا قادرين على قطع أيدي ورقاب المواطنين الابرياء المسالمين.

أما هؤلاء الذين ينادون بضرورة استعمال الرأفة فهم ينسون ما يقاسيه المواطنون المسالمون على ايدي هؤلاء المجرمين، الذين لا يردعهم رادع حتى عن ذبح النساء للحصول على حليهن. . فتجاه أيٍّ تحمل الدولة اكبر المسؤوليات: تجاه مواطنيها المسالمين او تجاه هذا العنصر « التقدمي » في المجتمع: اللصوص والسارقين؟

**السجن ليس بالعلاج:**

إن الاسلام يصر على قطع ايدي السارقين لأن هذا هو العلاج الناجع الوحيد لحماية حقوق المواطنين وإرهاب المجرمين. وهو

يصر على هذا الحد لأنه لا يوافق على زيادة عددهم أو على تدريبهم من قبل السارقين الخبراء واللصوص المحترفين خلال حياتهم في لسجن.

وإن عدم فائدة السجون وسواها من الطرق « العصرية » و« المستنيرة » يمكن ان يفهم جيداً اذا ألقينا لمحة خاطفة على السرعة الخطيرة التي تزداد بها الجرائم في اكثر الدول تقدمية في الوقت الحاضر أعني الولايات المتحدة.

فالمستر ادجار هوفر مدير المكتب الاتحادي للابحاث يقول: إن ١٤٧٢٩٠ جريمة كبيرة قد ارتكبت في الولايات المتحدة خلال الاشهر الستة الاولى من عام ١٩٥٢، وانه اذا استمر هذا الاتجاه فأن هذا العام سوف يشهد نشاطاً كبيراً للمجرمين.

إن وقوع ٢٠٣٦٠٠ جناية ( جريمة كبيرة ) خلال عام ١٩٥٢ بأكمله هو نفسه شهادة كافية!!

وإن احصاءات النصف الاول من العام الجاري التي حققها المكتب الاتحادي للأبحاث في « تقريره الرسمي الجنائي » نصف السنوي قد حددت النسب الكبيرة التالية:

كانت ترتكب جناية ( جريمة كبيرة ) كل ١٤,٩ ثانية

كانت ترتكب جريمة قتل عامد أو خاطىء كل ٤,٠٣ دقائق، وحادثة اغتصاب كل ٢٩،٤ دقيقة، وحملة سرقة مركزة كل ٥،٧١ دقائق، وحادثة سطو كل ١،١١ دقيقة، وحادثة اختلاس كل ٢٥,٦ ثانية وسرقة سيارة كل ٢,٣١ دقيقة.

وهكذا فهناك زيادة بنسبة ٢,١٪ في كل جرائم القتل العمد والقتل دون تصميم والاغتصاب وحملات اللصوصية.

وتقول الاحصائيات: « إن ضحايا القتلة في هذه البلاد يبلغ مجموعها ٦,٤٧٠ بينما اكثر من ٥٤,٠٠٠ شخصاً آخرين كانوا عرضة للقتل و ٢٩,٠٠٠ ضحية للصوص الذين يستعملون البنادق وغيرها من الاسلحة أو القوة ». اهـ.

وفي عام ١٩٥٢ قتل ٦٣ رجلا من رجال الأمن أثناء قيامهم بوظائفهم.

وهنا يجب ان نذكر ايضاً أنه بينما يبدو الاسلام « قاسياً » في عقاب المجرمين الذين ثبت اجرامهم فقد وضع كل السبل الممكنة لانقاذ الابرياء من العقاب.

فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: « إدرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله فان الامام لأن يخطىء في العفو خير من ان يخطىء في العقوبة ». [1]

وهذا الحديث الشريف يوضح روح قانون العقوبات الاسلامي.

ولضمان ذلك فالاسلام صارم جداً في قانون الشهادة. وشهادة ما هبَّ ودب غير مقبولة في الحالات التي يكون المتهم فيها معرضاً لعقوبات خطيرة.

---

( ١ ) رواه ابن أبي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي في سننه عن عائشة.

**شاهد حديث:**

إن أثر قانون العقوبات الاسلامي في استئصال السرقة قد برهن عليه في الايام الحاضرة بتطبيقه في المملكة العربية السعودية، على الرغم من ان البرنامج الكلي للاسلام غير مطبق. وقد أعطى عضو من أعضاء الجمعية التأسيسية حج منذ عام أو عامين الانطباعات التالية:

« إن المملكة العربية السعودية قد طبقت هذا القانون منذ ربع قرن بالرغم من أنه لا يمكننا القول انه كانت هناك الاستعدادات الكافية من جهة الحاجيات التي تعرضنا اليها من قبل ( أعني الحاجيات الأساسية للانسان ـ مظهر. ص ). وإن المرء ليستطيع ان يرى حتى في هذه الأيام كيف أن بلاداً كانت مبتلاة بالسارقين واللصوص الى عقود قريبة هي الآن حرة من كل أثر للسرقة. وكل هذا كان بفضل قطع أيدي بضع عشرات من اللصوص الذين ثبتت سرقتهم خلال ربع قرن من الزمان. وقد رأيت بأم عيني أصحاب المخازن الكبيرة والصغيرة بما فيهم المشتغلين بتبديل النقود والجالسين على قارعة الطرق لا يشعرون بأية خشية على نقودهم وأمتعتهم. وإذا احتاجوا الى الغياب ساعة أو اكثر للطعام أو الصلاة أو أي أمر آخر فهم لا يضطرون إلى إغلاق حوانيتهم أو عزل أو تخبئة أغراضهم الثمينة حتى النقود. . . هذه الامور التي يصعب علينا تصورها هي قائمة في البلد الذي كان من العسير على

المرء فيه ـ من عدة عقود فقط ـ ان يسافر من قرية الى أخرى دون خشية من سرقة كل ما معه أو حتى قتله ».

**ليس مخيفاً للجميع :**

هذا العرض السابق يبرهن على أن العقوبات الصارمة التي يفرضها الاسلام أمر لا بد منه اللهم إذا رغب الانسان أن يرى القانون والنظام يخيمان على المجتمع ، والعدالة الاجتماعية تطبق واقعياً في الحياة الانسانية .

وإن ايضاحاً أكثر لهذا البرنامج الشامل سوف يؤكد للخاضعين للقانون أن سوط وعقاب الاسلام لم يوضع لهم .

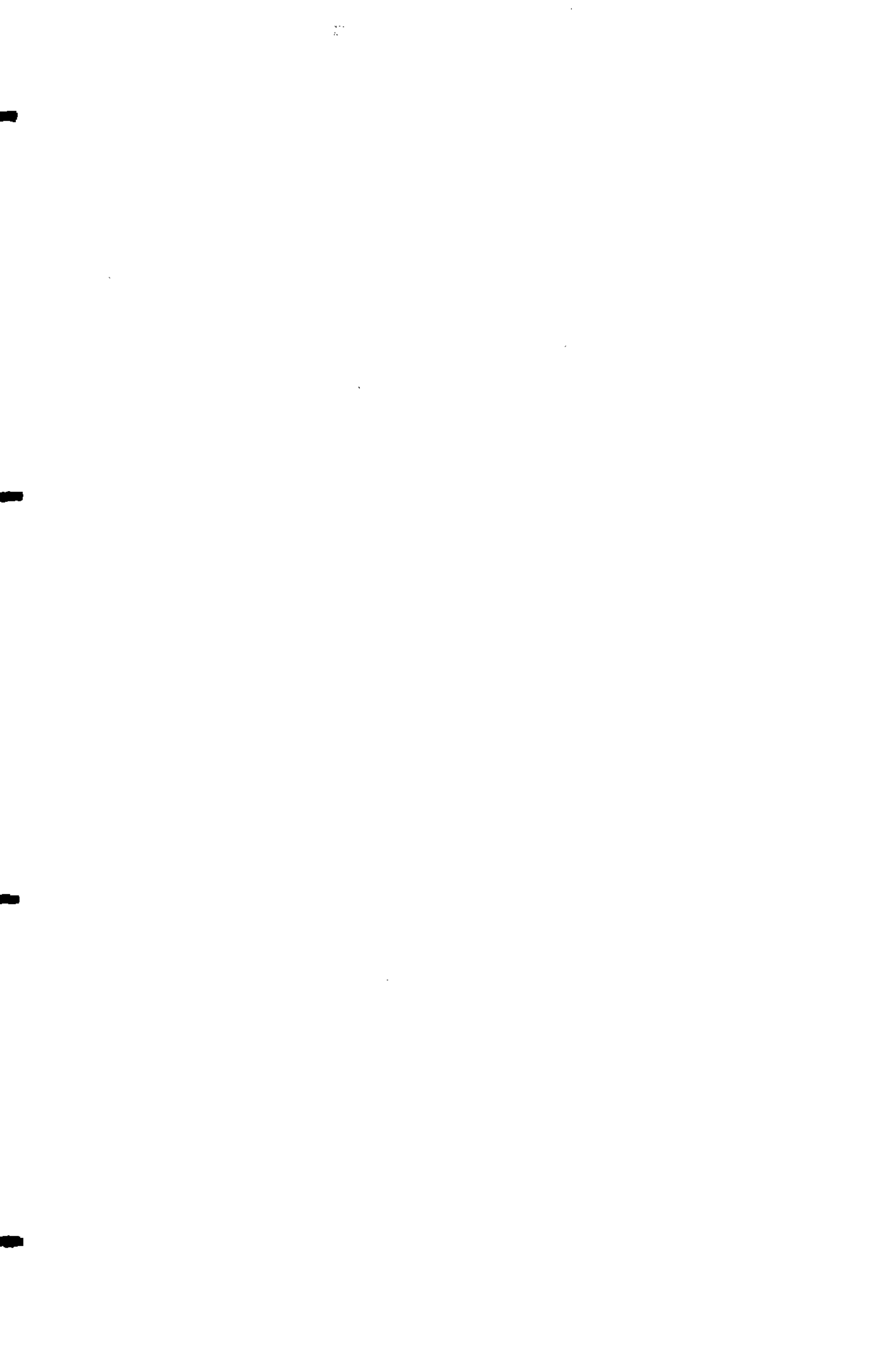
أما بالنسبة للصوص الاستغلاليين والسارقين والعتاة والسفاكين فالاسلام لا يكن لهم أية رحمة . . .

ولهؤلاء أن يرتجفوا حينما يسمعون باسم الاسلام دين القوة .

# السلطات في الدولة الإسلامية

للأستاذ الشهيد عبد القادر عودة

« جمادى الاولى ١٣٧٤ »



# مُقدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدَّلوا تبديلا . . .﴾ [١].

في عهد فاروق أصدر القاضي الشهيد كتابه « الاسلام وأوضاعنا السياسية » الذي نقدم منه هذا الفصل الجليل . . وفي ذلك الكتاب كتب المجاهد الفقيد محدداً المسؤول عما وصل إليه المسلمون :

« إن جماهير المسلمين مسؤولة عما انتهى اليه امر الاسلام . . ولقد طال ما نفرت طوائف من المسلمين فأنذروا قومهم وحاولوا تفقيههم في الدين، ولكن الحكومات الاسلامية أخذت على نفسها أن تحارب هذه الطوائف، وأن تحول بينها وبين ما يوجبه الاسلام إرضاء للاستعمار، وإطاعة للطواغيت، وموالاةً لأعداء الاسلام، ورضيت الجماهير هذا الوضع من الحكومات وما كان لها أن ترضاه فشارك الجمهور الحكومات في خنق الاسلام وهدم الجماعات العاملة للاسلام ».

« يا رؤساء الدول الاسلامية : إن مناصبكم وألقابكم لن

---

(١) الأحزاب : ٢٣.

تغني عنكم من الله شيئا، وإن الله سائلكم وأسلافكم عن الاسلام والمسلمين، سيسألكم عن الاسلام الذي أصبح غريباً في بلادكم مهملا في حكمكم، وسيسألكم عن المسلمين الذين فرقتم وحدتهم وضيعتم قوتهم ومزقتم دولتهم وجعلتموهم أنتم وأسلافكم مثلا على الفرقة المصطنعة، والقوة الضعيفة، والكرامة المهدرة، والاطماع التي تذل الرجال الكرام، وتوطىء ظهور الابطال، وتضع أنوف السادة في الرغام».

«وعلماء الاسلام يحملون وزر ما نحن فيه وإثم ما أصيب به الاسلام.. لأنهم لم يبينوا لجماهير المسلمين حكم الاسلام في الاستعمار والمستعمرين، وحكم الاسلام في الحكومات التي تظاهر الاستعمار وتوالي المستعمرين.. وكلما ضرب الأمر إحدى الحكومات لجأت إلى علماء الاسلام فأسرعوا يردون المسلمين إلى طاعة الحكومات التي تبيح الخمر والزنا والربا والكفر والفسق، وتستبدل بحكم الاسلام أهواء الناس ونزوات الحكام والاحزاب».

وما ظن ذلك الرجل العظيم الذي صاح بهذا الكلام في وجه فاروق الطاغية يوم لم يقف أحد في وجهه إلا تلك الطائفة التي نفرت تجاهد في سبيل الله.. ما ظن أنه سيأتي أناس يدعون أنهم هم وحدهم الذين أزاحوا فاروق.. ويحكمون على من وقف في وجهه وفي وجه الاستعمار.. بالاعدام.. شنقاً.. كما يشنق المجرمون.

ولكن عبد القـادر عودة حينما دعـا واخوانـه إلى الله فقـد كان مستعداً للقاء أي أمر كان، وحينما وقف وإخوانه في وجه الاستعمار والـطغيان فقـد كان يعتقـد أن الله معـــه وأن الله ناصره، وحينما استشهد ورفاقه في سبيل الله فقد ذهبوا راضين مطمئـنين قريري العين لانهم انتقلوا إلى جوار ربهّم وأحيوا من بعدهم امة وأيقظوا نياماً وأرسوا دعائم نهضة إسلامية مباركة.

وارتفـع اساتـذة الجيل الاسلامـي الحـديث من الشهداء إلى السماء.. والملائكة تستقبل كلا منهم بنشيدها الرباني :

﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربـك راضية مرضية.. فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

جمادى الاولى ١٣٧٤

لجنة المسجد

# السلطات في الدولة الإسلامية

تكاد السلطات في الدولة الاسلامية لا تخرج عن خمس هي : السلطة التنفيذية ، والسلطة التشريعية ، والسلطة القضائية ، والسلطة المالية ، وسلطة المراقبة والتقويم .

ويقوم الامام باعتباره نائباً عن الامة في مباشرة هذه السلطات في حدود ما أمر الله به من جعل كل أمور الحكم شورى بين المسلمين ، وفي حدود ما أمر الله به الحاكم من استشارة أهل الرأي في كل أمور الحكم ، وسنتكلم فيما يأتي على هذه السلطات واحدة واحدة .

## أولا : السلطة التنفيذية

يقوم عليها رئيس الدولة وهو الامام ، ويختص بها وحده ، فمن واجبه القيام بكل الأعمال التنفيذية لاقامة الاسلام وادارة شؤون الدولة في حدود الاسلام ، ويدخل في هذا التعبير العام اختصاصات شتى أهمها تعيين الموظفين وعزلهم وتوجيههم ومراقبة أعمالهم ، وقيادة الجيش واعلان الحرب وعقد الصلح والهدنة وإبرام المعاهدات ، و إقامة الحدود وتنفيذ الاحكام ، وولاية الصلاة والحج وحمل الناس على ما يصلح أمورهم ويوجههم وجهة

اسلامية صحيحة بما يسند من لوائح ويصدره من اوامر، والعفو عما يجوز العفو عنه من الجرائم والعقوبات.

والاصل في الاسلام أن الامام هو رئيس الدولة ومصرف أمورها والمسؤول الاول عن أعمالها، ومسؤولية الامام ليست محدودة، وانما هي مسؤولية تامة فهو الذي يضع سياسة الدولة ويشرف على تنفيذها وهو الذي يهيمن على كل أمور الدولة ومصائرها.

وللامام أن يستعين بالوزراء في القيام على شؤون الدولة وتوجيه امورها، ولكنهم مسؤولون أمامه عن أعمالهم وليس لهم سوى تنفيذ سياسته واتباع أوامره، ومركزهم منه مركز النواب عنه يعينهم ويقيلهم، وهم أفراداً وجموعاً يستمدون سلطانهم منه، وينوبون عنه فيما يباشرون من أعمالهم، وكل منهم يعتبر رئيساً ادارياً للوزارة التي يشرف عليها، وآراؤهم وسياستهم لا تقيد رئيس الدولة ما لم يسكت عليهم حتى ينفذوها فيتقيد بما تم تنفيذه منها.

وإذا كان هذا هو الاصل في سلطة الامام وسلطة الوزراء فان التطورات التاريخية قد انتهت بجعل الوزارة على ضربين : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ :

فأما وزارة التفويض فهي أن يستوزر الامام من يفوض إليه تدبير الامور برأيه وإمضاءها على اجتهاده، ووزير التفويض له اختصاص عام إلا أن عليه أن يطالع الامام بما أمضاه من تدبير وانفذه من عمل، لأنه مسؤول عن كل عمله وليس له أن يستبد

بعمله على الامام. وللامام من جهته أن يتصفح أعمال الوزير وتدبيره الامور ليقر منها ما وافق الصواب ويستدرك ما خالفه.

وأما وزارة التنفيذ فالنظر فيها مقصور على رأي الامام وتدبيره، وما الوزير إلا وسيط بينه وبين الرعايا والولاة يؤدي عنه ما أمر وينفذ ما ذكر ويمضي ما حكم ويعرض على الامام ما ورد من الرعايا والولاة وما استجد من أحداث ليعمل فيها بما يؤمر به، فهو معين في تنفيذ الامور وليس بوال عليها ولا متقلد لها.

ويفرقون بين وزارة التفويض ووزارة التنفيذ من أربعة وجوه :

أحدها ـ أنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ.

والثاني ـ أنه يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة والموظفين وليس ذلك لوزير التنفيذ.

والثالث ـ لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحروب وليس ذلك لوزير التنفيذ.

والرابع ـ أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف في أموال بيت المال بقبض ما يستحق له ودفع ما يجب عليه وليس ذلك لوزير التنفيذ.

وسواء كان الوزراء مفوضين أو منفذين فهم مسؤولون أمام رئيس الدولة وله أن يقيلهم كلما خرجوا على أوامره وتوجيهاته أو انحرفوا عن سياسته في إدارة شؤون الدولة. ورئيس الدولة بدوره

مسؤول عن سياسته لأمور الدولة أمام أفراد الامة بصفة عامة وأمام أهل الشورى بصفة خاصة.

**ثانياً : السلطة التشريعية**

الأصل في الشريعة الاسلامية أنها جاءت للناس لتحكمهم في كل حالاتهم، وليحكموها في شؤون دنياهم وآخرتهم، ولكن الشريعة مع هذا لم تأت بنصوص تفصيلية تبين حكم كل الحالات الجزئية والفرعية، وانما اكتفت الشريعة في أغلب الاحوال بايراد الاحكام الكلية والمبادىء العامة فاذا تعرضت لحكم فرعي فنصت عليه فانما تنص عليه لانه يعتبر حكماً كلياً أو مبدأ عاماً بالنسبة لما يدخل تحته من فروع اخرى.

والاحكام الكلية والمبادىء العامة التي نصت عليها الشريعة تعتبر بحق القواعد العامة للتشريع الاسلامي، والهيكل الذي يمثل معالم التشريع الاسلامي والضوابط التي تحكم التشريع الاسلامي.

وقد تركت الشريعة لأولي الأمر والرأي في الامة أن يتموا بناء التشريع على هذه القواعد، وان يستكملوا هذا الهيكل فيبينوا دقائقه وتفاصيله في حدود المبادىء والضوابط التي جاءت بها الشريعة.

والطريقة التي التزمتها الشريعة في التشريع هي الطريقة الوحيدة التي تتلاءم مع شريعة كتب لها الدوام وجعل من صفاتها السمو والكمال، فصفة الدوام تقتضي ألا ينص على حالات مؤقتة

تتغير أحكامها بتغير الظـروف وتـوالي الايام. والسمـو والـكمال يقتضيان النص على المبادىء والنظريات الانسانية والاجتماعية التي تكفـل حياة سعيدة للجماعـة، وتحقـق العـدل والمســاواة والبــر والتراحم بين افرادها.

وإذا كانت الشريعة قد أعطت أولي الامر والرأي في الامة حق التشريع فانها لم تعطهم هذا الحق مطلقاً من كل قيد فحق هؤلاء في التشريع مقيد بأن يكون ما يصنعونـه من التشريعـات متفقـاً مع نصوص الشريعة ومبادئها العامة وروحها التشريعية وتقييد حقهم في التشريع على هذا الوجه يجعل حقهم مقصوراً على نوعين من التشريع :

(١) تشريعـات تنفيذية : يقصـد بهـا ضمان تنفيذ نصــوص الشريعة الاسلامية، والتشريع على هذا الوجه يعتبر بمثابة اللوائح والقرارات التي يصدرها الـوزراء اليوم كل في حدود اختصاصـه لضمان تنفيذ القوانين الوضعية.

(ب) تشريعات تنظيمية : يقصد بها تنظيم الجماعة وحمايتهـا وسـد حاجتهـا على أسـاس مبـادىء الشريعـة العامــة، وهـــذه التشريعات لا تكون الا فيما سكتت عنـه الشريعـة فلـم تأت فيه بنصوص خاصة، ويشترط في هذا النوع من التشريعات أن يكون قبل كل شيء متفقاً مع مبادىء الشريعة العامة وروحها التشريعة، والا كان باطلا بطلاناً مطلقاً فليس لاحد أن ينفذه، وليس لأحد أن يطيعه.

ويمارس الامام وحده السلطة التشريعية فيما يصدر من تشريعات تنفيذية، لانها تعتبر من أعمال التنفيذ الحقيقية وإن كانت في شكلها تشريعاً.

ويمارس الامام بالاشتراك مع أهل الشورى السلطة التشريعية فيما عدا ذلك في حدود الشورى وبقيودها، فاذا ما انتهت بهم الشورى إلى إقرار تشريع ما، استقل الامام بتنفيذه. لأنه هو القائم على سلطة التنفيذ.

**ثالثاً : السلطة القضائية**

مهمة هذه السلطة هي توزيع العدالة بين الناس والحكم في المنازعات والخصومات والجرائم والمظالم، واستيفاء الحقوق ممن مطل بها وإيصالها الى مستحقها، والولاية على فاقدي الاهلية والسفهاء والمفلسين، والنظر في الاوقاف وأموالها وغلاتها إلى غير ذلك مما يعرض على القضاء.

والاسلام يوجب على القضاة أن لا يجعلوا لاحد سلطاناً في قضائهم، وأن لا يتأثروا بغير الحق والعدل، وأن يتجردوا عن الهوى وأن يسووا بين الناس جميعاً. ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ النساء : ٥٨، ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ ص : ٢٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على

انفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ النساء : ١٣٥.

وتاريخ القضاء الاسلامي قاطع في أن القضاة كانوا دائماً مستقلين في عملهم لا سلطان لاحد عليهم الا الله، ولا يخضعون في قضائهم الا لما يقتضي به الحق والعدل.

من ذلك أن ابراهيم بن اسحق قاضي مصر سنة ٢٠٤ هـ اختصم اليه رجلان فقضى على أحدهما فشفع الى الوالي فأمره الوالي أن يتوقف في تنفيذ الحكم فجلس القاضي في منزله حتى ركب اليه الوالي وسأله الرجوع الى عمله، قال لا أعود الى ذلك المجلس أبداً، وليس في الحكم شفاعة.

ووقع بين أم الهدى وبين أبي جعفر المنصور خصومة فتحا كما إلى غوث بن سليمان قاضي مصر فحكم لصالح ام الهدى ضد الخليفة.

وقضى خير بن نعيم على أحد الجنود بالحبس فأخرجه الوالي من الحبس فاعتزل خير بن نعيم وجلس في بيته فلما طلب منه الوالي الرجوع الى عمله قال لا ارجع حتى يعود الجندي الى الحبس.

ولقد قضى شريح على عمر بن الخطاب في خلافته، وقضى ضد علي بن أبي طالب في خلافته، وكلاهما ترافع اليه وهو يعتقد أنه على حق، والامثلة من هذا النوع كثيرة جداً.

والامام هو الذي يولي القضاة بصفته نائباً عن الامة، وله الاشراف عليهم وعزلهم بهذه الصفة، ولا يعتبر القضاة بمجرد

تعيينهم نواباً عن الامام وإنما يعتبرون نواباً عن الامة ولـذلك لا يعزلونُ عن عملهم بموت الامام أو عزلـه كما ان الامـام لا يملك عزلهم لغير سبب يوجب العزل.

وعلى هذا الاساس يعتبر القضاة سلطة مستقلة مصدرها الامة، وإذا كـان الاشراف على هذه السلطة للامـام فانمـا يشرف عليهـا باعتباره نائباً عن الامة.

ويلاحظ أن التقاليد الاسلامية جرت من اول عهد الاسلام على أن يباشر رئيس الدولة القضاء، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي بين الناس وكذلك كان الخلفـاء الراشـدون، وكان المتفقهون من الخلفاء بعدهم يقضـون، ثم انتهى الامـر إلى ترك القضاء للقضـاة المختصـين به، ولعـل ذلك راجـع إلى عدم إلمام الخلفاء بالفقه أو عدم مرانهم على القضاء.

القضاء وشرعية القوانين : ـ ويوجب الاسلام على القضاة ان يتصدوا لشرعية القوانين والنصوص، وان لا يحكموا الا بما انزل الله، وبما هو تطبيق لمبادىء الاسلام العامـة، وذلك قولـه تعالى: ﴿ فاحكم بينهم بمـا انـزل الله ولا تتبـع اهواءهـم عما جاءك من الحق﴾ المائدة : ٤٨ وقوله : ﴿ وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك﴾ المائدة : ٤٩.

ويحرم الاسلام على المسلمين ان يحكموا بغير ما انزل الله ويعتبر

من لم يحكم بما انزل الله كافراً ﴿ ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ المائدة : ٤٤.

وهكذا نزلت نصوص القرآن بوجوب تصدي القضاة لشرعية القوانين التي يطلب اليهم تطبيقها فان كانت شرعية طبقوها والا اهملوها وطبقوا نصوص الشريعة ولا تكون القوانين شرعية الا اذا جاءت متفقة مع نصوص الشريعة أو تطبيقا لمبادئها العامة وروحها التشريعية.

وبذلك سبق الاسلام القوانين الوضعية بحوالي ثلاثة عشر قرناً في تقرير نظرية شرعية القوانين او ما نسميه اليوم في عرفنا القانوني بنظرية دستورية القوانين.

رابعاً : السلطة المالية

ولقد أوجد الاسلام من يوم انشاء الدولة الاسلامية سلطة مستقلة اخرى لم تكن معروفة من قبل ولم يعرفها العالم كله الا في هذا القرن، تلك هي السلطة المالية، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعين عمالا يستقلون بأمر القضاء وعمالاً يستقلون بأمر الادارة، وعمالاً يستقلون بأمر الصدقات يجمعونها من الاغنياء في كل منطقة ليردوها على فقراء المنطقة، فما بقي منها نقل الى بيت المال.

ولما فتح الله على المسلمين اتسع اختصاص القائمين على السلطة المالية فكان يشمل الصدقات والخراج والجزية والفيء والغنيمة وكان المال الذي يجمع من هذه المصادر يوزع طبقا لما جاء

في كتاب الله وعلى ما جرت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان من نصيب افراد معينين وطوائف معينة وزع عليهم، وما كان من حق الجميع ارسل الى بيت المال ليوزع على الجميع وليأخذ كل منه بنصيب حتى لقد فرض عمر في بيت المال فروضاً شهرية لكل رجل ولكل امرأة ولكل كبير وصغير، بل انه فرض لكل طفل يولد بمجرد ولادته، وظلت هذه الفروض قائمة في بيت المال زمناً طويلا.

ولقد كان عمر بن الخطاب يحلف على ايمان ثلاث يقول: « والله ما أحد أحق بهذا المال من احد وما أنا باحق به من احد، ووالله ما من المسلمين احد الا وله في هذا المال نصيب الا عبداً مملوكا، ولكنا على منازلنا من كتاب الله عز وجل وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل وبلاؤه في الاسلام، والرجل وقدمه في الاسلام والرجل وغناؤه في الاسلام، والرجل وحاجته، ووالله لئن بقيت ليأتين الراعي بحبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه ».

واذا كان عمر قد ميز بالسابقة والقدم في الاسلام فميز المهاجرين على الانصار واصحاب بدر على غيرهم وهكذا، إلا أنه رأى اخيرا أن يعدل عن هذا التمييز ويعود إلى ما كان يفعله ابو بكر من التسوية بين الجميع.

وكان ابو بكر وعلي يسويان بين الناس في قسمة المال العام، أما عثمان فكان على ما كان عليه عمر من المفاضلة والتمييز، وكان ابو

بكر يقسم بين الحر والعبد، اما عمر فمنع العبيد اجتهادا لانهم لاملك لهم، على أن الثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى الأمة ولا فرق بين الأمة والعبد.

والتسوية اقرب إلى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله، فقد سأله سعد ابن مالك قال: قلت يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم ايكون سهمه وسهم غيره سواء؟ قال: « ثكلتك امك ابن ام سعد وهل ترزقون وتنتصرون الا بضعفائكم ».

اما اعتبار المال مال الله ليس احد احق به من غيره فهو قوله صلى الله عليه وسلم: « ما اعطيكم ولا امنعكم إنما انا قاسم اضع حيث امرت » وعن الرسول اخذ عمر مقالته وعنه قال علي بن ابي طالب ما اثر عنه: « الا أن مفاتيح مالكم معي الا وانه ليس لي ان آخذ منه درهما دونكم ».

والامام بصفته نائبا عن الامة كلها هو المشرف على القائمين على السلطة المالية يوليهم ويعزلهم ويراقبهم بصفته هذه، ولكنهم يعتبرون نواباً عن الأمة لا عنه بمجرد تعيينهم كما هو شأن القضاة، فما يعزلون بموت الامام ولا يجوز له عزل احدهم الا بسبب يوجبه، ومما يؤثر في هذا الباب ان خازن بيت المال في عهد عثمان اعترض على صرف اموال لم ير جواز صرفها فقال له عثمان إنك خازن فرد عليه بانه خازن بيت مال المسلمين لا خازنه الخاص.

والقائمون على السلطة المالية مستقلون في عملهم ليس لأحد

عليهم سلطان الا ما جاء به القرآن والسنة، فهو رائدهم يتبعونه ويلتزمونه وعلى هذا جرى العمل حتى انحرف الحكام بالاسلام عن طريقه وحرفوا احكامه.

والأموال التي تحصل محدودة النسب معلومة المقادير في الأموال العادية، ويمكن زيادتها في الاحوال الاستثنائية بموافقة اهل الشورى اذا اقتضت ذلك مصلحة عامة، وليس للقائمين على السلطة المالية او للامام وهو المشرف عليهم أن يتصرفوا باي حال في هذه الاموال الا في الوجوه التي حددها الاسلام وليس لهم أن يأخذوا منها لانفسهم اكثر من مرتباتهم التي تحدد لهم في حدود حاجاتهم المختلفة وفي حدود قول الرسول : « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة فان لم يكن له خادم فليكتسب خادماً فان لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً » قال ابو بكر:اخبرت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اتخذ غير ذلك فهو غال او سارق » وفي حدود قول الرسول : « من استخلفناه على عمل فرزقناه رزقا فما اخذ بعد ذلك فهو غلول ».

**خامساً : سلطة المراقبة والتقويم :**

هذه هي سلطة الأمة جمعاء في مراقبة الحكام وتقويمهم وينوب عن الامة في القيام بها أهل الشورى والعلماء والفقهاء.

وهذه السلطة مقررة للأمة من وجهين :

احدهما : ان الأمة يجب عليها مراقبة الحكام وتقويمهم بما

اوجب الله على الامة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمون بالله﴾ . آل عمران : ١١٠ ﴿ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ آل عمران : ١٠٤ .

ولقد بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي الى الفساد فقال : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » واوجب على كل قادر على تغيير المنكر أن يغيره ما استطاع لذلك سبيلا ، وجعل ادنى درجات التغيير عند العاجز ان يكره المنكر بقلبه وان يبغض فاعليه ويمقتهم عليه : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذاك اضعف الايمان ».

وثانيها : ان الامة هي مصدر سلطان الحكام باعتبارهم نوابا عنها ، وبما يلزم الله الحكام من الرجوع الى الامة واستشارتها في كل امور الحكم والتزام ما يراه ممثلوها : ﴿وشاورهم في الامر﴾ آل عمران : ١٥٩ ، ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ الشورى : ٣٨ .

واذا كانت الامة هي مصدر سلطان الحكام، وكان الحكام نوابا عنها فللأمة ان تراقبهم في كل اعمالهم . وان تردهم الى الصواب كلما اخطأوا ، وتقومهم كلما اعوجّوا .

وسلطة الأمة في مراقبة الحكام وتقويمهم ليست محل جدل ،

فالنصوص التي جاءت بها قاطعة في دلالتها وصراحتها، وخلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا اول من عمل بها وطبقها، وما عطل هذه النصوص وانكر سلطان الأمة الا الذين فسقوا عن امر الله واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، ونصبوا من انفسهم جبابرة على هذه الامة يسلبونها حقوقها، وينكرون سلطانها، ويستعلون عليها وما فعلوا ذلك وما جرأهم عليه الا سكوت الامة عن اقامة امر ربها، وتهاونها في الدفاع عن حقوقها والتمسك بسلطانها.

لقد ولي ابو بكر الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اول ما تفوه به هو اعترافه بسلطان الامة عليه، وحقها في تقويم اعوجاجه. خطب اول خطبة له بعد المبايعة فقال فيها: « ايها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم. ان احسنت فاعينوني وإن اسأت فقوموني ».

وولي عمر الحكم فكان يقول في خطبه: « من رأى فيّ اعوجاجاً فليقومه » حتى قال له اعرابي: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا.

وكان عثمان يقول: « ان وجدتم في كتاب الله ان تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد ».

وكان اول ما قاله علي: « إن هنا امركم ليس لأحد فيه حق إلا من امرتم ألا إنه ليس لي أمر دونكم »

بل كان عليه صلحاء الأمة في العصور الاولى فما كانوا يتأخرون في الدفاع عن حقوق الأمة وسلطانها كلما واتتهم الفرصة

كان بين عمر بن الخطاب ورجل كلام في شيء فقال له الرجل: اتق الله يا أمير المؤمنين فقال له رجل من القوم: أتقول لأمير المؤمنين اتق الله؟ فقال عمر: دعه فليقلها لي نعم ما قال. لا خير فيكم اذا لم تقولوها لنا ولا خير فينا اذا لم نقبلها منكم.

وصعد عمر المنبر يوماً وعليه حلة والحلة ثوبان، فقال ايها الناس ألا تسمعون؟ فقال سلمان لا نسمع. فقال عمر ولم يا ابا عبد الله؟ قال انك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حلة، فقال لا تعجل يا أبا عبد الله، ثم نادى عبدالله فلم يجبه احد فقال يا عبد الله بن عمر فقال لبيك يا أمير المؤمنين. قال: نشدتك الله الثوب الذي اتزرت به أهو ثوبك قال اللهم نعم. فقال سلمان: أما الآن فقل نسمع.

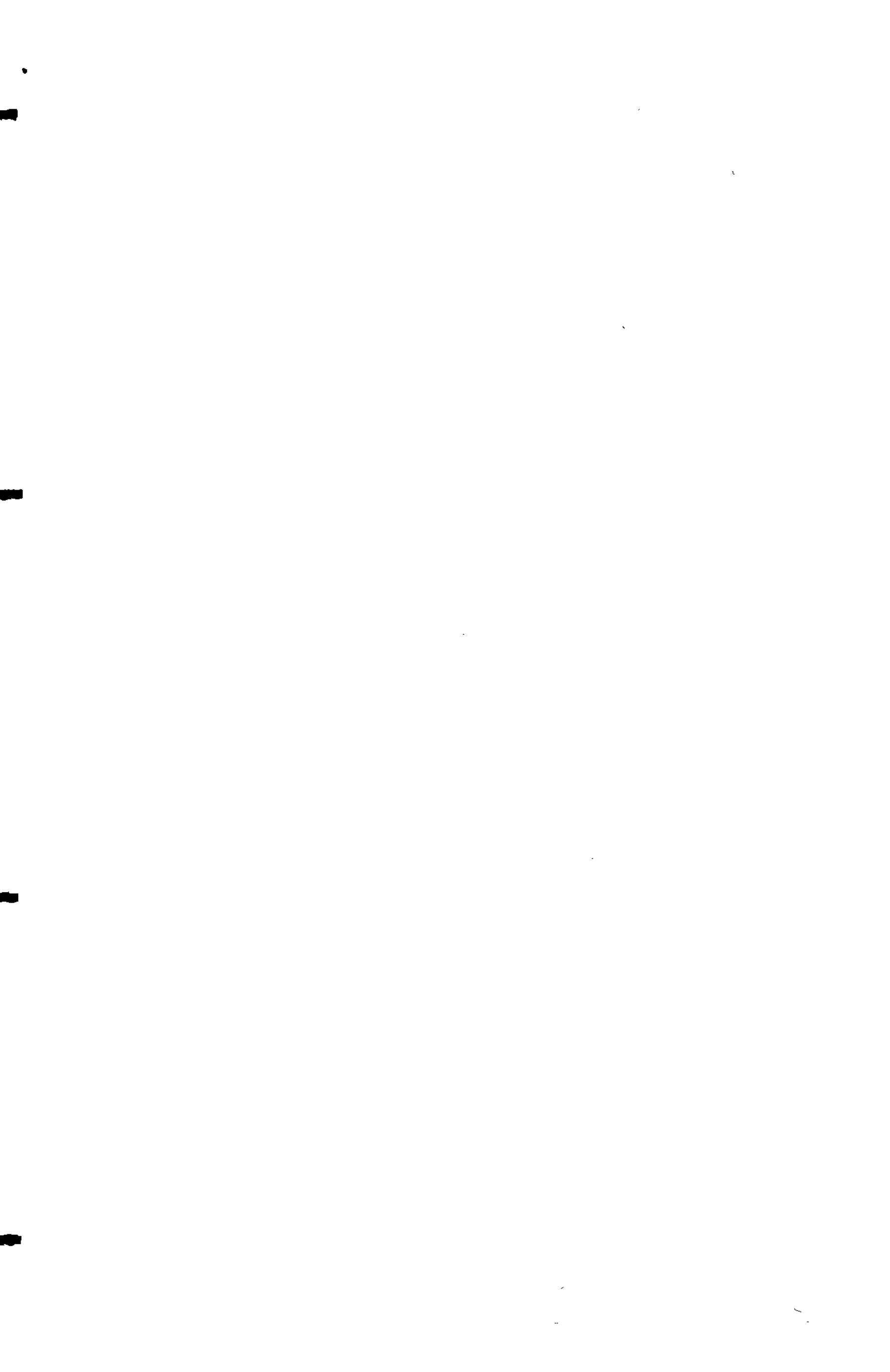
وحبس معاوية العطاء عن الناس ذات مرة فقام اليه ابو مسلم الخولاني فقال له: يامعاوية إنه ليس من كدك ولا كد ابيك ولا كد امك فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال للناس مكانكم وغاب عنهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال: إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول. «الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل» وإني دخلت فاغتسلت. وصدق ابو مسلم إنه ليس من كدي ولا من كد أبي فهلموا إلى عطائكم.

وأدخل سفيان الثوري على أبي جعفر المنصور، فقال له:

ارفع إلينا حاجتك فقال : اتق الله فقد ملأت الارض ظلماً وجوراً. فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك، فقال : انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وابناؤهم يموتون جوعاً فاتق الله واوصل إليهم حقوقهم، فطأطأ رأسه ثم رفع فقال : ارفع إلينا حاجتك، فقال : حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه كم أنفقت؟ قال بضعة عشر درهما، وأرى هاهنا اموالاً لا تطيق الجمال حملها، ثم خرج.

فهؤلاء لم يواجهوا الخلفاء هذه المواجهة إلا بما للأمة من سلطان مراقبة الحكام وتقويم اعوجاجهم، وما قبل منهم الخلفاء هذا التحدي وما استجابو لهم إلا لعلمهم أن للأمة سلطانا، وان عليهم أن يطأطئوا رؤوسهم لهذا السلطان.

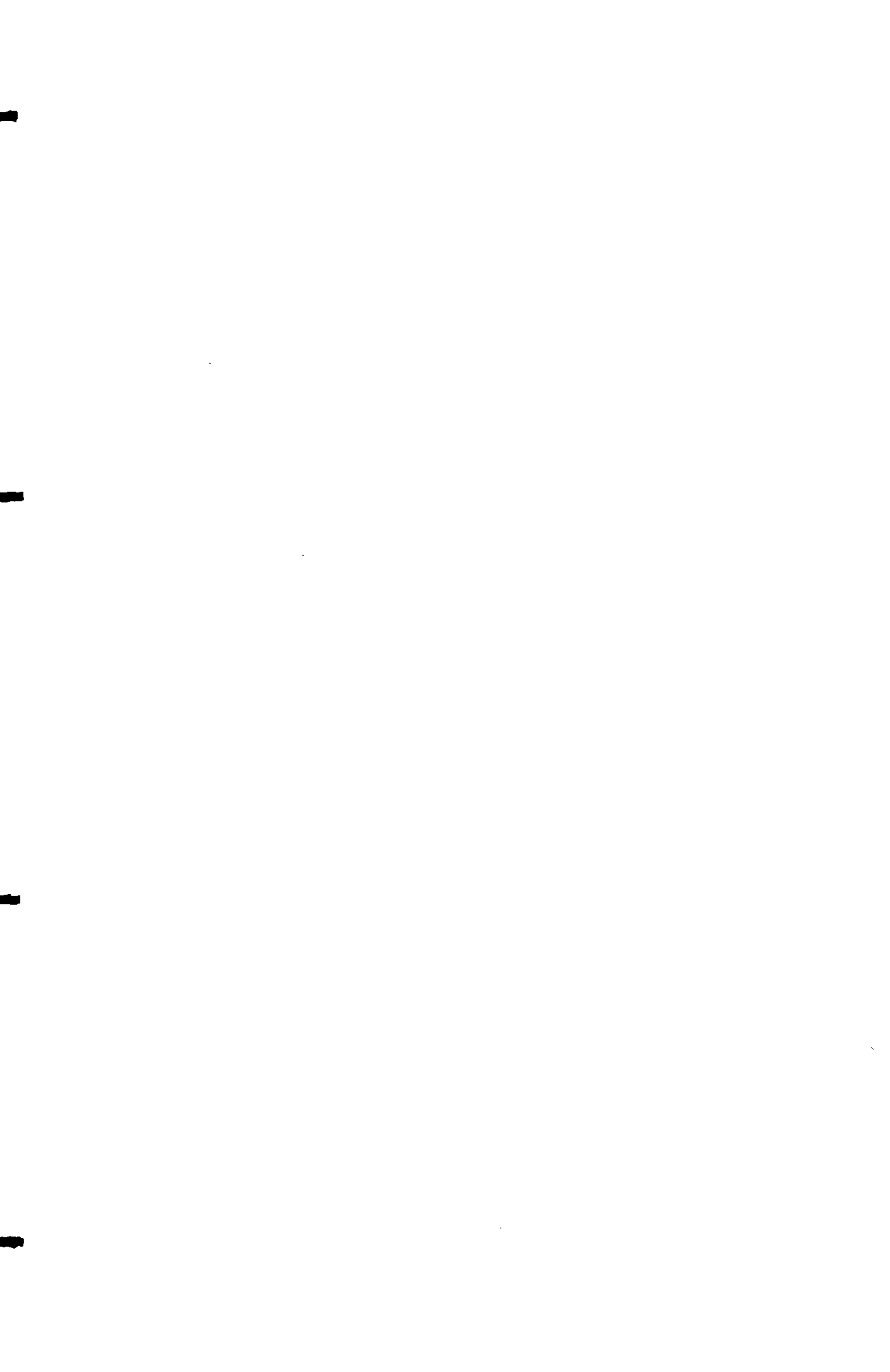
**عبد القادر عودة**





للأستاذ محمد أسد
( ليوبولد ڤايس )

جمادى الآخرة ١٣٧٤



# مُقـدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلنا يشعر بما وقع فيه المسلمون اليوم، وكلنا يقدر عظم التبعة الملقاة على عاتقه للاسهام في توضيح معاني الاسلام وجلاء أحكامه ومسح الران عن قلوب الذين أعماهم انسياقهم في تيار الغربيين.

ولهذه الغاية قام مسجد الجامعة ولهذه الغاية كونت لجنته قسم النشر فيها لتعريف المسلمين بالاسلام برسائل موجزة لبعض الفاهمين الحقيقين للاسلام.

والواقع أن في العالم الاسلامي اليوم نهضة يسهم فيها مجموعة ممن فهموا حضارتنا وفهموا غيرها فاستطاعوا أن يعرضوا للموضوع بروح العالم وان يناقشوا المسألة بتفكير المطلع وأن ينادوا في المسلمين بعد ذلك أن هذا هو الطريق.

على أننا إذا أردنا أن نعرض نماذج من هذه المجموعة فلا بد لنا باديء بدء أن نهرع إلى كتاب العالم الجليل محمد أسد (ليوبولدفايس) الذي يعد في طليعة الكتب التي أسهمت في هذه النهضة، هذا الكتاب الذي ترجمه الدكتور عمر فروخ جزاه الله خيراً : الاسلام على مفترق الطرق.

في هذا الكتاب صراحة نادرة المثال فمؤلفه نمساوي اعتنق الاسلام لأنه آمن بالاسلام كشرع كامل لمختلف نواحي الحياة وهو قد عاش في بلاد المسلمين ردحاً من الزمن اطلع فيه على عيوبهم وقرر أن يصف العلاج لهم فأصدر هذا الكتاب الذي نقتطف منه هذا الفصل الجليل بعد أن عمدنا إلى أصل الكتاب وتصرفنا قليلا في شرح وجيز ترجمته وايضاح مبهمها.

يقول المؤلف في مقدمة كتابه (الذي ترجمه الدكتور فروخ) في صدد كلامه عن تمكنه من المقارنة بين اكثر وجهات النظر الدينية والاجتماعية التي تسود العالم الاسلامي في أيامنا :

« هذه الدراسات والمقارنات خلقت فيّ العقيدة الراسخة بأن الاسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لا يزال بالرغم من جميع العقبات التي خلقها تأخر المسلمين أعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر. وهكذا تجمعت رغباتي كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعثة من جديد.

وهذا الكتاب خطوة متواضعة نحو ذلك الهدف العظيم وليست تبلغ به الدعوى الى أن يكون اجمالا خالصاً للقضايا كلها لا أثر للعاطفة فيه. بلى إنه بسطُ حال كما تتراءى لي، وعرضٌ موجز لحال الاسلام في مجابهة المدنية الغربية. وهذا الكتاب لم يكتب لاولئك الذين ليس الاسلام لهم سوى عون من الأعوان ـ قلت فائدته أو كثرت ـ على ولوج الحياة الاجتماعية.

ولكنه كتب على الأصح لأولئك الذين لا يزال يحيا في قلوبهم

شرارة من ذلك اللهيب الذي كان يضطرم في قلوب صحابة رسول الله . . ذلك اللهيب الذي جعل الاسلام فيما مضى عظيما بنظامه الاجتماعي ورقيه الثقافي .

ويرى الاستاذ أسد ـ في غير هذا الكتاب :

«ان رسالة الاسلام قد صممت وطبقت في الحياة الانسانية مدنية ليس فيها مكان للقومية، ولا الاستغلال، ولا الفروق الطبقية، ولا سلطة رجال الدين ولا الكهانة، ولا الحسب الموروث ـ او بشكل مجمل المناصب الموروثة على الاطلاق ـ وغايته اقرار الحكومة الآلهية لله والديمقراطية بين الإنسان والإنسان . . . »

ولقد اصدر المؤلف بالانكليزية كتابه الجديد « الطريق الى مكة » نجد خلاصته في رسالة بعث بها إلى الأخ الكريم الاستاذ خورشيد أحمد صاحب (صوت الطلبة) الباكستانية :

« إن هذا الكتاب يبحث عن حياتي حتى غاية عام **١٩٣٢** حين غادرت البلاد العربية السعودية إلى الهند، وهو يتحدث عن ابحاثي الأولى في البلاد الاسلامية واهتدائي التدريجي الى الاسلام. وأنا أقوم الآن بتحرير جزء خاص بالسنوات التالية لذلك حتى الآن، سيصدر بعد حوالي عام إن شاء الله » .

ويسرنا أن ننقل إلى اخواننا ما كتبه الاستاذ أسد في نفس الرسالة عن الصورة التي يحملها عن الشباب المسلم .

« بالرغم من أنني متفق معكم تماماً على أن النشء الجديد يحتاج إلى نصح الكهول المجربين وتوجيههم، فانني مؤمن تمام الايمان

اكثر من أي شخص آخر أن مستقبل البلاد يعتمد بكليته على الشباب أمثالكم » .

وبعد فنحن نقدم هذه الرسالة الجليلة الى الذين لم يقرؤوها في (الاسلام على مفترق الطرق) خطوة جديدة نحو هدفنا السامي الأوحد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

جمادى الآخرة ١٣٧٤

لجنة المسجد .

# التقليد

إن تقليد المسلمين ـ سواء أكان فرديا أم جماعياً ـ لطريقة الحياة الغربية لهو بلا ريب أعظم الأخطار التي تستهدف لها الحضارة الاسلامية.

ذلك المرض (ومن الصعب أن نطلق عليه غير هذا الاسم) يرجع الى ما قبل بضعة عقود ويعود إلى قنوط المسلمين الذين رأوا القوة والتقدم الماديين في الغرب، ثم وازنوا بينهما وبين الحالة المؤسفة في بيئتهم المعاصرة.

ولقد كان من جهل المسلمين لتعاليم الاسلام ـ وذلك راجع في الأكثر الى ضيق ناحية التفكير في أولئك الذين نسميهم الفقهاء ـ ان نشأت الفكرة القائلة إن المسلمين لا يستطيعون مسايرة الرقي الذي نراه في سائر انحاء العالم ما لم يتقبلوا القواعد الاجتماعية والاقتصادية التي آمن بها الغرب.

لقد مرت على العالم الاسلامي فترة من الركود فقفز كثيرون من المسلمين إلى استنتاج سطحي خالص يتلخص في أن النظام الاسلامي في الاجتماع والاقتصاد لا يتفق مع مقتضيات التقدم، ولذا يجب أن يحوّر حسب الأسس الغربية.

هؤلاء «المتنورون» لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن مدى

التبعة التي يتحملها اعتبار الاسلام نحلة (مجموعة عبادات فقط) في تأخر المسلمين. ثم انه لم يتح لهم أن يروا موقف الاسلام الحقيقي كما في مصادره الأصلية : القرآن الكريم والسنة النبوية. ولكنهم اكتفوا من ذلك كله بأن رأوا أن تعاليم فقهائهم المعاصرين كانت سداً منيعاً في وجه الرقي والتقدم المادي.

ونتيجة لعدم اطلاعهم على المصادر الاصلية في الاسلام فقد اعتبروا ضمناً أن الشريعة والفقه المتحجر في أيامنا هذه شيء واحد. وقد وجدوا ان الثاني ناقص من عدة وجوه، ففقدوا بالتالي كل اهتمام عملي بالشريعة وأحالوها إلى حقل التاريخ والمعرفة المدفونة في الكتب.

ثم بدا لهم أن تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من ورطة الانحلال الاسلامي فاندفعوا بذلك الاتجاه.

* * *

إن خير المؤلفات الحديثة من ناحية التفكير ـ ومنها الكتاب القيم (إسلاملاشمق » (اعتناق الاسلام) للأمير سعيد حليم باشا ـ والتي تقطع بأن الشريعة الاسلامية ليست حجر عثرة في سبيل التقدم الحديث كما ظن بعضهم أخيراً، قد تأخرت في الظهور فلم تستطع أن تقف التيار الذي طما على الكثيرين من المسلمين باعجاب أعمى بالمدنية الغربية. ثم إن القدرة على الشفاء في هذه المؤلفات قد بطلت بفعل سيل من الكتابات (وضعها اهلها فيما ظنوا للدفاع عن العقائد الاسلامية).. هذه الكتابات وإن لم تنكر

التعاليم العملية للاسلام بصراحة، فانها حاولت أن تُريَ أن الشريعة يمكن أن تخضع بسهولة للآراء الاجتماعية والاقتصادية في المدنية الغربية. فتقليد المسلمين للمدنية الغربية كان على ما يظهر مبرراً عند بعضهم، ولقد كانت الطريق معبدة أمام التخلي تدريجاً عن أبسط مبادىء الاسلام الاجتماعية - ولكن دائماً تحت ستار « التقدم » الاسلامي - مما يَسِمُ اليوم عدداً من أرقى الدول الاسلامية.

وليس ثمة من فائدة في أن نجادل - كما يفعل بعض « المتنورين » من المسلمين - ونزعم اننا لن نتعرض لعواقب روحية ما، فيما لو عشنا حسب هذا السبيل أو حسب ذلك، أو فيما لو لبسنا ثياباً اوروبية أو آسيوية، أو فيما لو كنا محافظين في عاداتنا أو غير محافظين.

ليس في الاسلام قِصر نظر. ذلك مما لا شك فيه! بل إن الاسلام قد منَّ على الانسان بمجال واسع، من وجوه الامكان، ما دام لا يفعل ما يناقض الأوامر الدينية. ثم انه بصرف النظر عن أن كثيراً من الأشياء التي هي في جوهرها جزء من الكيان الاجتماعي الغربي - كالحرية في المباشرة الجنسية مثلا أو الربا الذي يعتبر أساساً للجهود الاقتصادية - تتنافى مع تعاليم الاسلام منافاة لا تحتمل الاخذ والرد، فان الميزة الاساسية للمدنية الغربية انها تمنع التوجيه الديني في الانسان منعاً باتاً. وأن السطحيين من الناس فقط

ليستطيعون أن يعتقدوا أنه من الممكن تقليد مدنية ما في مظاهرها الخارجية من غير أن يتأثروا في الوقت نفسه بروحها.

إن المدنية ليست شكلا أجوف فقط ولكنها نشاط حي، وفي اللحظة التي نبدأ فيها بتقبل شكلها، تأخذ مجاريها الأساسية ومؤثراتها الفعالة تعمل فينا، ثم تخلع على اتجاهنا العقلي كله شكلا معيناً ولكن ببطء ومن غير أن تلحظ ذلك.

ولقد قدر الرسول هذا الاختيار حينما قال: « من تشبَّه بقوم فهو منهم ». وهذا الحديث المشهور ليس ايماءة أدبية فحسب بل هو تعبير ايجابي يدل على أن لا مفر من أن يصطبغ المسلمون بالمدنية التي يقلدونها.

ومن هذه الناحية قد يستحيل ان نرى الفرق الاساسي بين « المهم » وبين « غير المهم » في نواحي الحياة الاجتماعية. وليس ثمة خطأ اكبر من أن نفترض أن اللباس مثلا شيء خارجي بحت وأن لا خوف منه على « حياة الانسان » العقلية والروحية.. إنه على وجه العموم نتيجة تطور طويل الامد لذوق شعب ما في ناحية معينة، وزي هذا اللباس يتفق مع الادراك البديعي لذلك الشعب ومع ميوله. لقد تشكل هذا الزي ثم ما فتىء يبدل أشكاله باستمرار حسب التبدل الذي طرأ على خصائص ذلك الشعب وميوله.

فالزي الاوروبي اليوم مثلا يتفق تماماً مع الخصائص العقلية في اوروبة، وبلبس الثياب الاوروبية يوفق المسلم من غير شعور

ظاهر بين ذوقه والذوق الاوروبـي ثم يشـوه « حياتـه » العقلية بشـكل يتفـق نهـائيا مع اللبـاس الجـديد. وبعملـه هذا يكون « المسلم » قد تخلى عن الامكانيات الثقافية لقومه وتخلى عن ذوقهم التقليدي وتقبّل لباس العبودية العقلية الـذي خلعتـه عليه المدنية الاجنبية.

اذا حاكى المسلم اوروبة في لباسها وعاداتها واسلوب حياتهـا فانه يتكشف عن انه يؤثر المدنية الاوروبية، مهما كانت دعواه التي يعلنهـا. وإنـه لمن المسـتحيل عملياً أن تقلـد مدنية أجنبية في مقاصدها العقلية والبديعية من غير اعجاب بروحهـا، وإنـه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه الديني وتبقـى مع ذلك مسلماً صحيحاً.

إن الميل الى تقليد التمدين الاجنبي نتيجة الشعور بالنقص.

هذا ولا شيء سواه ما يصاب به المسلمون الذين يقلدون المدنية الغربية.. إنهم يفاضلون بـين قوتهـا ومقدرتهـا الفنية ومظهرهـا البراق، وبين البؤس المحزن الذي ألـمَّ بالعالـم الاسلامـي، ثم يأخذون بالاعتقـاد بأنـه ليس في أيامنـا هذه من سبيل إلا سبيل الغرب، وإنك لترى لومنا الاسلام على تقصيرنا نحن زيا شائعـاً بيننا اليوم. وأما في أفضل الاحوال فان أولئك الذين نعنيهم عقلاء من بيننا يتخذون موقفـاً اعتـذارياً ويحاولون أن يقنعـوا انفسهـم ويقنعوا الآخرين بأن الاسلام يمكنه بسهولة أن يتشرب روح المدنية الغربية.

وكيما يستطيع المسلم إحياء الاسلام يجب أن يعيش عالي الرأس. يجب عليه أن يتحقق أنه متميز وأنه مختلف عن سائر الناس وأن يكون عظيم الفخر بذلك. ويجب عليه أن يكدَّ ليحتفظ بهذا الفارق على أنه صفة غالبة، وأن يعلن هذا الفارق على الناس بشجاعة بدلا من أن يعتذر عنه بينما هو يحاول أن يذوب في مناطق ثقافية أخر.

على أن هذا لا يعني ان المسلمين يجب أن يصموا آذانهم عن كل صوت يأتي من الخارج، فان أحدنا يستطيع دائماً أن يتقبل مؤثرات ايجابية جديدة من مدنية اجنبية ما من غير أن يهدم مدنيته ضرورةً. والنهضة الاوروبية أحسن مثل في هذا الباب. . فلقد رأينا كيف أن اوروبة تقبلت المؤثرات الاسلامية فيما يتعلق بالعلم وأساليبه عن طيب خاطر، ولكنها لم تقبل المظهر الخارجي ولا روح الثقافة الاسلامية قط، ولم تضحّ استقلالها العقلي أو البديعي على الاطلاق. لقد اتخذت اوروبة من المؤثرات الاسلامية سماداً لتربتها كما فعل المسلمون حينما استغلوا المؤثرات الهيلانية في أيامهم. ولقد كانت النتيجة في كلتا الحالتين نمواً جديداً عظيما للمدنية الأصلية، مملوءاً بالثقة بالنفس وبالاعجاب. وما من مدنية تستطيع أن تزدهر أو أن تظل على قيد الوجود بعد أن تخسر اعجابها بنفسها وصلتها بماضيها.

ولكن العالم الاسلامي، وبه ميل متزايد الى محاكاة اوروبة وإلى اقتباس الآراء والمثل العليا الغربية، يقطع بالتدريج تلك

الصلات التي تربطه بماضيه. وهو من أجل ذلك لا يفقد شيئاً من مركزه الثقافي فحسب، بل من مركزه الروحي ايضاً. . إنه يشبه الشجرة التي كانت قوية حينما كانت بعيدة الجذور في الأرض ولكن ميول المدنية الغربية أزالت التراب عن جذورها فأخذت تنحل ببطء لفقد الغذاء فسقطت أوراقها وذبلت غصونها. ولكن عند أسفل جذعها يبرز الخطر الذي يهددها بالسقوط الى الأرض.

* * *

فالمدنية الغربية إذن لا يمكن أن تكون الوسيلة الصحيحة لايقاظ العالم الاسلامي من سباته العقلي والاجتماعي. . ذلك السبات الذي أدى إلى انحلال مظاهر الدين حتى اصبح عادة مجردة لا حياة لها ولا باعثاً أخلاقياً فيها. فاين يجب على المسلمين إذن أن يبحثوا عن الباعث الروحي والعقلي الذي هم اليوم في أشد الحاجة اليه؟

إن الجواب على ذلك سهل سهولة السؤال عنه، بل إنه متضمن في السؤال نفسه. .

إن الاسلام ليس اعتقاداً بالقلب فقط، ولكنه فوق ذلك منهاج ظاهر الحدود تمام الظهور للحياة الفردية والاجتماعية. ويمكن أن يهدّم الاسلام باتخاذ المسلمين ثقافة أجنبية تختلف عنه اختلافا جوهرياً في أسسها الاخلاقية كما يمكن أن ينتعش حالما يرجع به إلى حقيقته الخاصة، وتنسب اليه قيمة هي العنصر الوحيد الذي يقرر ثم يؤلف كياننا الفردي والاجتماعي في جميع نواحيه.

* * *

وفي هذا العالم المملوء بالآراء الجـديدة المتصادمـة والتيارات الثقافية المتعارضة لا يستطيع الاسلام أن يظل شكلا أجوف! لقد انقضى نومه السحري الذي دام أجيالا فاما أن ينهض أو أن يموت!

إن المشكلة التي تواجه المسلمين اليوم هي مشكلة مسافر وصل الى مفترق طرق : إنه يستطيع أن يظل واقفاً مكانه. ولكن هذا يعني أنه سيموت جوعاً، وهو يستطيع أن يختار الطريق التي تحمل فوقها هذا العنوان : « نحو المدنية الغربية »، ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه الى الأبد، أو انه يستطيع أن يختار الطـريق التـي كتب عليها : « الى حقيقة الاسلام ».. وهذه الطـريق وحدهـا هي التي تستميل أولئك الذين يؤمنـون بماضيهـم وباستطاعتهـم التطور نحن مستقبل حي.

محمد اسد

# استقبال رمضان

للأستاذ

عز الدين ابراهيم

« رمضان ١٣٧٤ »



# مُقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستاذ عز الدين ممن يجددون في عرض الاسلام، وهو إذ ينطلق بفكرته من النطاق الجامد الذي قدر للفكر الاسلامي أن يحيا فيه ردحاً من الزمن، إنما يعبر عن واقع الاسلام كدين مثالي ونظام كامل، ولذا فلا يشعر بحاجة إلى أن يشتطفي هذا الانطلاق، كأكثر من نبصر اليوم.

والواقع أن الذي يفهم الاسلام الفهم العميق المستقيم. لا يحتاج إلى ادنى « لف أو دوران »، ولا يلجأ الى تأويل حكمة التشريع تأويلا يماشي اعتقاد الجماهير ذلك لأن الاسلام هو المقياس، وهو الذي ينبغي أن تكيف عقلية الجماهير وفقاً له، وهو الذي ـ إن افلحنا في عرضه على طبيعته وكما عرضه الرسول الكريم وأصحابه ـ نستطيع بقدرة عجيبة أن نجتذب اليه الجميع!

إن الرسول عليه الصلاة والسلام ـ كما يقول استاذنا الطنطاوي ـ (وقف على منبر بسيط. . على ثلاث درجات من خشب. . ونادى فلبت نداءه الدنيا بأسرها، واليوم في العالم الاسلامي آلاف المنابر المزخرفة ينادي من على ذراها آلاف الخطباء فلا يستجيب لهم

أحداً) . . إن روح الناس لم تتغير فهم ما زالوا كما كانوا أسرع من يلبي نداء الفطرة السليمة ، ولكن المنادين قد تغيروا، فخرجوا من البساطة إلى التعقيد، وانقلبوا من اليسر الى التكلف، وتركوا العمل الى كلام، فكانت هذه النكسة التي نعانيها اليوم.

وها نحن نتقدم بحلقة جديدة في سبيل الفهم الصحيح، وهي كما قلنا في رسائلنا السابقة إحدى المحاولات في هذا السبيل، فان وُفقنا الى ذلك فحسبنا أن تكون رسائلنا هذه نموذجاً بسيطاً لما ينبغي أن تكون . .

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

لجنة المسجد

غرة رمضان ١٣٧٤

# استقبال رمضان

تعوَّد الناس ألا يتكلموا عن رمضان، او يتذاكروا في فضائله، إلا حينما يوافيهم رمضان نفسه، فاذا ما جاء رمضان، وباشروا صيام ايامه فعلا، وجدتهم يختلفون الى حلق العلم ليستمعوا الى الوعاظ وهم يذكرونهم بأفضال رمضان، وبركاته، وميادين الطاعة فيه. أما قبل ذلك، ففي الغالب لا.

وهذا الذي تعوَّده الناس من الغفلة عن التفكير في رمضان الا حينما يفجؤهم رمضان بمقدمه، لا يعيق على حسن الاستقبال لهذا الشهر الكريم، والتعرض لنفحاته وبركاته من جهة، كما انه مخالف لما كان عليه النبيﷺ في مثل هذا الظرف من جهة اخرى.

فالمعروف أن الانسان لا يحسن عمل شيء إلا اذا تهيأ له نفسياً، واقتنع بضرورة عمله، واستثير فيه الشوق الى الاضطلاع به، ونكاد نلمح ذلك في استعداد الرسولﷺ لاستقبال شهر رمضان حيث يقول أنس رضي الله عنه: « كان رسول الله ﷺ إذ دخل شهر رجب، قال: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا اللهم رمضان » فالرسول. إذ يسأل ربه أن يبلغه رمضان، يلفت الانظار الى ما كان في نفسه من الشوق الشديد الى لقائه، حتى انه ليتفكر فيه قبل مولد هلاله بشهرين كاملين.

* * *

ونحن الآن، على ابواب رمضان، يوشك أن يصل الينا هلاله، وتفتح أمامنا مجالات العمل الصالح فيه. ولا بد لنا لكي نحسن الاستقبال، من أن نتهيأ تهيوءاً كاملا لذلك. فنفيق من الغفلة، وننتفض نشاطاً بعد الخمول الطويل. وامامنا بعد ذلك ثلاثة انواع من التهيوء : تهيوء يتعلق بالادراك، وتهيوء يتعلق بالعاطفة، وتهيوء يتعلق بالارادة.

ولا بد لنا أن نروض انفسنا على هذه الانواع الثلاثة من التهيوء، لأن الاكتفاء بواحد منها لا يحقق المطلوب من حسن التهيوء والاستقبال، ولأنها تتساند معنا في النفس الانسانية فيفضي بعضها الى البعض الآخر؛ فالادراك يثير العاطفة، والعاطفة تدفع الأرادة. ثم إن في توفر الارادة ما يزيد الإدراك وضوحاً وعمقاً والعاطفة انفعالا وحدة..

* * *

إن التهيوء الادراكي لاستقبال رمضان يكون باتضاح مفهوم هذا الشهر الكريم في العقل. والملحوظ أن هناك خطأ شائعاً في تصور هذا المفهوم. فالناس يتحدثون عن رمضان كما يتحدثون عن فريضة الصيام وكأن رمضان، والصيام لفظان مترادفان يفيد احدهما معنى الآخر بلا زيادة أو نقصان. حقيقة ان التداخل بين شهر رمضان، وفريضة الصيام أمر قائم، ولكن الخلط الكامل بينهما يجعلنا نغفل عن كثير من الخير الذي يرشدنا اليه الفصْل : فينبغي أن نفهم (الصيام) كعبادة من عبادات الاسلام على حده،

وان نفهم (رمضان) كشهر مبارك من اشهر العام القمري على حده، ولا بأس بعد ذلك من الجمع وإحداث التداخل.

فالصيام عبادة اسلامية، يشير الفقهاء الى فروع اربعة لها : فهناك صيام الكفارات، وصيام النذور، وصيام النوافل. وهناك الى جانب ذلك الصيام المفروض أياماً معدودات هي شهر رمضان. فليس صيام رمضان الا جزءاً من عبادة الصيام. ومن يراجع مواضع ورود مادة (الصيام) في القرآن يجد انها وردت في ثلاثة عشر موضعاً لا يخص صيام رمضان منها إلا أربعة مواضع، والمواضع الأخرى يشار فيها الى الصيام بالتعميم تارة. وبالتخصيص لفروع اخرى من الصيام تارة ثانية.

ورمضان شهر مبارك نلمح فيه خمس خصال : فهو شهر الفرقان إنزالاً ومدارسة، قال تعالى :﴿ شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾[1] وقال ابن عباس « وكان يلقاه جبريل في كل ليلة رمضان فيدارسه القرآن » وهو شهر الاعتكاف، قال ابن عمر « كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان »، وهو شهر الجود، قال ابن عباس « كان رسول الله ﷺ اجود الناس، وكان اجود ما يكون في رمضان »، وهو شهر القيام، فعن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « من قام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وهو

---

(١) البقرة : ١٨٥.

الى جانب ذلك شهر الصيام المفروض لقوله تعالى ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ فليس الصيام المفروض الا جانباً من جوانب رمضان.

فاذا ادركنا أن الصيام عبادة اسلامية لها فقهها وفلسفتها الكاملة، وان الصيام المفروض ليس الا فرعاً هاماً من فروع هذه العبادة، واذا ادركنا ان شهر رمضان شهر مبارك يشتمل على خصال كثيرة من الخير، منها فريضة رمضان ـ امكننا بعد ذلك ان نجمع بين الصيام ورمضان، ونحن آمنون ان الخلْط لن يصرفنا عن جوانب الخير التي ابان عنها الفصل. وبذلك ايضاً يكون مفهومنا عن رمضان انضج وادق.

ومن التهيوء الادراكي لشهر رمضان ان نستعرض ما ورد في افضاله وثواب صيامه. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وان تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [1] ومن ذلك قوله ﷺ: «من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وقوله: «اول شهر رمضان رحمة، ووسطه مغفرة، وآخره عتق من النار » وقوله: «إذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفَّدت الشياطين» وقوله: « ان للجنة باباً يقال له الريَّان، يقال يوم القيامة : اين الصائمون؟ فاذا دخل آخرهم اغلق ذلك الباب » وقوله: «اعطيت امتي في شهر رمضان خمساً، لم يعطهن نبي قبلي: أما واحدة، فانه اذا كانت اول ليلة من شهر رمضان نظر الله

(١) البقرة : ١٨٤.

اليهم، ومن نظر الله اليه لم يعذبه ابداً، واما الثانية فان خَلُوف افواههم حين يمسون اطيب عند الله من ريح المسك، واما الثالثة فان الملائكة يستغفرون كل يوم وليلة، واما الرابعة فان الله عز وجل يقول: لجنته يا جنتي استعدي وتزيني لعبادي اوشك ان يستريحوا من تعب الدنيا الى داري وكرامتي، وأما الخامسة فانه اذا كانت آخر ليلة من شهر رمضان غفر الله لهم جميعاً، قال رجل من القوم : أهي ليلة القدر يا رسول الله؟ قال : لا ولكن الا ترى الى العمال يعملون، فاذا فرغوا من اعمالهم وفوا اجورهم ».

* * *

الى جانب التهيوء الادراكي، لا بد من التهيوء العاطفي، ولكي نستبين قيمة العاطفة فيما نحن بصدده يستحسن ان نطرح سؤالاً هاماً ثم نجيب عنه. هذا السؤال هو: هل يغير الادراك السلوك؟ لقد اجاب علماء النفس والتربية المحدثون عن هذا السؤال بما اجروه من تجارب كشفوا بها عن مدى العلاقة والارتباط بين الادراك والسلوك، واثبتوا ان الادراك العقلي عامل من عوامل التأثير في السلوك، ولكنه ليس أهم العوامل ولا اقواها. ومن الامثلة التي يضربونها بلا ايضاح مثال الطالب الاميركي الابيض الذي حدثه اساتذته عن مشابهته التامة للطالب الزنجي من النواحي البيولوجية والفسيولوجية والسيكلوجية وعززوا كلامهم بالاحصاءات الدقيقة عن تحليل الدم للطالبين الأبيض والزنجي،

واضافوا الى ذلك ما اضافوا من المعلومات التي تغير ادراك الطالب الأبيض لحقيقة زميله الزنجي ولكنهم وجدوا بعد ذلك ان النفور ظل قائماً بينهما، بما يدل على أن تغيير ادراك الطالب الأبيض لم يؤثر في سلوكه تجاه الطالب الزنجي.

فلكي ينتج الادراك سلوكاً لا بد من تعزيزه بأمور منها الانفعال العاطفي. فمهما يحصل المسلم من معلومات عن شهر رمضان، ومهما يبلغ تهيوءه الادراكي له - فان سلوكه ازاء رمضان لن يتأثر ما لم تمس هذه المعلومات المدركة جانب الوجدان فيه. ففرق كبير بين أن « نقدر » رمضان وبين أن « نحبه »، وفرق كذلك بين أن « نتوقع » مقدمه، وبين ان « نحنَّ » الى لقائه.

وفي حديث أنس الذي يشير فيه الى حنين النبي ﷺ الى لقاء رمضان قبل أن يولد هلاله بشهرين ما يدل على أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان شديد الشوق الى ذلك اللقاء. فانفعل الوجدان به ويظل الرسول على هذه الحال الفريدة من التهيوء العاطفي، حتى يأتي رمضان ويتراءى هلاله في الافق. فيبلغ الانفعال الوجداني ذروته، ويحيى الرسول المقدم الكريم لرمضان بالدعاء المأثور: «اللهم اهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله هلال رشد وخير ».

لا بد إذن من تهيوء عاطفي للقاء هذا الشهر الكريم. ومن ذا الذي لا يتأثر وجدانه، ولا تستثار مشاعره للقاء شهر تغفر فيه الزلات، وتضاعف الحسنات. فأيما رجل اثقلت الذنوب كاهله

ففي رمضان توبتـه، وايمـا غافـل صدئـت نفسـه ففـي رمضـان جلاؤها. وأيما طائع وفقه الله فسبق بالخيرات ففي رمضان قربانه. فليس هناك انسان ـ مهما تكن حالـه ـ إلا وبينـه وبـين رمضـان ارتباط، إن تنبه اليه هفت روحه، وتزايد شوقه.

* * *

فاذا نضج الادراك، وانفعل الوجدان، فلا بد بعـد ذلك من تصميم ترتبط به الارادة « ونية تنعقد عليها العزيمة. ومعنى هذا ان من تمام التهيوء لاستقبال شهر رمضان ان يرتب المسلم احوالـه، وينظم شؤونه، ويضع لنفسه البرنامج الذي يعينه على الطاعـة، والخطة التي تقدره على عمل الخيرات. أما ان يظـل التهيوء مجـرد خواطر في العقـل، وعـواطف في النفس، فذلك ما لا يؤدي الى نتيجة مجدية.

فمما ينتويه المؤمن في رمضان ان يصوم صيام العارفين، لا صيام الغافلين، فلا يكتفي بتجنب المفطـرات غـير الواضحـة كالأكل، ولكنه يتجنب غيرها من المفطرات الخفية: كالسب والصخب وقول الزور. ومما ينتويه ايضا أن يحرص على قيام المخبتين الذين يخرون للأذقان يبكون من الخشية، وعلى تسبيح المتبتلين الذين يرطبون السنتهم بالذكر، وعلى جود المحسنين لا تعلم شمائلهم ما تنفـق الأيامن.

ان النوايا الصالحة تظل امانيها ما لم تتجاوز منطقة القصور في الانسان الى الارادة المنفذة، حسب تنظيم موضوع. ولذلك، فلا

بد ـ قبل مجيء رمضان ـ من أن يراجع كل فرد ارتباطاته ومهامه، والاعباء التي يضطلع بها وان ينسّق هذه الأمور تنسيقاً عملياً يمكنه من الاستفادة من الشهر. فان لم يفعل ذلك فان الشهر يفجوءه بايامه فيجد نفسه مثقلا بالمواعيد والأعباء التي تعجزه عن تحقيق ما فكر فيه واشتاق اليه من الطاعة.

* * *

وبعد ، فان رحمة الله ـ برمضان ـ قريب من المحسنين، فهل لنا أن نتهيأ بالفكر، والنفس، والارادة، تهيوءاً يليق بجلال هذه المناسبة، فنوفق بذلك الى الخير والبر والرشاد. نرجو ذلك ، ونسأل الله أن يعيده..

* * *

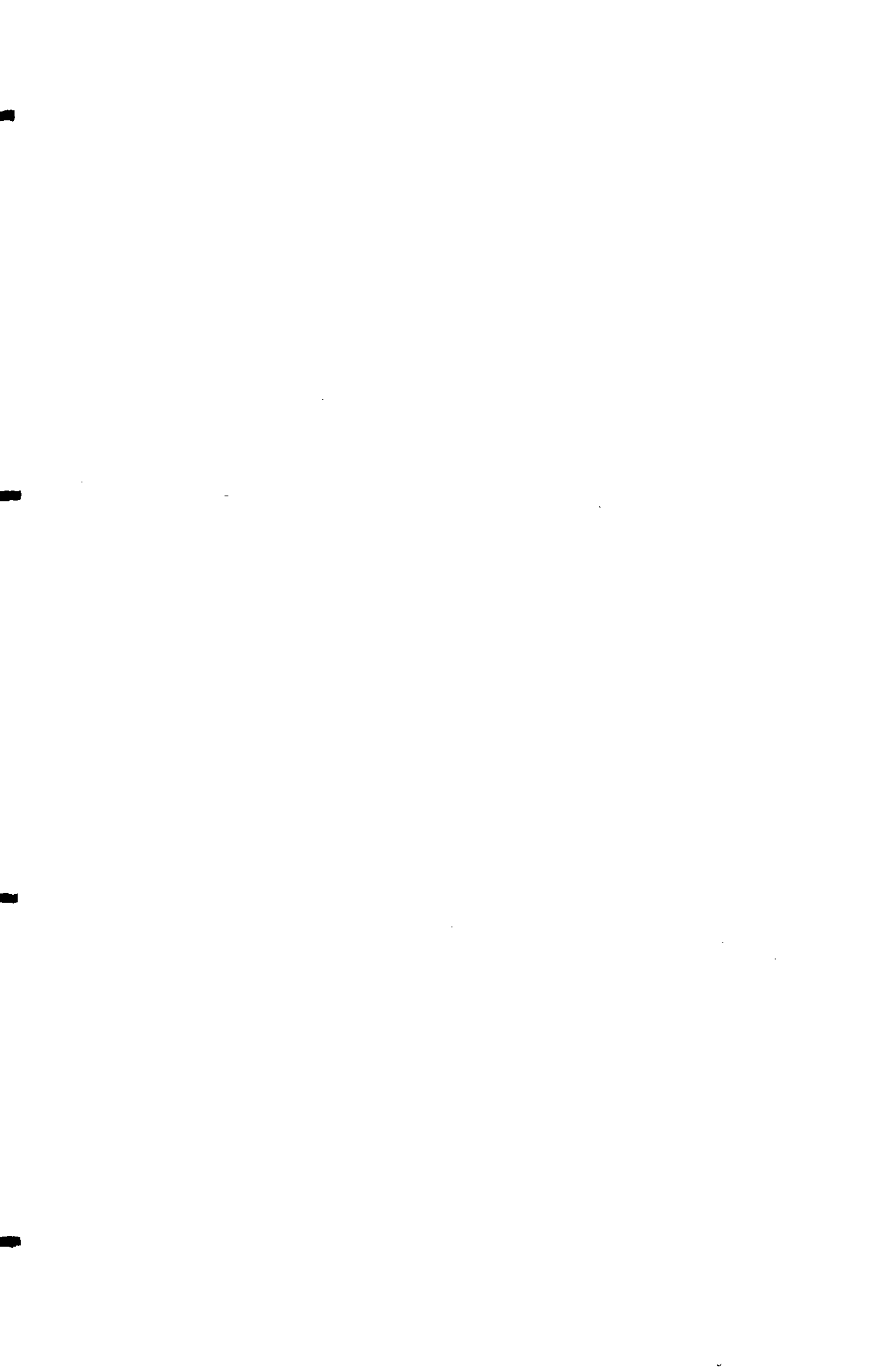


# عرفات

للأستاذ

علي الطنطاوي

« ذو الحجة ١٣٧٤ »



# مُقدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسوء الدعاة في هذا العصر، انصراف من الشباب كبير عن دعوة الله . . ، غير أن مايسوء دعوة الله أن يتقاعس الدعاة عن تبيانها للناس واضحة صريحة بأجلى معانيها إذ أن الناس بطبيعة أمرهم إذ ذاك لا يتجهون إلا نحوها.

والعبادات التي هي أسّ الاسلام قد أصبحت طقوساً فارغة من المعاني؛ تؤدي - إن أديت - على أنها فرض من فروض الله ثقيل . . يقوم به المرء مكرهاً فان أداه فكأنما أزيح عن كاهله جبل أو رفع عن قلبه هم أو دفع عنه بلاء . . . وما قد فرضت العبادات في الاسلام لتؤدى دون روح، ولا شرعت دون حكمة، ولا أداها الرعيل الأول من المسلمين إلا عن فهم ورغبة وحب.

ولذلك كان من الواجب المحتم على دعاة الاسلام أن يبينوا للناس حكمة التشريع ويوضحوا لهم المعاني الأصلية في العبادات حتى يقبلوا عليها في رغبة ويؤدوها بحب ويشتاقوا اليها شوقاً كما يشتاق الظماء الى الماء.

وان في العبادات لخضماً من المعاني العظيمة التي تحتاج الى شرح وتوضيح، وان فيها من المواقف ما يخشع له القلب وتصفو

اليه النفس وتطمئن له الروح وان فيها لما يبعث القوة في الانسان حين يتصل بالله فيتحدى الكون... وان فيها لما يخلق العزة في المرء حين يناجي الله فيدوس على الدنيا.. وان فيها لما يقلب الصخور أرواحاً تنطق فكيف لا تقلب الناس ملائكة تمشى على الارض... ملائكة في أخلاقهم...وفي اجتماعهم.. وفي اقتصادهم... وفي سياستهم مثلاً عليا لما يجب أن يكون عليه الانسان.

لو فهم الناس روح العبادة... وطبقوا معاني العبادة إذن لكانت الدنيا غير الدنيا ولكان الناس غير الناس... ( ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة )... ( ولكن الله يفعل ما يريد )..

العبادة علاقة بين العبد وربه... نعم.. وليت شعري كيف يكون المرء في المجتمع ان لم يراقب ربه؟ كيف يكون مخلصاً للناس من لم يخلص لربه الذي رباه؟ وكيف يعرف جميل الناس من لم يعرف جميل ربه الذي أنعم عليه؟

وكيف يعامل الناس من لم يخش الله ويتقه؟

وكيف يحكم بين الناس ومن لم يحكم موازين الله في كل ما يعمل؟

وكيف يأتمن الناس من خان الله؟

وكيف يطمئن الناس الى من عصا الله؟

وكيف يعاشر الناس من لم يتصل بالله؟

عبث ان نركن الى المادة، فالمادة نفسها تدعونا الى الله، وعبث ألا نلجأ الى روح العبادة حين نتصل بالله، وفي العبادة ـ كما ذكرنا وقفات رائعات، وفيها لقطات بارعات. وفي كل نقطة منها مدد للانسان في هذه الدار... دار الغرور!

وفي الشهر المبارك شهر الحج... وفي عرفات في الموقف العظيم... معنىً من هذه المعاني السامية.،. نلقاه في هذه الرسالة لأستاذنا الكبير... وما نحن بمن نقدم الرسالة فنحن أقل من أن نستطيع ذلك ولكننا نتقدم الى الله بالدعاء أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه انه سميع مجيب.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

لجنة المسجد

غرة ذي الحجة ١٣٧٤

# عرفات

﴿وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍ عميق، ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها واطعموا البائس الفقير، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطَّوفوا بالبيت العتيق﴾ [1].

هنالك ينكشف الغطاء، وتنفتح ابواب السماء، فيتوجه الحجاج الى الله بقلوب انزاحت عنها ظلمة الأهواء والشهوات، وأشرقت عليها الأنوار، فسمت حتى رأت الأرض ومن عليها ذرة صغيرة تحملها رياح القدرة، ثم سمت حتى سمعت تسبيح الملائكة بألسنة الطاعة، ثم سمت حتى تدبرت القرآن غضاً غريضاً، كأنما نزل به الوحي أمس، وسمعت النداء من جانب القدس:

﴿يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [2]. فأجابت: لبيك اللهم لبيك!، فرددت بطاح عرفات، وأرجاء الحرم، ورددت السماوات السبع والأرضون السبع: لبيك اللهم لبيك!

هنالك تتنفس الانسانية التي خنقها دخان البارود، وعلامات

---

(١) الحج. ٢٧، ٢٨، ٢٩

(٢) الحجرات: ١٣.

الحدود، وسيد ومسود، وعبد ومعبود، وتحيا في عرفات حيث لا كبير ولا صغير، ولا عظيم ولا حقير، ولا مأمور ولا أمير، ولا غني ولا فقير.

هنالك تتحقق المثل العليا التي لم يعرفها الغرب إلا في أدمغة الفلاسفة وبطون الأسفار، فتزول الشرور، وترتفع الأحقاد، وتعم المساواة، ويسود السلام، ويجتمع الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم في صعيد واحد، لباسهم واحد، يتوجهون إلى ربٍ واحد، ويؤمنون بنبي واحد، ويدينون بدين واحد، ويصيحون بلسان واحد: لبيك اللهم لبيك!

هنالك تظهر المعجزة الباقية، فتطوى الأرض ثم تؤخذ من أطرافها، حتى توضع كلها في عرفات، فتلتقي شطآن افريقيا بسواحل آسيا، ومدن أوروبا بأكواخ السودان، ونهر الكانج بنهر النيل، وجبال ظوروس بجبال البلور، فيعرف المسلم ان وطنه أوسع من أن تحده على الأرض جبال أو بحار، أو تمزقه ألوان على المصور فوق ألوان، أو تفرقه في السياسة خرق تتميز من خرق، وأعلام تختلف عن أعلام.

ذلك لأن وطن المسلم في القرآن لا في التراب والأحجار، ولا في البحيرات والأنهار، ولا في الجبال والبحار: « إنما المؤمنون إخوة »، لا « إنما المصريون. . . »، ولا « إنما الشاميون. . . »، ولا « إنما العراقيون. . . »

هنالك يتفقد الأخوة إخوتهم فيعين القوي الضعيف ويعطي

الغني الفقير، ويساعد العزيز الذليل، فلا ينصرفون من الحج إلا وهم أقوياء أغنياء أعزاء.

هنالك يذكر المسلم كيف مر سيد العالم صلى الله عليه وسلم بهذه البطاح مهاجراً إلى الله، تاركاً بلده التي نشأ فيها، وقومه الذين ربي فيهم، وكيف جاء حتى وقف على الحذورة، فنظر إلى مكة وقال: « إنك لأحب بلاد الله الى الله، وإنك لأحب بلاد الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » ثم يستقبل هذه الصحراء الهائلة، ليس معه الا الصديق الاعظم، يتلفت كلما سار ليتزود بنظرة من مكة حتى غابت وراء الافق الفسيح، فانطلقا يؤمان الغار.

هل علمت هذه البطاح أن هذا الرجل الفرد الذي قام وحده في وجه العالم كله، يصرع باطله بقوة الحق، ويبدد جهالته بنور الاسلام، ويهدي ضلالته بهدي القرآن، والذي فر من مكة مستخفياً، سيعود اليها بعشرة آلاف من الابطال المغاوير، فتفتح له مكة أبوابها وتتهاوى عند قدميه أصنامها، ثم تعنو له الجزيرة، ثم يخضع لدينه نصف المعمور؟

هل علمت هذه البطاح أن هؤلاء النفرة الذين مروا بها هاربين من جبروت قريش وسلطانها، سيعزون حتى تدين لهم قريش، ثم يعزون حتى يرثوا الارض ومن عليها، وسيكثرون حتى يبلغوا اربعمائة مليون، وسيتفرقون في الارض داعين مجاهدين فاتحين، ثم يجتمعون في عرفات حاجين منيبين ملبيين: لبيك اللهم لبيك!

هنالك وقف سيد العالم صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يعلن حقوق الانسان، ويقرر مبادىء السلام، وينشر الاخوة والعدالة والمساواة بين الناس قبل أن تنشرها فرنسا بألف عام.

أيها الناس: اسمعو مني أبين لكم، فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا.

ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

أيها الناس: إنما المؤمنون اخوة، لا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه.

ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى.

ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

وهنالك وقف يعلن انتهاء الرسالة الكبرى التي بعثه الله بها الى الناس كافة، ويتلو قوله جل وعز: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾[1]؟ ويبعث صحابته ليحملوا هذه الرسالة الى آخر الارض ثم يحملوها الى آخر الزمان.

---

(١) المائدة : ٣.

فحملوها فأنشأوا بها هذه الحضارة التي استظل بظلها الشرق ويستظل بظلها الغرب.

* * *

في عرفات تتجلى عظمة الاسلام، دين الحرية والمساواة والعلم والحضارة؛ ومن عرفات يسمع المسلمون داعي الله يدعو: حي على الصلاة! حي على الفلاح! فيجيبون: لبيك اللهم لبيك! وينطلقون ليعملوا للآخرة كأنهم يموتون غداً، ويعملوا للدنيا كأنهم يعيشون أبداً.

* * *

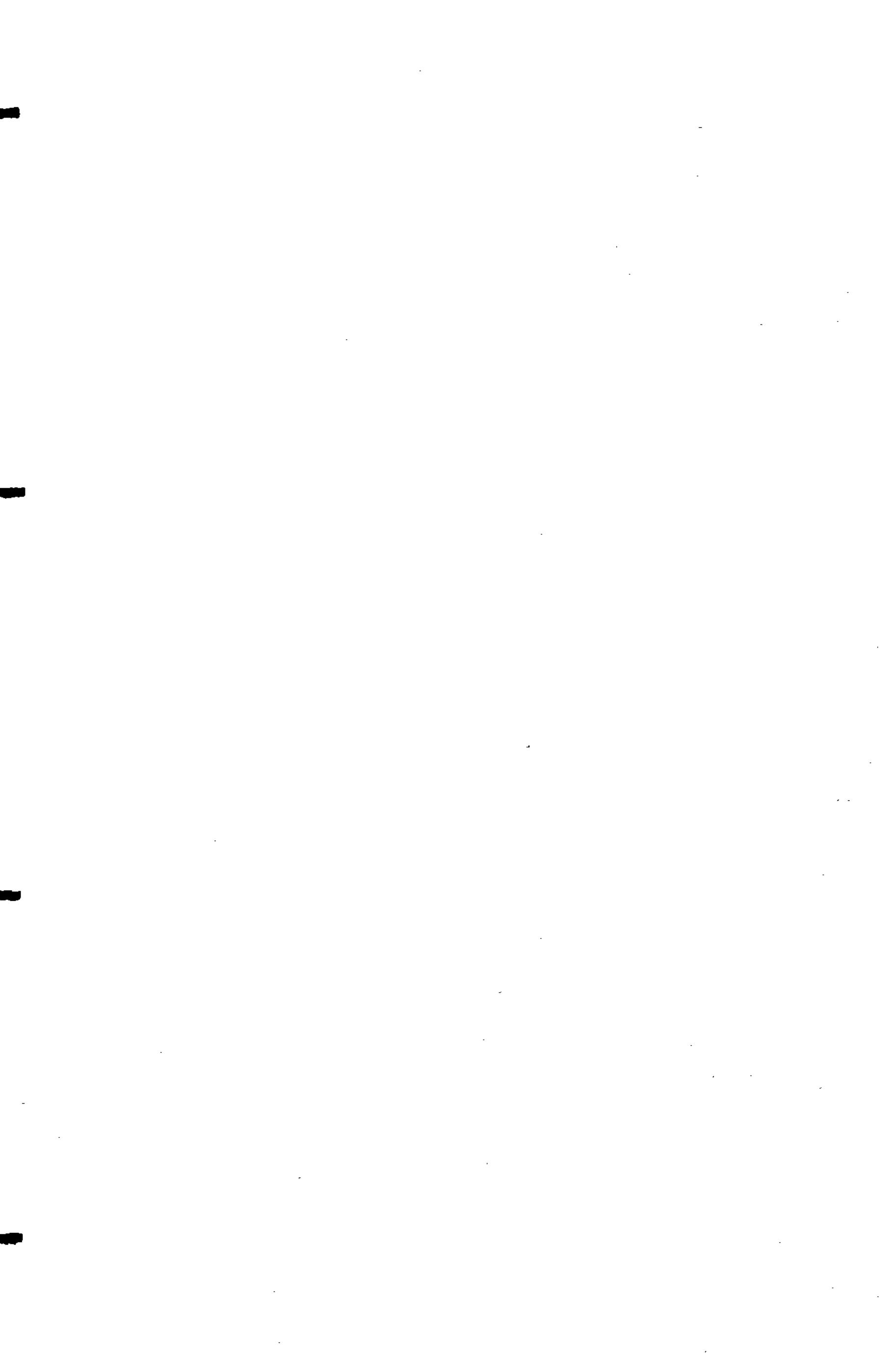
فلتفسد الارض، ولتطغ الشرور، وليعصف الحديد، ولينفجر البارود، ولتغص الانسانية في حمأة الرذيلة إلى العنق، فانه لا خوف على الفضيلة ولا على الحق ولا على السلام، ما دام في الارض «عرفات»، وما دام في الجو هذا الصوت القدسي المجلجل: «لبيك اللهم لبيك»!

علي الطنطاوي

# الجيل المثالي

للأستاذ

محب الدين الخطيب



# الجيل المثالي

من أيام أفلاطون « ٤٣٠ ـ ٣٤٨ ق. م » وكتابه « الجمهورية » ثم من عصر أبي نصر الفارابي « ٢٦٠ ـ ٣٣٩ هـ » وكتابه « المدينة الفاضلة » إلى زمن السر توماس مور « ١٤٧٨ ـ ١٥٣٥ » م وكتابه « يوتوبيا ».

من تلك العصور والأزمان ـ إلى يوم الناس هذا ـ والانسانية تحلم بالجيل المثالي الذي يود البشر لو يظفرون به فيتخذونه قدوة لهم في السلم والحرب، والمَنْشط والمَكره، في مختلف أطوار الحياة، ليكون لهم من كماله الامكاني المثل المقتدى به في كمالهم الانساني.

هي أمنية من أماني الشعوب والأمم، من أقدم الأزمان إلى الآن تحدّث عنها الحكماء، وتغنى بها الشعراء، وترنم بها رخيم أصوات الهاتفين، وهمس بها صفوة الضارعين والمناجين، من كل صادح او باغم.

بل إن « الجيل المثالي » هو الذي دعا إلى تكوينه وعمل على تحقيقه الأنبياء من أولي العزم، وهو الذي تمناه الحكماء وأهل

العلم، وهو الذي كانت الإنسانية ولا تزال إلى شبحه المرجى في أحلام يقظاتها وفترات غفوتها.

تريث موسى بقومه في آفاق العرش وبرية سيناء وصحارى النّقب وحوالي بئر سبع أربعين حولاً يلتحف معهم سحائب السماء ويفترش الغبراء، وهو يحاول أن يربي منهم جيلاً مثالياً يستن بسنن الله، ويتخلق بأخلاق الرفق والحزم والتضحية والاستقامة والاعتدال فيرضى بها عن ربه ويرضي ربه عنه، ثم مات موسى ولما يبلغ من أُمته هذه الأمنية.

ونبغ في الصين حكيمها الأعظم كونغ فوتس الذي عرفناه من طريق الافرنج باسم « كونفوشيوس » « ٥٥٠ ـ ٤٧٩ ق. م » ولا شك أنه كان من أصدق الدعاة إلى أن يتعامل الناس بالمروءة، لكنه لم يرتفع بدعوته إلى تخليص الصين من عبوديتها لابن السماء « الامبراطور » ولما في السماء من شمس وقمر وكواكب وسحائب ورعود وصواعق وأمطار، ولا إلى تخليصها من عبادة الأرض، وما في الأرض من جبال وبحار وأنهار، ولا من أرواح الآباء وما تقيمه في سبيلهم من حدود وسدود وقيود.

وقد أخفق كونغ فوتس في كل ما قام به من دعوة في أرجاء الصين، فعاد إلى بلده يؤلف الصحائف في الدعوة إلى المروءة، وقد رأينا تفصيل ذلك في كتابه « الحوار »[1] ثم مات وليس له من

---

(١) نقله إلى العربية السيد محمد مكين الصيني عن اللغة الصينية مباشرة باقتراح كاتب هذه الأسطر، ونشرته المطبعة السلفية.

المتأثرين بدعوته إلا عدد قليل من تلاميذه، وبقيت الصين هي الصين من ذلك الحين إلى الآن . .

وأعلن حكماء اليونان مذاهبهم في الحكمة وتهذيب النفس، فصنفوا في ذلك المصنفات، وألقوا به الخطب.

وقد اشتطوا في كثير مما صنفوا وخطبوا. وكتاب « الجمهورية » لأفلاطون من أبرز الأمثلة على هذا الشطط. ثم انقضى زمن حكماء اليونان وحكمتهم، دون أن تعمل شعوبهم بما دعوها إليه، لأن الدعوة والمدعوين للعمل بها لم يكونا أهلاً لذلك.

وعالج المسيح في فلسطين عقول مواطنيه من العامة والخاصة ممن كانوا يقصدون هيكل أورشليم، أو يتسلقون جبل الزيتون ويترددون على شواطىء بحيرة طبريا وحقول أرض الجليل وحدائقها، فلم يستجب لدعوته إلا عدد ضئيل لا يكاد يسمى جماعة فضلاً عن أن يكون أمة.

إن الانسانية، من أقدم زمانها، وفي مختلف أوطانها، لم تشهد « الجيل المثالي » إلا مرة واحدة حين فوجئت بإقباله من صحارى أرض العرب يدعو إلى الحق والخير بالقوة والرحمة، فكان ذلك مفاجأة عجيبة لكل من شهد هذا الحادث التاريخي الفذ من روم وفرس وآراميين وكنعانيين وعبريين ومصريين وليبيين وبربر وماندال ولاتين وسكسونيين وصقلبيين وغيرهم.

كانت المفاجأة ـ بمصدرها وكيفيتها، وأطوارها ـ ثم كانت عجيبة العجائب بنتائجها التي لا تزال من معجزات التاريخ.

أين كان هؤلاء؟ وكيف تكوّنوا على حين غفلة من الأمم؟ وما هذه الرسالة التي يحملونها؟ وكيف نجحت؟ وما هي وسائل نجاحها [1]؟

سلسلة من الأسئلة لا يكاد الناس يتساءلون بأولها حتى يفاجؤوا بما ينسيهم تاليه أوله. إلى أن رأوا من صفات هذه الأمة المثالية ما أيقنوا به أنها تحمل إلى الانسانية رسالة الحق والخير، وأنها تترجم عن رسالتها بأخلاقها وسيرتها وأعمالها، وان الذي اعتقدته وتخلقت به ودعت الأمم اليه هو الحق الذي قامت به السموات والأرض.

وكما تساءل الناس عن هذه العجائب في زمن وقوعها، ثم أنساهم بعضها بعضاً، كذلك نحن نتساءل اليوم عن كثير من أسرارها. بالرغم من ضياع العدد الأكبر من المراجع فيما احترق من بيوت الفسطاط ومدارسها وجوامعها مدة أربعة وخمسين يوماً [2]، وفيما غرق بمياه دجلة أيام ابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد، وفيما خسرناه بضياع الأندلس وكوارث الحروب الصليبية، وفيما فرطنا به في أزمان الجهل والانحطاط - بالرغم من كل هذا - فإن

(١) ولكاتب هذه السطور مقال في وصف لمحات من أسرار هذه المعجزة، نشر في صحيفة « الفتح » بعنوان (القرآن معجزة بين المعجزتين) انظر الجزء (٨١١) لجمادى الاولى (١٣٦٣).

(٢) في سنة (٤٦٥) انظر صفحة (٦٢٨ - ٦٣١) من المجلد (٢٥) لمجلة الازهر، وأنظر أيضاً صفحة (٣٨٥ - ٣٨٦) من ذلك المجلد.

النفوس استيقظت الآن لدراسة أحوال « الجيل المثالي » الفذ الذي عرفته الدنيا، ولنقد الأصيل والدخيل من أخباره، وتحليل عناصر الخير التي انطوى عليها، ومعرفة الأسباب التي صار بها جيلاً مثالياً لتستفيد الانسانية من الاقتداء به والتأسي بسننه وأخلاقه وتصرفاته.

وأول ما نعلمه ونؤمن به من أسباب الكمال في هذا الجيل المثالي أنه تلقى تربيته على يد معلم الناس الخير خاتم رسل الله المبعوث بأكمل رسالات الله ﷺ إن هذا السبب في طليعة أسباب الكمال لهذا الجيل المثالي، لا يشك في ذلك عاقل فضلاً عن مؤمن. ولكن يحق لنا أن نتساءل: ألم يكن موسى أحد المبعوثين برسالات الله؟ ألم يتح لموسى أن يعاشر قومه في الحل والترحال معاشرة تربية ودعوة أكثر من أربعين؟ ومع ذلك فقد جاء في « سفر العدد » من التوراة الموجودة الآن في أيدي قومه « ١٤ : ٢٦ ـ ٢٧ » ما نصه: « وكلم الربّ موسى وهارون قائلاً: حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي؟ » « في هذا القفر تسقط جثثكم جميعاً، المعدودين منكم حسب عددكم، من ابن عشرين فصاعداً الذين تذمّروا علي ». أين ـ من أصحاب موسى هؤلاء ـ أصحاب محمد عليهما صلاة الله وسلامه يوم سار بهم إلى بدر وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ليناجزوا ثلاثة أضعافهم من أهل الرجولة والحماسة والبأس، فلما بلغ النبي ﷺ بهذه القلة القليلة من أصحابه وادي زفران، أراد أن يختبر إيمانهم، فأخبرهم عن قريش،

واستشارهم في الموقف، فقام الصديق الأعظم أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الاسلام فقال وأحسن، ثم قام فارسهم المقداد بن عمرو « الأسود » الكندي فقال : « يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ». فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له.

ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا علي أيها الناس ». فقال له سعد بن معاذ سيد الخزرج وأقوى زعيم في الأنصار : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ » قال : « أجل » قال سعد : « فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئتنا به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى عدونا غداً. إنا لصبُر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله ». وقد كان عملهم أبين من قولهم وأصدق.

هكذا كانوا في مواقف البأس وعند الشدائد. ورأيناهم في تحري الحقوق واذعانهم للانصاف والعدل في حياتهم السلمية كما تحدثت عنهم أم سلمة رضي الله عنها ـ فيما رواه عنها الإمام أحمد في

« مسنده » وأبو داود في « سننه » - قالت : « جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث قد درست ليس بينهما بينه، فقال لهما رسول الله ﷺ : إنكم تختصمون إلي، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي به اسطاماً في عنقه يوم القيامة فبكى الرجلان، وقال كل واحد منهما : حقي لأخي! فقال رسول الله ﷺ : أما إذا قلتما ذلك فاذهبا فاقتسما ثم توخيا الحق، ثم استهما - أي اعملا قرعة على القسمين بعد قسمهما -، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه ». وهذان الرجلان المثاليان في الايمان بالحق لانزال إلى الآن نجهل اسميهما لأنهما من عامة الصحابة لا من خواصهم الممتازين بالفضائل الانسانية النادرة المثال كالعشرة المبشرين بالجنة وطبقتهم ممن اختصهم النبي ﷺ بالمكانة والمناقب، وهذه الطريقة في تربية محمد ﷺ لأصحابه على محبة الحق، واستجابة أصحابه له فيما أحب أن يكونوا عليه، قد أشاعت هذا الخلق في الخاصة والعامة من أبناء ذلك الجيل المثالي. فلما كانت خلافة الصديق الأعظم رضوان الله وسلامه عليه، ناط منصب القضاء برمز العدالة في الإنسانية - وهو عمر بن الخطاب - فكانت تمر على عمر الأشهر ولا يأتيه اثنان يتقاضيان عنده، وأي حاجة بهذه الأمة المثالية إلى القضاء والمحاكم وهي أمة الحق ومن أخلاقها أن تتحرى الحق بنفسها فلا تحتاج إلى تحكيم القضاء فيه. بل إن الطبقة الدنيا

في هذا الجيل ـ وأحوالها وأخلاقها معروفة في كل جيل وقبيل ـ وهم ممن يستطيع الشيطان في العادة أن يغلبهم على ارادتهم في بعض الأحيان فيقعون في زلة يستوجبون عليها الحد الشرعي، فإن من أعجب ما وقع في تاريخ البشر أن يأتي من يقع في شيء من تلك الزلة من أهل تلك الطبقة إلى رسول الله ﷺ فيعترف بزلته، ويلح بلجاجة وإصرار على طلب إقامة الحد عليه ـ وفي ذلك حتفه ـ ليتطهر مما دنسه به الشيطان.

وكان نبي الرحمة إذا رأى هذا الايمان العجيب في هذه الطبقة من أصحابه الطيبين يحاول جهده أن يدرأ الحد عنهم بكل ما يجيزه الشرع، فيأبون إلا أن يتعجلوا عقوبة الدنيا ليتقوا بها عقوبة الآخرة.

وهذه الملاحظة عن هذه الطبقة بالذات ـ قد سبق إلى التنويه والتحدث عنها إمام كبير من أئمة أهل البيت من زيدية اليمن، وهو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة ـ المتوفى ببلدة كوكبان باليمن سنة ٦١٤ ـ نقل ذلك عنه عالم الزيدية في القرن التاسع السيد محمد بن ابراهيم بن علي المرتضى الوزير « ٧٧٥ ـ ٨٤٠ » في كتابه « الروض الباسم » (١ : ٥٥ ـ ٥٦) فذكر تلك الطبقة وقال: « إن أكثرهم تساهلاً في أمر الدين ممن يتجاسر على الاقدام على الكبائر لاسيما معصية الزنا.. وذلك دليل خفة الأمانة ونقصان الديانة، بأننا نظرنا في حالهم فوجدناهم فعلوا ما لا يفعله من المتأخرين إلا أهل الورع الشحيح، والخوف

العظيم، ومن يضرب بصلاحه المثل ويتقرب بحبه إلى الله عز وجل. وذلك أنهم بذلوا أرواحهم في مرضاة رب العالمين وليس يفعل ذلك إلا من يحق له منصب الإمامة في أهل التقوى والدين »

أي أن طبقة الدهماء في ذلك الجيل المثالي - ممن قد يقعون في الكبائر - كان لهم من صدق الايمان والاستقامة على الحق ما يرفعهم إلى مرتبة من يحق له منصب الامامة في أمة من أهل التقوى والدين، فكيف بخاصة الصحابة الذين نزههم الله عز وجل عن أصغر الهفوات ورفعهم إلى أعلى الدرجات. ولولا أن النبوة ختمت بمربيهم وهاديهم إلى الحق ﷺ لما كان مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أقل من الأنبياء الذين سلفوا في الأمم الأخرى.

وإن هذا الذي يتكلم عن الزناة من دهماء الصحابة واستحقاقهم لمنصب إمامة امام من علماء أهل البيت، يعني ما يقول ويعلم معنى أقواله، لكنه رأى هذه الطبقة في ذلك « الجيل المثالي » قد صدر عنها من صدق الايمان ما لم تر أمة من أمم الأرض مثله فحكم بعلمه وكان منصفاً لنفسه، وللحق، ولدعوة الاسلام وآثارها في أهلها الأولين.

وقد علق على كلام الامام المنصور بالله علامة الزيدية السيد محمد بن ابراهيم الوزير (١ : ٥٦ - ٥٧) من « الروض الباسم » قائلا يخاطب قارىء كتابه : « فأخبرني على الانصاف : من في زماننا - وقبل زماننا - من أهل الديانة سار إلى الموت نشيطاً وأتى إلى ولاة الأمر مقراً بذنبه مشتاقاً إلى لقاء ربه، باذلاً في رضا الله لروحه،

ممكنا للدعوة أو القضاء من الحكم بقتله؟! وهذه الأشياء تنبه الغافل، وتقوي بصيرة العاقل. وإلا ففي قول الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ كفاية وغنية، مع ما عضدها من شهادة المصطفى عليه السلام بأنهم « خير القرون » وبأن غيرهم « لو أنفق مثل أُحد ذهباً ما مبلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » إلى أمثال ذلك من مناقبهم الشريفة ومراتبهم المنيفة » ونعود إلى المقارنة الأولى بين أمة محمد ﷺ وأمة موسى عليه السلام - وكلاهما من الأولياء أولي العزم - وموسى أتيح له من الوقت لتربية أمته ضعف الوقت الذي أتيح لمحمد ﷺ في تربية أمته، فكيف نالت أمة محمد ﷺ هذه المكرمة فكانت « الجيل المثالي » الذي خلده الله عز وجل في القرآن بقوله في سورة آل عمران ١١٠ : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾، بينما الجيل الذي كان مع موسى استحق أن يدمغ بما ورد في سفر العدد (١٤ : ٢٦ - ٢٧ و ٢٩) كما نقلناه آنفاً عن التوراة التي يطبع منها في كل سنة ملايين النسخ بكل اللغات.

أنا فكرت في هذا الامر كثيراً من خمسين سنة إلى الآن ومن ذلك الحين وأنا أراقب كل ما يقع عليه نظري من تحقيقات العلماء وخطرات أفكارهم لأصل إلى حكمة الله في هذا الامتياز الذي اختص به أصحاب رسول الله ﷺ فجعلهم « الجيل المثالي » الوحيد الذي عرفه تاريخ الإنسانية.

فكرت في معادن الأمم ومواهبها، وسجاياها، فراقبتها جميعاً وهي في بداوتها - أي في مادتها الخام - قبل أن تطرأ عليها

الحضارات والعلوم المكتببة والصناعات والأنظمة الاجتماعية التي هي من صنع التشريع البشري، فتبين لي أن الأمة التي منها « الجيل المثالي » في الاسلام، امتازت في بداوتها على كل أمة أخرى في بداوتها بسعة المدارك ونضوج العقل ودقة المشاعر وجودة الأخلاق، وانها امتازت في بداوتها بلغة هي أرقى على الاطلاق من كل لغة أخرى للبشر في طورهم البدوي. وكل رقي لأي لغة أخرى غيراللغة العربية هو من أثر الحضارة واتساعها الحادث في الصناعات والعمران والفنون والثروة. ولو أن عالماً من علماء اللغات أمسك بيده قلماً بالمداد الأحمر وشطب به كل لفظة في المعجم الألماني أو الانجليزي أو الفرنسي، يرى أنها من الألفاظ التي حدثت بعد التقدم الصناعي أو العلمي أو الاقتصادي أو الفني، ولم تكن للألمان أو الانجليز أو الفرنسيين في بداوتهم، لما لما بقي لهذه الأمم في اكبر معاجمها اللغوية إلا ما يعادل نصف جزء من أجزاء لسان العرب العشرين ان لم يكن أقل من ذلك. والعرب لما استفحل ملكهم وصارت لهم جيوش عظيمة واصلاحات عسكرية وادارية وفلسفية وعلمية وصناعية أبى علماؤهم أن يقحموا على معاجمهم وأصل لغتهم هذه الاصطلاحات الطارئة، فألفوا كتباً مستقلة للاصطلاحات وبقيت معاجم اللغة تمثل أصل اللغة بشواهدها من شعر العرب وحكمتهم وأمثالهم في أيام بداوتهم، فهي برهان حسّي قائم أمام الأنظار على ما امتازت به العربية بين جميع اللغات التي نطق بها البشر، ومما امتازت به الأمة

التي ظهر فيها « الجيل المثالي » انسانيتها العليا في معاملـة الغـير واكرامه بالأمن والقرى. وإذا استثنينا ما يكون في حالة الحرب بين القبيلة وغيرها من العرب، فإن جزيرة العرب من أقدم أزمانها إلى هذه الساعة أعظم بلاد الله أمناً على الاطلاق، ينتقل فيها من شاء حيث شاء فيجد لنفسه فندقاً مجانياً عند كل بصيص نور يعشو إليه في الليل، أو أي خباء يلوح له في النهار، وله ـ حق ـ الضيافة ثلاثة أيام بلا منّ عليه ولا فضل لمضيفيه. ومن آداب الضيافة عندهم ألا يسألوا ضيفهم حتى عن اسمه. وكان عندهم الأمن المطلق حتى للحمام والظباء وسائر الصيد في داخل أعـلام الحـرم في جميع أيام السنة، ولو لقي الرجل قاتل أبيه في أرض الحرم ما كان له أن يروعه أو يزعجه. أنا مقتنع كما اختار الله محمـداً ﷺ لأكمـل رسالاتـه وآخرها، اختار كذلك العربية لكتابه الحكيم، لأنها أكمل اللغات وأغناها. واختار أيضاً لرسوله أصدق الأمم وأكرمها معدناً وأجمعها للصفات التي تكفل نجاح هذه الدعوة وتقوى بها على حمل هذه الأمانة فكانت بها خير أمة أخرجت للناس. وقد دعت إلى الاسلام بسيرتها وأخلاقها وتصرفاتها، فتعرفت الأمم إلى الرسالة المحمدية بما رأت العيون من سيرة الصحابة، أكثر ممـا سمعتـه الآذان من بيانهم. وأصحاب رسول الله ﷺ لما استجابوا لهذه الرسالة وتشرفوا بالدخول في الإسلام كانوا متفاوتين في مبلغهم من سجايا أمتهم. فبعضهم كان أسرع ادراكاً من بعض، وإذا امتاز أحدهم على أخيه بناحية من نواحي الخير، كان لأخيه ناحية أخرى من الخير يمتـاز بها.

كان أبو بكر أسبق من عمر إلى إدراك الحق في دعوة الاسلام، لكن عمر حتى في أشد عصبيته على الاسلام - يوم بلغه إسلام أخته وابن عمه وجاء ليبطش بهما - طرقت سمعه صيحة من صيحات الحق التي يهتف بها الاسلام، فبردت عصبيته وتغلب نزوعه للحق على نزوعه لنصرة الإلف، فكان - في خلال دقيقتين اثنتين - من أكرم أنصار الحق على الله، ومن أسرع البشر إلى الاستجابة لنداء الحق. وخالد بن الوليد كان شاباً من أبناء الأعيان من رؤساء قريش، سكر بخمرة النصر على المسلمين في أُحد، وعاد إلى مكة نشواناً بها، لكن الحق الذي كان الاسلام يهتف به كان يطرق مسامع خالد، فتأمل فيه فوجده حقاً، فترك ثروة أبيه وجاهه ومربط خيله الواسع في مكة، وخرج قاصداً إلى المدينة ليدخل في دين الذين حاربهم وانتصر عليهم، فلقي في طريقه عمرو بن العاص حامل مفتاح الكعبة، وعلم أنهما مثله قد تبين لهما الحق وخرجا في طلبه والالتحاق بأهله والجهاد في سبيله فقال النبي ﷺ فيهم عند بلوغهم المدينة: « رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها ».

مثل هذه الأخلاق كثيرة جداً في « الجيل المثالي » الذي صنع منه محمد ﷺ أصحابه، ولكننا قلما نجد ذلك شائعاً في الأمم الأخرى. نعم إن الخير موجود في كل الأمم ولكن لا إلى الحد الذي يقوم به الجيل المثالي، ولذلك كان أصحاب محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس.

يقول رسول الله ﷺ فيما روى البخاري في « صحيحه »

«الكتاب ٦١ ـ الباب الأول» من حديث ابي زرعة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا » ومما لا شك فيه أن العرب كانوا على وثنية ولكن مَنْ من الأمم لم يكن عند ظهور الاسلام من أهل الوثنية بمختلف معانيها؟ إلا أن العرب كانوا أحدث الأمم في وثنيتهم، لأنها طرأت عليهم قبيل الاسلام بمئات قليلة على يد عمر ابن لُحَيّ الخزاعي في خبر طويل لا يتسع المقام للافاضة فيه. وكانت العرب قبل ذلك من أهل الحنيفية دين ابراهيم واسماعيل، وبنو اسماعيل انتشروا من مكة وتوطنوا في جميع البقاع الشمالية من جزيرة العرب إلى أسوار مدينة دمشق. ومن العرب من كانوا على دين شعيب، وقد ترك التاريخ لنا نصوصاً في هذا المعنى. وهذه الوثنية الطارئة على العرب لم يكن لها عندهم من الهياكل والسدنة والتهاويل ما يضارع الذي لها عند غيرهم، فكانوا أقرب أمم الأرض إلى دين الفطرة، وبذلك استحقوا ثناء الله عليهم فيما جاء بسورة البقرة : ١٤٣ ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً، وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله، وما كان الله ليضيع إيمانكم، إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾، وما جاء في سورة الأنفال : ٦٤ ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ وما جاء في سورة التوبة : ١٠٠ ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين

اتبعوهم باحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾.

نقل الحافظ ابن حجر في الاصابة (٣ : ٢ طبعة السلطان عبد الحفيظ) عن الزبير بن بكار « أن رجلاً قال لعمرو بن العاص : ما أبطأ بك عن الإسلام، وأنت أنت في عقلك؟ قال : إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم - يعني أباه ومن هم في طبقته - وكانوا ممن توازي حلومهم الجبال، فلما بعث النبي ﷺ فأنكروا عليه، قلدناهم، فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا، فاذا حق بيِّن، فوقع في قلبي الاسلام، فعرفت قريش ذلك مني، من إبطائي عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه، فبعثوا إلي فتى منهم فناظرني في ذلك، فقلت : أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك : أنحن أهدى ام فارس والروم؟ قال : نحن أهدى - يعني الصدق والعدالة والأمانة والتعاون المحمود -. قلت : فنحن أوسع عيشاً أم هم؟ قال : هم. قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلا في الدنيا وهم أعظم منا فيها أمراً في كل شيء؟ وقد وقع في نفسي أن الذي يقوله محمد - من أن البعث بعد الموت ليجزي المحسن باحسانه والمسيء بإساءته - حق، ولا خير في التمادي في الباطل ».

إن المسلمين - بل الإنسانية كلها - أشد ما كانوا اليوم حاجة إلى معرفة فضائل أصحاب رسول الله ﷺ وكرم معدنهم وأثر تربية رسول الله ﷺ فيهم، وما كانوا عليه من علو المنزلة التي صاروا بها

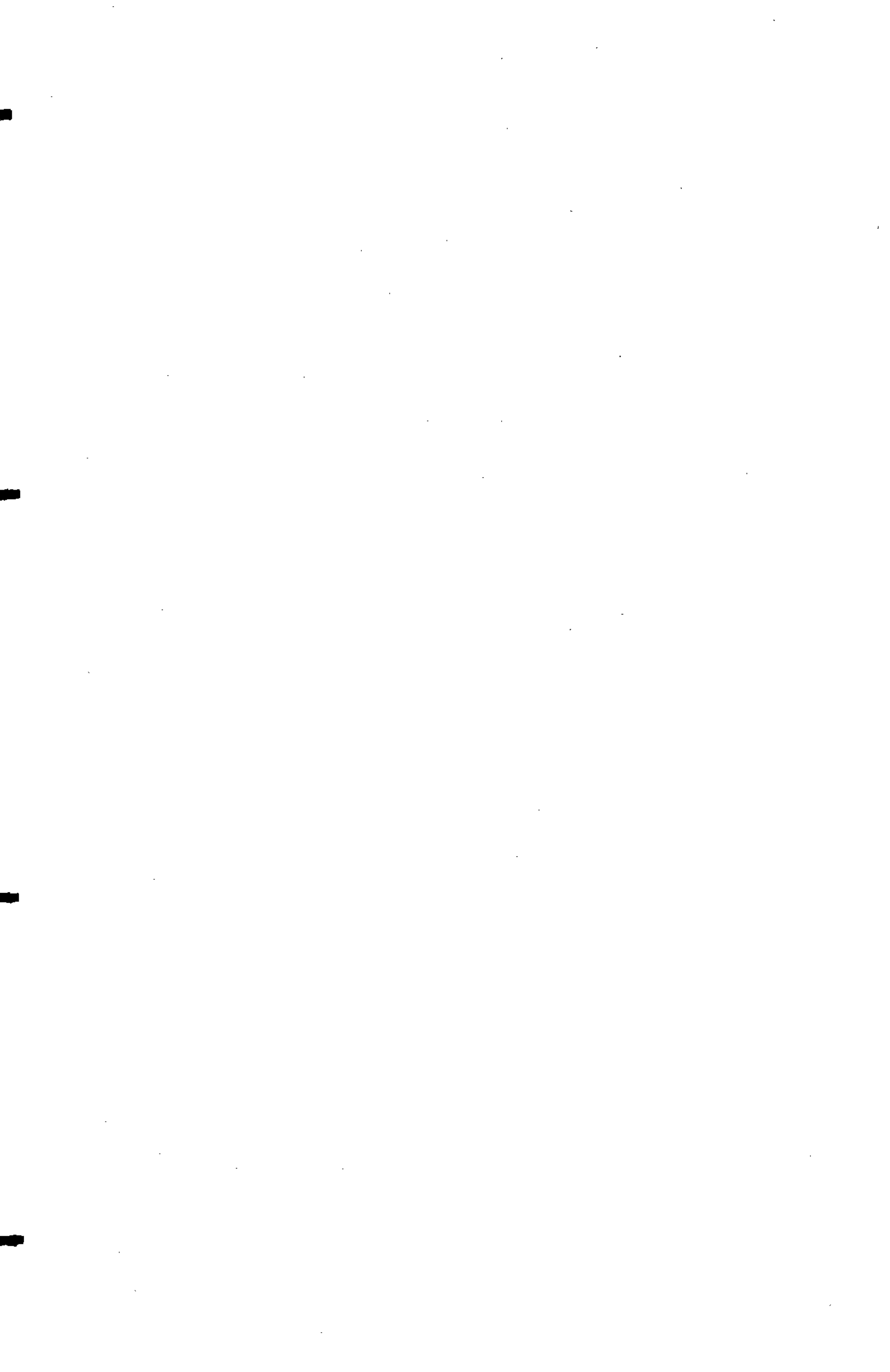
« الجيل المثالي » الفذ في تاريخ البشر. وشباب الاسلام معذور إذا لم يحسن التأسي بالجيل المثالي في الاسلام، لأن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف والأغراض والبتر والزيادة وسوء التأويل في قلوب شحنت بالغل على المؤمنين الأولين، فأنكرت عليهم حتى نعمة الايمان! وقد أصبح من الفرض الديني والقومي والوطني على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الاسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات، وان يبادر له ويجتهد فيه ما استطاع، إلى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به ويجددون عهده، ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته.

وهذه المعاني تحتاج إلى دراسات علمية عميقة، ليتبين لنا سر الله في تكوين هذا « الجيل المثالي » على يد حامل أكمل رسالات الله. وان فصلاً كهذا أضيق من أن يلم - ولو باشارات قصيرة ولمحات سريعة - بمثل هذه المعاني التي تخطر على البال في أثناء المطالعات والتفكير، ونحن نكتفي بتسجيلها ليتخذ منها أذكياء الطلبة والشبان مواضيع للدراسة والتمحيص. والله الموفق..

# محن الجنود

الدكتور عبد العزيز كامل

(ربيع الثاني ١٣٧٥)



# مُقدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحقيقة التي يقررها الاسلام ويؤكد عليها أشد التأكيد، أن حياة الانسان في هذه الدنيا ليست غاية الطريق، وإنما الانسان المسلم مرتبط وثيق الارتباط بالمرحلة التي تليها، ويسعى جاهداً لاتمام صفقته مع الله، هذه الصفقة التي ينص عليها القرآن: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله..﴾[1] هذه الصفقة قد كانت الاتفاق الذي يجب على الدعاة إلى الله المؤمنين به، أن يؤدوها، منذ أن دعا أول نبي من أنبياء الله إلى الله، وقد كرر الله تسجيل هذا الوعد في كتبه، وكرر عقد هذه الصفقة مع دعاته.. ولذلك نرى أن هذه الطبقة من الناس، التي تعمل لليوم الآخر وتنظر إلى بعيد، يهمها دائماً أن تثبت وجودها في هذا المضمار، وتبرهن على تمسكها بهذا الميثاق فتنذر أنفسها وأموالها في سبيل الله، متمنية أن تبذل دون الجنة. ولهذا كان الابتلاء مرافقاً لكل عبد

(١) التوبة: ١١١.

أحبه الله ، فما من نبي إلا وقد قاومه قومه ، حتى نبي الله يونس الذي آمنت به قريته ، ابتلاه الله بأن ألقاه إلى الحوت ، فلولا أن كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون. وهذا الابتلاء الذي هو الطابع المميز لجميع دعوات الله هو المقصود من قوله سبحانه وتعالى في التنزيل : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم؟ مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب﴾[1]. ولهذا لم يكن من عجب في أن يفرح أولياء الله بالابتلاء ، ويبتهجوا بالفتنة لأنها المحك الذي يبين جلاء معدنهم في حين يكسو معادن الناس كلهم الصدأ والله عز وجل يقول : ﴿ ألف . لام. ميم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فلْيعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾ [2]

أما بعد ، فلقد كان الابتلاء وما زال سنة الدعاة إلى الله ، وهذا داعية من هؤلاء الدعاة ، وعظيم من هؤلاء العظماء ، يحدث الناس عن سنة الله في أوليائه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

لجنة المسجد

---

(١) البقرة : ٢١٤

(٢) العنكبوت : ١ ، ٢

# محن الجنود

من الظواهر التي تستوقف النظر في العهد المكّي إِن المجموعة الاسلامية الأولى كانت صورة مصغرة للطوائف والطبقات في مكة. فكان فيهم الشريف الغني كأبي بكر وعبد الرحمن بن عوف. والعبد الفقير كعمار والمرأة الشريفة كخديجة والجارية كزنيرة والهندية والمتقدمين في السن كياسر وزوجه والأحداث كعلي ابن أبي طالب. والروم النصارى كصهيب، والفرس المجوس كسلمان، والأحباش كبلال.

فهي مجموعة لم تجتمع على أساس الطبقات أو الجنس أو القومية وانما جمعتها العقيدة ولا شيء غير العقيدة. وبهذا كان الاسلام من اول امره عالياً يجمع ولا يفرق ويعبد الناس إلى ربهم ولا يقف عند حدود اللون أو الجنس أو المركز الاجتماعي أو النظام الطبقي.

وتعرَّض هؤلاء الافراد لمحن الأذى البدني والمحاربة الاقتصادية والتشكيك في العقيدة وصب الكفار على كل مسلم نوعا من العذاب يرونه مؤثراً فيه. وحين تحدث ابن هشام عن المستضعفين قال: « وكان ابو جهل الفاسق الذي يغري بهم الرجال من قريش. إذا سمع بالرجل قد اسلم. له شرف ومنعة أنَّبه وأخزاه

وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك! لنسفهن حلمك ولنفيلن (نقبحن) رأيك ولنضعن شرفك. وان كان ضعيفاً ضربه وأغرى به ».

## صبر بغير حساب

ولقد خاض المسلمون الأول معركة الصبر وتعرضوا للمحنة لا يمتلكون إلا سلاح الايمان وصدقت القاعدة القرآنية ﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ﴾ [1].

ونحن نعلم جميعاً العذاب الشديد الذي كان يقع على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يصفه ابن عباس فيقول: « كانوا يضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به » ويروي ابن هشام ان عمر بن الخطاب كان يضرب جارية بني مؤمل ويعذبها لتترك الاسلام حتى إذا ملِّ قال : اعتذر اليك، اني لم اتركك إلا ملالة، فتقول : كذلك فعل الله بك.. فانظر كيف كانت قوة عمر في الجاهلية مسخرة لضرب امرأة مسكينة لا حول لها ولا قوة؟

ولم يكن الصحابة على علم بمدة هذه المحنة والنبي لا يعدهم بسرعة كشفها وانما يمر على آل ياسر وهم يعذبون فيقول: «صبراً آل ياسر. لا أملك لكم من الله شيئاً. ان موعدكم الجنة » فليس بينهم لقاء قريب في منصب من مناصب الحكم أو عرض من عروض الدنيا الزائلة، وانما المحنة تصهر النفوس وتنقيها من

---

(١) الجن : ١٩

الخبث وتميز بين المعـدن النفيس والمعـدن الخسيس. ولـم يوزع عليهم النبي صلى الله عليه وسلم اموالا من المصـاريف السرية ولم يقدم اليهم الهدايا ولا الرشاوى. . لا شيء الا العقيدة واللقاء في الجنة.

ولقد تعلم أن بعض رجال الدنيا يتحملون شيئاً من العذاب وينتظرون الجزاء المادي والأدبي اذا زال عهد وجـاء عهـد جديد ونعلم أن مدة الصبر عند كثير من الناس لا تتعدى خمس سنوات مقدار دورة انتخابية. . أما هؤلاء الابطال فكانت لهم دورة واحدة أولها هنا. . في العذاب والألم وسلاحها الايمان والصبر الطـويل الذي لا يعرف حدودا. وجزاؤها هناك عنـد رب لا تضيع عنـده الودائع﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [1].

إنهم لم يحددوا لله وقتاً للنصر ولم يربطوا إيمانهم بعهد أو زمن ولم (يحاسبوا) ربهم على مدة طالت، لهذا جازى الله هذا الصنف من جنس عمله فقال :﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[2].

أما معسكر الشرك فلم تكن هناك تباشير توضح ضعفه وتفككه إلا آيات القرآن تنزل من السماء على قلب رجل لا يملك لأصحابه ضراً ولا نفعاً ويقرأ على المعذبين قول الله :﴿ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق. ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار

---

(١) السجدة : ١٧ (٢) الزمر : ١٠

ذلك الفوز الكبير. إن بطش ربك لشديد. إنّه هو يبدىء ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد. فعّال لما يريد﴾ [1]

وفي آيات سورة النحل تقرأ قوله تعالى: ﴿ثم ان ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا، إن ربك من بعدها لغفور رحيم، يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾ وظاهر من الاسباب ـ وهي مكية ـ أن المسلمين لاقوا بلاء وفتنة تستوجب منهم مجاهدة شديدة للنفس وصبراً وأخيراً ينتهي الامر بترك الوطن والهجرة منه. ومن روح الآيات وترتيبها نجد أن الايمان هنا يغلب عليه جانب الابتلاء الفردي. لأن النبي كان يقول لهم: «لا أملك لكم من الله شيئاً ان موعدكم الجنة» والله يقول لهم عن الحساب الأخروي: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها!﴾ [2].

## التكوين الفردي

وعلى هذا يمكن أن نقول: ان هدف العهد المكيّ كان (تكوين الفرد المسلم) وان المواد الاساسية في التكوين هي (الايمان والصبر)، ايمان يتعدى حدود الحياة الارضية حتى يتصل بالله الأول والآخر، وصبر لا يتقيد بزمن يطول او يقصر. ثم هو صبر على كل انواع البلاء والفتن.

ويمكن أن تشبه امتحان الايمان والصبر في مكة (بالكشف

---

(١) البروج: ١٠ـ١٦. (٢) النحل: ١١١.

الطبي العام) الذي لا يدع جهازاً او حاسة أو عضواً في الجسم إلا كشف عليه ليتأكد من سلامته.

وهكذا كان امتحان الافراد في مكة شاملا قاسياً مرهقاً لأنه يعدّهم لغاية شاملة قاسية مرهقة.

كان امتحاناً ليخرج للانسانية نماذج من الايمان أو الصبر تظل ترسل أنوارها هداية للعالمين حتى تقوم الساعة.

ولا بد في عهود التكوين وبدء الدعوات من أن يبتلى الافراد هذا الابتلاء الفردي الشامل (تكشف) عليهم الارادة الاهلية هذا الكشف الشامل حتى تبرز حقائقهم ويمحص ايمانهم فاذا خرجوا من المحنة رجالا، فتح الله أمامهم باب المرحلة التالية من مراحل الدعوات وبها يأتمنهم على (ارض) يعيشون عليها وتكون مسرحا جديداً لأنواع جديدة من الاختبار والامتحان.

ولا يعرف حقيقة البلاء الفردي إلا من مر فيه.. ووصفه لا يغني عنه بحال من الاحوال. وان صرخة الأم على ولدها أو دمعة المظلوم لأشد تأثيراً في النفس عشرات المرات من قصائد الشعر وحناجر الخطباء تدافع منها الكلام رثاء أو وصفاً..

ولقد لفحتنا نيران البلاء وأحسسنا حرارته المقدسة فتقدمنا اليها كما تقدم المؤمنون في عهد فرعون يقولون: ﴿لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض، انما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ [1] ومن المفيد أن نذكر أن سورة طه مكية وقد

---

(1) طه: ٧٢.

جاءت فيها قصة موسى وموقف المؤمنين ونظرتهم الجديدة الى فرعون وما أعده الله للأبرار.

والناس قبل الايمان، ومن غير الايمان، يعطون البشر اكثر من حقهم كثيراً، ويعتمدون عليهم كثيراً.. ولقد دخل السحرة على فرعون يطمعون في المناصب والاموال وساوموه وهو في أحرج المواقف، ورأوا آمالهم معلقة بهذا الرجل وهذه الاوضاع من الحكم الظالم الفاسد. فلما آمنوا تجلت لهم هذه الاوضاع هباءاً وتراباً ورأوا فرعون كائنا زائلا، وكل من معه زائلين وعلموا انهم سيعرضون على ربهم في يوم تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.. فأين مركز هذه التفاهات التي يطلبونها ومنزلتها في حساب يوم القيامة؟! لقد ارتفعوا هم الى قمة عالية من قمم الانسانية، بل الى قمم الانسانية التي يرتفع اليها المؤمن حتى يتجرد لربه فكان قولهم (فاقضِ ما أنت قاض).. وهذه القمة لا بد أن يصعد اليها المؤمن الصادق في كل عصر من العصور. وقد ارتفع اليها المؤمنون الأول من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن مستواها الرفيع نتلقى قول بلال «احد احد! والله لا ادنِّس لساني بكلمة الكفر بعد أن طهره الله بالايمان» وهو بالعذاب والالم ورمضاء مكة والحبل المربوط في عنقه والحجر الساخن على بطنه والجوع والعطش والسخرية من حوله والسياط التي تلهب جسده.. وهو بكل هذا اسعد مما كان في جوار امية بن خلف

وسهره مع فتيان مكة بين الغناء والخمر.

هي القمة التي صعد اليها المستضعفون من النساء والولدان والرجال في العهد المكي حين ثبتوا على ايمانهم ولم يستطع أن يصعد اليها أو يؤمن بها أهل الكفر والشرك وانصار الالتصاق بالحياة الارضية التافهة الضئيلة.. اولئك الذين يؤمنون بارباب الحكم والجاه والمناصب والشهوات والذين تعبث بهم شياطين الجن والانس ويعدونهم الغرور ويخطفون ابصارهم ببريق المنصب والمال.

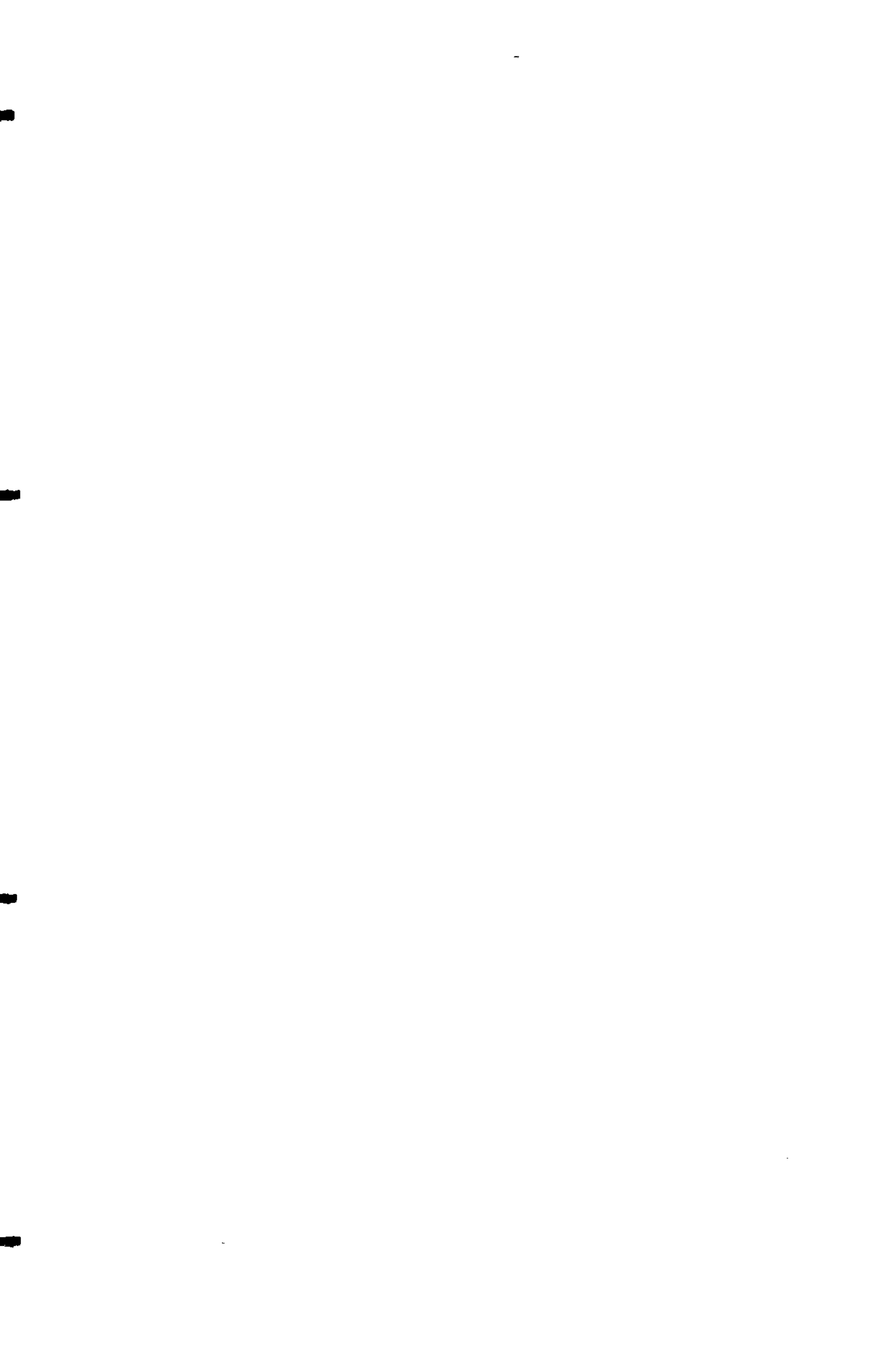
ويدور الزمن ببلال فيعود على مكة يؤذن من فوق الكعبة ويعود المستضعفون بعد اداء الامتحان يستمعون الى قول الله : ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين﴾ [1] بعد أن كانوا يخافون أن يتخطفهم الناس.

فصبراً.. ايها المستضعفون. فنحن الجيل الأول الذي يبتلى الابتلاء الشامل وفينا القوي والضعيف.. فليأخذ كل منا بيد أخيه ولنتعاون على الصعود الى القمة العليا لا يشغلنا عنها بريق المادة والجاه ولا يصرفنا عنها سياط العذاب وقضبان السجن والجوع والاغلال.

هي تجربة تجربها العناية الالهية في القرن الرابع عشر لتخرج للانسانية نماذج جديدة من الضعف الخالد الذي يحمل آلام الانسانية ويحقق آمالها ويبلغها امنها وسلامتها والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون.

---

(١) الفتح : ٢٧.

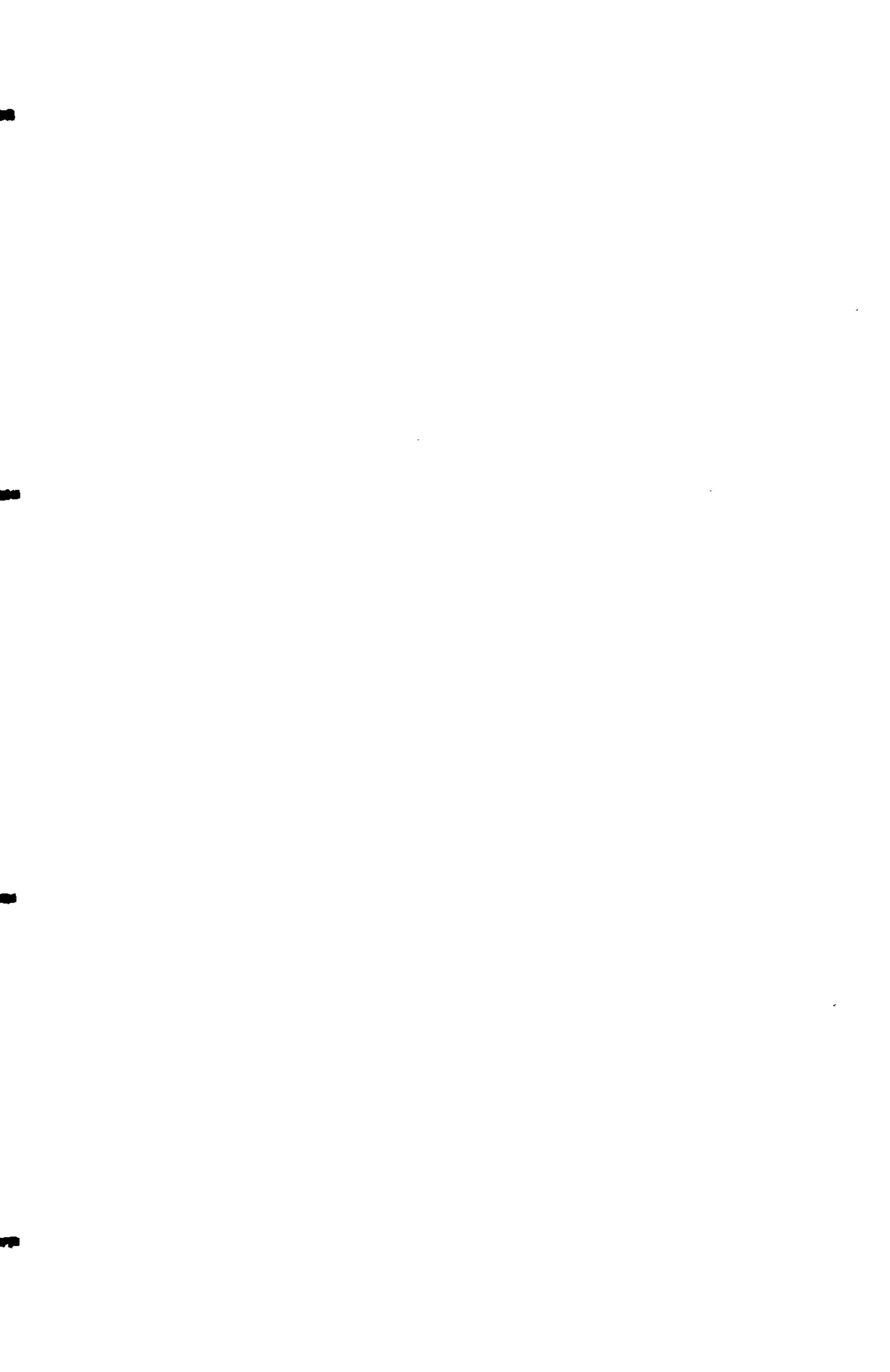


# من مكائد الاستعمار

## في بلاد المغرب

الاستاذ
تقي الدين الهلالي

( جمادى الاولى ١٣٧٥ )



بسم الله الرحمن الرحيم

كان من جراء التوجيه الفاسد الذي قام به المستعمرون الكفرة، أن نشأت في الجزء العربي من بلاد الاسلام، بعض الافكار الخبيثة، التي تدعو إلى فصل هذا الجزء عن سواه، وإلى صرف المسلمين العرب عن التفكير باخوانهم في المغرب المسلم وإهمالهم مشكلتهم.

وأقل ما يدعو اليه الاسلام أتباعه أن يهتم بعضهم بمشاكل بعض، ويعنى بعضهم بأحوال بعض، ويؤازر بعضهم بعضاً في كل زمان ومكان.

ثم إن قضية المغرب قد أسيء فهمها من قبل الكثير لأنها لم تفهم إلا كما يريد المستعمرون الكفرة، أو أتباعهم دعاة التصدع في بناء العالم الاسلامي الواحد، فكان لا بد من قيام أحد دعاة الاسلام ومجاهديه في المغرب بتوضيح هذا الأمر.

وبعد فلا بد من الاشارة إلى ما يتوجب على المسلمين في هذه الايام تلقاء اخوانهم المغاربة، من فهم سليم لقضيتهم وإيمان كامل بها، وتضحية في سبيلها بالمال والنفس... ولقد كان المعقول في امة تريد الحياة أن تشعر أنها في حالة حرب فتستعد لها، لا أن تكتفي باقتطاع جزء يسير من مال فقرائها الذي أدوه عن طيب

نفس، ثم لا تتغير بعدئذ حالها من سرف، وترف، ولهو، وفسق، وتبذير للاموال والجهود والاجسام فيما لا طائل تحته.

وهذه هي التجارة الرابحة:

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم. واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾ [1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لجنة المسجد

(١) الصف: ١٠، ١١، ١٢

## حقائق لها دلالتها

س ٩ ـ ما رأيكم في مشكلة المغرب؟

ج ٩ ـ المغرب كغيره من البلاد التي لم تسعد ولم تتحرر ولم ينشأ لها مجد وذكر الا بالاسلام، ولم تنحط عن عليائها وتقع فريسة في أيدي اعدائها الا بترك الاسلام والعدل والاحسان. فلن تعود لها حياة ولا عزة ولا مجد الا بالاسلام، لأن الامم المحيطة بها مسيحية متعصبة تختلف وجهاتها في الحياة، وتتفق جميعاً على افتراس المغرب واقتسامه وابتلاعه، فانقسام المغاربة واتباعهم للخطط الأوروبية، كالوطنيات الخاصة والاحزاب المتفرنجه، لا يجديهم نفعاً. وأضعف من ذلك فزعهم الى جمعية الأمم المتحدة ومجلس الخوف الذي يسمى مجلس الأمن. فمجموع سكان المغرب من حدود مصر الى آخر افريقية البيضاء - وهي قطر شنقيط في الجنوب المتاخم للسنغال ـ عددهم قريب من خمسة وعشرين مليوناً يزيد قليلاً او ينقص قليلاً[1]، كلهم مسلمون ومتجانسون ومتفقون في العادات وفي اللغة، لأنهم خليط من العرب والبربر؛ والبربر يتصلون

(١) كان هذا التقدير يومها، أما اليوم فإن العدد قد تجاوز الأربعين مليوناً ـ وشنقيط هي المسماة الآن موريتانيا ـ الناشر.

بالعرب في أصل بعيد، ويتفقون معهم في العادات والميول والطباع ولذلك لم تستطع أمة من الأمم، لا الفينيقيون ولا القوط ولا الروم، ان يمتزجوا [1] بهؤلاء القوم كما امتزج بهم العرب واتحدوا معهم في العقيدة وسائر مقومات الحياة الاجتماعية.

### اعتراف

وقد اعترف مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية، وهم نخبة من العلماء الأوروبيين، ان أعظم اسباب انحلال الدولة المغربية هو تعصب النصارى الأوروبيين المحيطين بها. فما هو السلاح الذي يدافع به هذا التعصب والتألب؟ ليس الا الاسلام لأنه هو الرابطة الروحية الوحيدة التي توحد جهودهم وتجمع شملهم وتؤلف بين قلوبهم وتجعلهم صخرة يتحطم عليها التعصب الأوروبي المسيحي؛ ثم أن الاسلام هو الذي يهذب نفوسهم ويقوي ايمانهم ويصلح اخلاقهم ويزيل من بينهم جميع الحزازات والادران.

### تفصيل

ثم ان سكان المغرب مختلفون في الوقت الحاضر من حيث الشعور والاحساس.

١ ـ فأهل طرابلس وبرقة قد أخمد نفوسهم هذا الاستقلال الاستعماري الذي أعطوه وقطعهم عن اخوانهم في الجملة، مع ان عددهم لا يزيد على المليون الواحد.

---

(١) والفضل في هذا الامتزاج والاتحاد يعود الى الاسلام الذي استجابت له الشعوب البشرية شرقاً وغرباً لأنه دين الفطرة: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾.
« اللجنة »

٢ ـ وأما سكان تونس فعندهم يقظة طيبة وحماسة واتحاد في الجملة. وهذه أسباب تبشر بالخير، ولكن عددهم لا يزيد على ثلاثة ملايين، وأغلب رؤسائهم متجهون اتجاهاً قومياً مقتبساً من الأوروبيين ولا يتمسكون تمسكاً دقيقاً بهدي الاسلام. وهذا ينقصهم من الوجه المعنوية ويجعلهم منفردين عن بقية اخوانهم، ومستغنين بأنفسهم؛ ومحال ان ينال أهل تونس استقلالاً وعزة وسعادة وحدهم بدون الاتحاد مع سائر المغاربة.

٣ ـ واما أهل الجزائر وعددهم نحو عشرة ملايين فهم أهل شجاعة وكرم وحسن اخلاق فأغلبهم من العرب الخلص، ولكن الوضع الاستعماري الذي فرضته عليهم فرنسا، وهو كونهم مستعمرة ملحقة بفرنسا، أم الوطن بزعمهم، حد من نشاطهم وفرق كلمتهم، فتأخروا في ميدان الجهاد لا عن قصد ولا عن ضعف ايمان، ولكن بسبب المكيدة الفرنسية. فهناك في الشمال جماعتان تعملان بنشاط احدهما ( جمعية العلماء ) التي اسسها الرجل الصالح والعالم العامل الشيخ ( عبد الحميد بن باديس ) رحمة الله عليه. وهذه الجماعة ترجح جانب التعليم وتنوير الافكار وتهذيب النفوس واعدادها للجهاد على منابذة الفرنسيين الناجزة، وقد قطعت في هذا الميدان شوطاً طيباً. والجماعة الثانية هي جماعة (حزب الشعب) الذي يرأسه الحاج (مصالي الزواوي). وهذا الحزب حزب اسلامي وطني، يمتاز بالتمسك بالاسلام ويجاهد لاستقلال الجزائر وتخليصها من الاستعباد الفرنسي بكل الوسائل

التي تناضل بها الاحزاب في الدنيا. لذلك وجهت فرنسا جهودها لخنقه، فلذلك لا يزال اتباعه محدودين، وقد ضيقت عليهم دائرة العمل ورئيسهم معتقل لا يخرج من الاعتقال الا قليلاً ثم يعاد اليه، منذ زمان طويل.

وأما القسم الجنوبي من الجزائر فهو يحكم بأحكام عرفية منذ مائة سنة فلا يمكن أن تقع فيه حركة جهادية بأي وجه من الوجوه.

وبالجملة فالجزائر متأخرة بعض التأخر في الجهاد للأسباب المتقدمة.

٤ ـ وأما سكان مراكش: فعددهم ما بين عشرة ملايين واثني عشر مليوناً، وعلتهم قلة العلم الى حد ان نحو نصفهم لا يعرفون اللغة العربية لا الفصحى ولا العامية ولا يعرفون الاسلام الا بالاسم. لذلك يسهل تضليلهم لانهم لا يعرفون ما يجري في العالم بل ما يجري في مراكش نفسها.

ولنضرب لذلك مثلاً: القضية الحاضرة [١] التي انتهت بعزل السلطان سيدي (محمد بن يوسف) ونفيه الى جزيرة كورسيكا. فبعدما توفي والده مولاي يوسف بن الحسين نفذ الفرنسيون الظهير [٢] البربري، لأن ختم السلطان صار بأيديهم وكان سيدي محمد بن يوسف صغيراً لا يستطيع المقاومة.

(١) كتبت هذه الرسالة قبل عودة السلطان محمد الخامس من المنفى.

(٢) الظهير: المرسوم وهو قانون وضعته فرنسا لتكيد المسلمين في أعراضهم وأنسابهم، كما حاولت قبيل خروجها من سوريا ولبنان وضع مثل هذا القانون، غير أن وعي الأمة صرف ذلك بفضل الله ـ الناشر ـ

وبقي الامر على ذلك الى ابتداء الحرب العالمية الاخيرة فتكامل نمو السلطان العقلي وبلغ أشده من التفكير وعزم على استرداد حقوقه من الفرنسيين، فأخذ منهم ختمه وأعلمهم انه لا بد من أخذ رأيه قبل إصدار اي مرسوم من مراسيم الادارة، ولم يكن هنالك من يقف في وجوههم إلا الأحزاب الوطنية التي نشأت منذ عهد قريب، وأقواها حزب الاستقلال.

وكان الفرنسيون يحولون دون اتصال هؤلاء الوطنيين مع السلطان. ويوهمونه ان ( حزب الاستقلال ) يريد ان يأخذ الحكم فيعزل السلطان ويطرد الدولة الحامية من المغرب. وقد راج ذلك على السلطان في أول الأمر، حتى أنه وافق على الفتك بالوطنيين من اتباع حزب الاستقلال سنة ١٩٣٧. فنفي رئيسه السيد ( علال الفاسي ) الى افريقيا الاستوائية ونفي اعضاؤه الآخرون الى الصحراء في جنوب المغرب، وقبض على آلاف من اتباع هذا الحزب، وكذلك قبضوا على رئيس ( حزب الشورى والاستقلال ) السيد ( محمد بن الحسن الوزاني ) وهو من اقطاب الوطنيين.

## اتحاد

وبعد انتهاء الحرب اطلق الزعماء الوطنيون او اتصلوا بالسلطان، وكان تفكير السلطان كما تقدم قد نضج وتكامل ولم

يبق في الامكان تضليل الفرنسيين له، فاتحد السلطان مع الوطنيين من حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال، ووضعوا الخطط للمطالبة باستقلال المغرب، فراع ذلك الفرنسيين وهالهم خصوصاً بعد ما عين السلطان مستشارين من الوطنيين وعين بعضهم حكاماً على النواحي. ومن ذلك الحين بدأت المعركة بين الفرنسيين المستعمرين من جهة والسلطان وحزب الاستقلال من جهة اخرى. فكان هم الفرنسيين ان يبعدوا الوطنيين عن السلطان، ومن الحكم ومن المناصب العالية، وما زاد ذلك السلطان الا تمسكاً بهؤلاء الوطنيين فصار الفرنسيون يهيؤون المراسيم التي تضعف حزب الاستقلال وسائر العاملين لمصلحة المغرب من المستقلين عن الأحزاب فيرفض السلطان التوقيع عليها فتبقى متراكمة مدة طويلة، ويهدد الفرنسيون السلطان بالعزل فيستمر على امتناعه عن التوقيع.

## أولياء فرنسا!

قلنا: ان الوطنيين من اتباع الأحزاب وغيرهم يناصرون السلطان، وللفرنسيين انصار في داخل المغرب هم امراء القبائل وكبيرهم ( التهامي الكلاوي ) واصحاب الطرائق المتصوفة ومن في معناهم من الفقهاء والمنافقين وكبيرهم ( عبد الحي الكتاني ). فهاتان قوتان قوة مادية وهي الكلاوي ومن معه وقوة روحية وهي عبد الحي الكتاني ومن معه ينصرون المستعمرين الفرنسيين لالأن السلطان مخالف للشريعة الاسلامية كما يزعمون ومائل الى التفرنج

فإن ذلك بهتان عظيم، ولكن لانهم يعلمون أن الامة المغربية لا تزال مريضة وزمان شفائها غير قريب، والمناصب والاموال في أيدي الفرنسيين.

## الكلاوي

وينبغي لنا أن نوضح حال الكلاوي قليلاً ليعرف القراء مبلغ نفوذه. فهو أمير قبيلة ( كلاوة ) البربرية ورث هذه الامارة عن أبيه وجده وهو لا يتميز عن غيره من الامراء في الأصل بشيء، ولكن حين أخذ الفرنسيون يفتحون المغرب بلداً بلداً وقبيلة قبيلة، تقدم لهم الكلاوي وهو من سكان الجنوب فقال لهم اعطوني السلاح فقط وانا أكفيكم فتح الجنوب كله فلا تكلفوا أنفسكم جيوشاً ولا عناء، فأعطوه ما يريد، وفتح لهم الجنوب كله، فصارت له بذلك مزية ورئاسة على غيره من الامراء، وجمع اموالاً عظيمة. واتصلت العلاقة بينه وبين فرنسا حتى صار يقدم الهدايا لرئيس الجمهورية الفرنسية فيكافئه عليها، وبلغ من نفوذه أن يحكم بالقتل على بعض رعاياه بدون مشاورة الفرنسيين، وهذا الأمر لا يستطيعه أحد في المغرب لا السلطان ولا غيره.

## أعداء أنفسهم

فلما اشتد النزاع بين المستعمرين والسلطان ومن معه من الوطنيين رأوا أن أحسن ضربة يوجهونها الى السلطان وحزبه تكون على يد المغاربة أنفسهم فشاوروا الكلاوي فقال لهم: انا ساعدتكم

على فتح المغرب أولاً، وانا الذي أساعدكم اليوم وأحل المشكلة، فما عليكم الا ان تطلقوا يدي وتعطوني السلاح وما أريد، ولا أكلفكم غير هذا فبعد تفكير طويل ومراجعات بين المندوبين السامين في المغرب وبين حكومة فرنسا وافقت الحكومة الفرنسية على رأي الكلاوي وأطلقوا يده وأعطوه ما يريد من السلاح فعبأ جيشاً عظيماً من الفرسان المدججين بالسلاح وحاصر المدن المغربية الكبرى، بدعوى ان السلطان خرج عن الشريعة الاسلامية واغتر بسفهاء الشبان، وأراد ان يوقع المغرب في كارثة، وكان ذلك قبل بضع سنوات، فكان الوطنيون يقومون بالمظاهرات، ويطيرون الاخبار الى جامعة الدول العربية والى الامم المتحدة، والسلطان يكتب الى رئيس الجمهورية ويذكره بالمواثيق والعهود التي قطعتها فرنسا على نفسها عند بسط حمايتها على المغرب.

## الاصلاحات!!

وسافر السلطان الى فرنسا قبل ثلاث سنين تقريباً، وأقام فيها شهراً يتفاوض مع حكومة فرنسا فلم يقع بينهما اتفاق، لأن الفرنسيين عزموا على تقيد السلطان بمجلس مؤلف من أعضاء نصفهم من الفرنسيين ونصفهم من أذناب الفرنسيين من المغاربة وهذا المجلس هو الذي يدير الحكومة المغربية، يولي ويعزل ويتصرف في جميع الشؤون فلا يبقى للسلطان الا الاسم. ومن المعلوم أن السلطان هو الرئيس الديني وهو الرئيس الاداري، فلا يجوز أن يدور أمر بدون موافقته ولذلك رأى في هذا المجلس الذي

اقترحه الفرنسيون وسموه ( اصلاحاً )، رأى فيه شبح الموت الذي يقضي على عرشه الى الابد، فلم يلن ولم يخضع لاي نوع من أنواع التهديد والوعيد ولم يجد الفرنسيون سلاحاً يوجهونه اليه أمضى من الكلاوي ومن معه من الامراء من الوجهة المادية والكتاني ومن معه من شيوخ الطريقة وسفهاء الفقهاء من الوجهة الروحية. فكان السلطان بين أمرين: اما أن يرجع الى سياسته الاولى ويتبرأ من الوطنيين المغاربة من مستقلين وحزبيين، ويوافق على عزل ذوي المناصب العالية منهم والقبض عليهم ونفيهم وحبسهم، ولا يكفيه ذلك حتى يوافق على ( الاصلاحات )!! وهي التخلي عن سلطته الدينية والسياسية الى مجلس فرنسي استعماري، فيحفظ بذلك منصبه اسمياً وشكلياً فقط ويبقى عكازاً للاستعمار بعدما قطع شوطاً في الجهاد اشرأبت اليه ابصار العالم الاسلامي وغير الاسلامي، وبين ان يضحي بعرشه. وكان يظن ان الحكومة الفرنسية عندها شيء من العقل والتروي يمنعها من الاندفاع وراء اغراض الحكومة الاستعمارية الفرنسية في المغرب ولكن تبين له اخيراً ان الحكومة الفرنسية المركزية خاضعة للمستعمرين الفرنسيين في المغرب وهم الذين يسيرون المقيم ( المندوب السامي ) ويديرون دفة الامور في المغرب كما يشاؤون فرجع الاستعمار في خطته على الارتداد الى الوراء، ولو أدى ذلك الى ذهاب ملكه.

## استعمال الكلاوي أيضاً

فلما علم الفرنسيون ان التهديد والوعيد لا يخيف السلطان،

وان فقد الملك لا يرده عن خطته، وخافوا، من طول زمان المشادة، ان يزيد في يقظة المغاربة وتوهين الكلاوي والكتاني واتباعهما، أمروا الكلاوي ان يزحف بجنوده على المدن المغربية من جديد فبلغت جيوشه الى ان حاصرت القصر السلطاني، فخاف السلطان أن يقع أسيراً في يد البرابرة الوحوش ورئيسهم الكلاوي فطلب من المقيم أن يوقف هذه الجيوش، وأن يحمي القصر من عبثها فعندئذ طار المقيم الى فرنسا لمشاورة الحكومة المركزية، وتشاورت الحكومة الفرنسية ٢٤ ساعة فقررت عزل السلطان ونفيه.

### مشكلة!!.

بقيت هناك مشكلة وهي من يحل محل السلطان؟ لم تغفل فرنسا هذه المسألة بل فكرت فيها منذ زمن طويل فلم يخطر في بالها ان ترشح الكلاوي لهذا المنصب لأن المغاربة من الخاصة والعامة قد استقر في أذهانهم منذ زمان طويل ان هذا المنصب لا يليق الا بأهل بيت النبي ( ﷺ ) والدولتان الاخيرتان ( دولة السعديين ) و(دولة العلويين) [1] هما من أهل البيت النبوي ولذلك بحثوا عن رجل من البيت العلوي يقبل أن ينصبوه سلطاناً اسمياً يرتكبون جرائمهم باسمه، فلم يجدوا الا سيدي ( محمد بن عرفة ) بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي نسبة الى ( علي الشريف ) الذي قدم من الحجاز الى المغرب وهو ( جد العلويين ).

---

(١) الدولة الحاضرة هي دولة العلويين. الأدارسة حكام المغرب والنسبة إلى جدهم، لا للمذهب المعروف في بلاد الشام.

## ابن عرفة

وهذا الرجل ( ابن عرفة ) ظاهر حاله الصلاح والتمسك بالاسلام الا انه ليس من اهل العلم بل هو من العامة الصرف، ليس عنده علم لا بعلوم الدين ولا بعلوم الدنيا فدعاه الكلاوي بإيعاز من الفرنسيين الى ان يتولى منصب السلطنة الاسمية، وقبل ذلك. وأنا أعرفه شخصياً وما كنت أظن ان يقبل هذا الامر فسبحان مقلب القلوب! والفرنسيون اليوم عازمون على تنفيذ خطتهم وقد بدؤوا في تنفيذها، فعينوا ثلاثة من المستعمرين الفرنسيين وثلاثة من مطاياهم المغربيين وجعلوا الادارة بأيديهم فصار هذا ( المجلس ) بدلاً من السلطان ولم يبق للسلطان الا الدعاء له على المنابر والرئاسة الاسمية.

## تدابير

وقد قبضت الحكومة الفرنسية على اثنين وعشرين الفاً لا على اربعمائة وخمسين كما تزعم، فبعض هؤلاء نفتهم الى خارج المغرب وبعضهم نفتهم الى الصحراء وبعضهم زجتهم في سجون المدن المغربية، لأنها توقعت قيام ثورة تربو على سائر الثورات الماضية، لأن المغاربة يؤمنون بولائهم للعرش العلوي وله مكانة في قلوبهم لا تساويها مكانة، وقد تضاعف اجلالهم ومحبتهم للسلطان سيدي محمد بن يوسف بصورة لم يسبق لها مثيل في المغرب، لأنه أسس نهضة ثقافية فأنشأ من ماله الخاص، وانشأ الأغنياء باسمه، مئات

المدارس الابتدائية والثانوية بعد ان لم تكن هناك مدرسة واحدة مغربية اسلامية وانما كانت المدارس التي يسيرها الاستعمار، ولأنه شاب صالح [1] متمسك بالاسلام على الطريقة السلفية الخالية من الخرافات والبدع.

## في طنجة

وقبل بضع سنوات زار طنجة [2] وقد حاول هذه الزيارة سنتين، وكان الفرنسيون يمنعونه منها لئلا يظهر أمام الدول فيخرج نفوذه الى خارج المغرب ويحترمه الناس، وفي الأخير تغلب على الفرنسيين وزار طنجة، وقد بذل الفرنسيون جهداً عظيماً لتقليل اتصاله بسفراء الدول الا بحضورهم، ولاخماد المظاهرات الحماسية التي قام بها المغاربة ومن جملة مزايا السلطان الدالة على ذكائه وكمال سياسته أنه اراد أن يصلي بالناس صلاة الجمعة في الجامع الكبير في طنجة ويخطب فيهم خطبة يشفي صدورهم فيها ويبين لهم خطته الاصلاحية. ولكنه عرف أن الفرنسيين لا يمكنونه من هذا الامر فكتمه في نفسه حتى بقيت ساعتان لصلاة الجمعة فأمر من يثق به من اصحابه ان يهيء مكبرات الصوت على منبر الجامع الكبير ويتخذ وسائل اخرى من هذا القبيل، فقام هؤلاء

---

(١) نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقول اذا أردنا الثناء على احد (اللجنة).

(٢) منطقة دولية.

الأصحاب بتنفيذ هذا الامر وهم لا يعلمون ـ فضلاً عن غيرهم ـ ماذا يقصد السلطان من ورائه. فلما حان وقت الصلاة خرج الى المسجد، وبدلاً من ان يقصد المقصورة الخاصة به مضى حتى صعد المنبر وجلس وأمر المؤذن أن يؤذن. فخطب خطبة مشحونة بالمواعظ والآيات والأحاديث والنصائح وأوضح خطته في الجهاد لاسترداد مجد المغرب وعزة الاسلام، فأجهش الناس بالبكاء وامتلأ المسجد والبيوت المجاورة له والشوارع، حتى كاد الناس يقتل بعضهم بعضاً واغتاظ الفرنسيون ولم يجدوا سبيلا الى تلافي الامر.
ومن الكرامات التي يشهد بها كل من حضر هذه الزيارة أن مدينة طنجة التي ربع سكانها من الاوروبيين من أجناس مختلفة وفيها من الفجور والخمور وفساد الاخلاق خصوصاً في المواسم والاحتفالات ولو كانت اعياداً اسلامية، ما لا يوجد له نظير في بلاد المغرب ولكن في الاسبوع الذي اقام السلطان في طنجة لم تظهر فيه بغي ولا شربت خمر علانية في الحانات. وكان الناس مقبلين على طاعة الله كأنهم في زمان أحد الخلفاء ولم ير الناس هذه الحالة قبل هذا الاسبوع وبعده.

وكنت انا على مقربة من طنجة في تطوان وليس بينهما الا ساعة في السيارة وما منعني من الحضور الا أنني منفي رسمياً من طنجة ومن سائر بلاد المغرب الذي بيد فرانسة.

## من هنا الطريق لأهل المغرب جميعاً

س ١٠ ـ ماذا ينبغي لأهل المغرب ان يعملوا لرتق هذا الخرق؟

ج ١٠ ـ لا يمكن ان يتخلص المغاربة من مخالب الاستعمار الفرنسي الا بتعميم العلم والعمل بالدين الحنيف، والاتحاد من شنقيط الى مصر أمة واحدة لها غرض واحد وهو استرجاع استقلالهم المغصوب ودولتهم المهضومة. وهذا العلم والعمل يجب ان يكون على منهاج السلف الصالح مع التسامح مع المخالفين كيفما كانوا، الا الخونة الذين يسيرون في ركاب الاستعمار، واما النظم الافرنجية التي يسير عليها حزب الاستقلال فانها لا تثمر الا قليلاً، ولنا في الاحزاب الشرقية والدول العربية أعظم عبرة.

لا تزال الامة المغربية متمسكة بالاسلام لا تبغي به بديلاً ولكن الضعف في القيادة. فالقادة قسمان: قسم يتمسك بالعبادات الظاهرة بما فيها من البدع والخرافات ويعمل في الباطن لنصر الاستعمار وهو شر من المستعمرين وقسم متفرنج يعمر النوادي والملاهي بدلاً من المساجد ويفزع الى الأمم المتحدة ومجلس الخوف. ولا يستطيع واحد من هذين القسمين ان يقود الامة المغربية الى ساحل السلامة. وان جمعيه العلماء الجزائريين قد خطت خطوة طيبة في الصراط المستقيم. فيجب على جميع المغاربة ان يقتدوا بها في الوجهة الروحية والثقافية.

## الاسلوب الناجح

س ١١ ـ ماذا ينبغي للجامعة العربية ولسائر الدول والجماعات العربية ان تعمل لحل هذه المشكلة؟

ج ١١ ـ الدول العربية والجامعة العربية تتكلمان باسم الامة العربية وتساعدهما الدول الآسيوية والافريقية وليس عندهم حول ولا قوة لانقاذ المغرب ولا غيره في الورطة الحاضرة، ولكنهم يستطيعون يقيناً ان يقوموا بعمل يضر دول الاستعمار ابلغ الضرر وقد يحملها على تغيير خطتها او تغيير شيء منها وهو:

١ ـ الخروج من الامم المتحدة ومجلس ( الامن!! ) بدون انذار.

٢ ـ قطع العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية والرياضية والمواصلات الجوية والبرية مع فرنسا ومن يوافقها على خطتها من الدول الاوروبية والامريكية.

٣ ـ الاتصال باخوانهم المغاربة بالوفود السرية من الجانبين والاطلاع على كل ما يجري هناك من دقيق الامور وجليها.

فان عملت الدول العربية والجامعة ومن يؤيدهما هذا العمل وهو لا يكلف حرباً ولا ضرباً ولا يخسرها ـ ان شاء الله ـ من الوجهة المالية: بل يحسن اقتصادياتها ويرفع شأن سكّتها ( أي عملتها ) ويجعل لها قيمة امام العالم ويشجع المغاربة وسائر الامم المهضومة المظلومة على الجهاد الداخلي، بل يعطيها من القوة والتجلد والصبر أضعاف أضعاف ما عندها اليوم، فإن لم يفعلوا فكل ما يقومون به لا يضر عدواً ولا يسر صديقاً وانما هو تخدير لاعصاب أممهم.

## واجب الدعوة

س ١٢ ـ هذا واجب الحكومات، فما هو واجب الافراد؟

ج ١٢ - واجب الافراد ان يبثوا الدعوة لتوحيد المسلمين وجمع كلمتهم لمحاربة اعداء الاسلام اينما كانوا بكل وسيلة مشروعة وتنوير الافكار وتهيئتها للرجوع الى الدعوة الاسلامية الصافية من جميع الشوائب الطارئة برفق ولطف ولين وحسن نيه، ومتى اقنعوا شخصاً من الرجال او النساء بهذه الفكرة يكونوا قد ربحوا قوة جديدة. وليس في قدرة الافراد اكثر من هذا.

**طنجة.**

س ١٣ - نريد كلمة قصيرة توضح احوال منطقة طنجة

ج ١٣ - طنجة مدينة على ملتقى البحرين على شاطىء المضيق المعروف بالزقاق الواصل بين البحر الابيض المتوسط والبحر المحيط الاطلنطيقي. واذا كان الانسان في بيت من البيوت في طنجة يرى امامه جبل طارق قائماً على قمة عظيمة ويرى عن يساره قريباً في الشاطيء الاسباني مدينة طريفة ( المنسوبة الى طريف بن مالك القائد العربي المشهور ) وتليها من جهة الشرق على الشاطىء ايضاً الجزيرة الخضراء « الخسيرة بالاسبانية » ومعلوم ان جبل طارق بيد الانكليز والخسيرة « الجزيرة » من جملة البلاد الاسبانية.

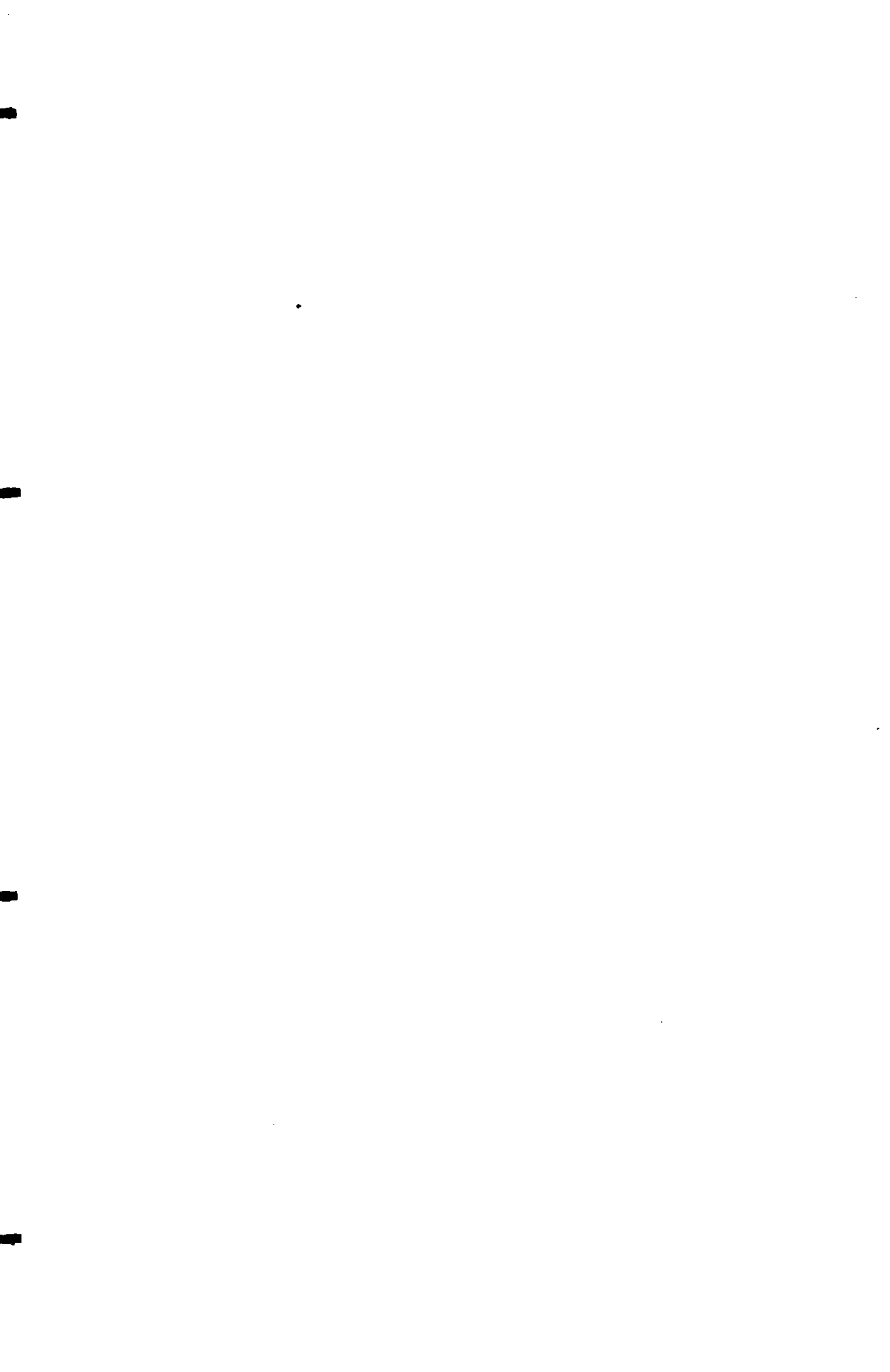
مدينة طنجة صغيرة جميلة يمكن ان يكون عدد سكانها نحو ستين الفاً اذا ضممنا ما يحيط بها من الارباض. تحدها من الشرق المنطقة الشمالية التي تحت حماية اسبانيا ومن الشمال المضيق، ومن الغرب البحر المحيط الاطلنطيقي ومن الجنوب المنطقة السلطانية. وهي القسم الذي تحتله فرنسا وهو القسم الاكبر.

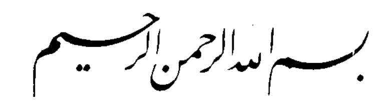
# الإسلام يكافح الاستعمار

## في بلاد المغرب

للأستاذ

تقي الدين الهلالي





الحمد لله وصلى الله على محمد وعلى آل محمد.

أما بعد فهذه (دفعة) أخرى من اجوبة الاسئلة التي وجهتها اللجنة الى الاستاذ تقي الدين الهلالي وأجاب عليها الاجوبة التي نشرت في النشرات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والثانية والعشرين.

وهي حلقة أخرى من حلقات جهاد المغرب الاسلامي ننشرها خطوة اخرى في سبيل تعريف المسلمين في هذه البلاد باخوانهم هناك وتذكيرهم بواجبهم نحوهم الذي نسوه، وعملهم الذي أهملوه.

أما بعد فهذه ذكرى.. ألا إن الذكرى تنفع المؤمنين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**(لجنة المسجد)**

# الاسلام يكافح الاستعمار

## في بلاد المغرب

س ١٤ ـ ماذا تذكرون من مؤامرات الافرنسيين ومكرهم في حرب الاسلام؟

ج ١٤ ـ في المثل انما اكلت يوم اكل الثور الابيض؛ فكذلك يقال إنما استولت فرنسا على المغرب كله يوم استولت على الجزائر، فمنذ ذلك الحين أي منذ قرن وربع طمعت فرنسا في الاستيلاء على الشمال الافريقي بأسره فاستولت على تونس بعد الجزائر ثم وجهت مكايدها الى مراكش ومن مكايدها انها اخذت ترسل دعاتها تارة بشكل اولياء صالحين وتارة بشكل غزاة فاتحين يريدون انقاذ المغرب من الظلم والفوضى وحفظه من استيلاء الاعداء!! . . وقد كانت تتربص ان يغلب جيش السلطان وتشتعل عليه نار الثورات التي توقدها فرنسا بارسال الدعاة من الجزائر والاسلحة والاموال حتى اذا رأت ان السلطان قد احيط به وضاقت عليه الأرض بما رحبت، تقدمت اليه بالمعونة والانقاذ من ايدي الثوار وبهذه الطريقة استولت على المغرب (مراكش) وبها نفسها عزلت السلطان محمد بن يوسف في هذه الايام. فهي مكيدة قديمة. وما كانت فرنسا

تظهر انها تحتاج الى استعمال هذه الطريقة بعد أن فتحت المغرب كله وأخمدت انفاسه وتمكنت من الاخذ بناصيته لولا نبوغ السلطان ومناصرة الوطنيين لدعوته.

ويحسن هنا أن نخبر القراء الكرام أن فتح فرنسا لمراكش لم يكن بالامر الهين الذي يتم في يوم او اسبوع او شهر؛ فإنه استمر من عام ١٩١٢ الى عام ١٩٣٤ : اثنتين وعشرين سنة كلفت فرنسا على ما ذكره بعض مؤرخيها مئة وخمسين الف قتيل؛ وكلفتها سلاحاً ونفقات كبيرة؛ وكان جيش الفتح مشتملاً على خليط من جميع اجناس أوروبا من الالمانيين والايطاليين وسائر الاوروبيين ذكر ذلك اميركي رحّال شاهد ذلك الجيش بعينه في رحلته؛ وهذه المقاومة لم تكن من جيش السلطان ولا من جيش امير من الامراء؛ فإن جيش السلطان انكسر في يوم واحد؛ وانما كانت من المراكشيين ولم يكونوا مجتمعين؛ بل كانت تفتحهم بلداً فبلداً وقبيلة فقبيلة. فيجتمع على القبيلة الواحدة الجيش الفرنسي بما فيه من اخلاط وسنغاليين وجزائريين؛ فلا تزال تقاتل صابرة على الجوع حتى تهدم قراها وتلتجىء الى المغارات لتضع نساءها واطفالها فيها.

ومما كتبه الجنرال ليوتي الذي فتح المغرب، كتب ذلك سنة ١٩٢٣، قال : (قد مضت علينا في فتح المغرب عشرة سنة وما فتحنا إلا ثلثه). ومن اسباب تأخر هذا الفتح الحربُ العالمية الأولى. وقد طلب كثير من ذوي الرأي في فرنسا التخلي عن مراكش الى أن تنتهي الحرب ثم تعيد فرنسا الكرة عليه ولكن الجنرال ليوتي

أبى ذلك وقال لهم : (اعطوني المال وما يفضل عن حاجتكم من السلاح وأنا أضمن لكم المحافظة على ما فتحناه من المغرب؛ بل اضمن لكم استمرار الفتح (ولو ببطء) فتم له ما اراد.

- كيف كانت فرانسا تفتح البلاد المغربية؟

- كان الجيش الفرنسي اذا استولى على بلد عنوة يصدر القائد أمره (بالسيبه) ثلاثة أيام ومعنى (السيبة) ان كل جندي وجد مالاً في بيت من بيوت البلد فهو له وجميع نساء البلد مباحات للجند؛ فكانت النساء اذا استولى الجيش الفرنسي يهربن هائمات على وجوههن الى الصحراء فيمتن عطشاً وجوعاً أو تأكلهن الذئاب.. وإذا كان بقربهن بحر؛ ألقين بأنفسهن في البحر فراراً من العار وبعد ثلاثة أيام وهي ايام (السيبه) يأمر القائد الفرنسي بجمع الرجال والصبيان المميزين فيفرض عليهم الاشغال الشاقة؛ وهذه الاشغال لا يلزم أن تكون نافعة للفرنسيين كبناء بيوت أو تعبيد طرق مثلا. بل يقصد بها الاهانة؛ فيؤمرون مثلاً بالتقاط روث الخيل اينما كان! فلا يتركون روثة في الميادين الواسعة. ويؤمرون بنقل الرمل من مكان الى مكان في ثيابهم التي يلبسونها ويستمرون على هذا العمل المهين بضعة ايام الى أن يشفي القائد الفرنسي غيظه. ثم يفرض غرامة على البلد من دراهم وحبوب وغيرها.

ومن معاملة الافرنسيين انهم يستولون على الاوقاف كلها. أما في الجزائر فقد اخذوها وامتلكوها كما برهن عليه الامير شكيب ارسلان في مجلة : (LA NATION ARABE)؛ واما في مراكش فإنهم

يضعون احد اذنابهم من المغاربة ناظراً على الاوقاف وهم يتصرفون في ريعها وأموالها ـ ولا يولُّون إماماً أو مدرساً أو مؤذناً أو كناساً للمسجد او شيخ زاوية من المتصوفين الا اذا كان من اذنابهم يحثُّ الناس على طاعتهم ويمدحهم في كل مناسبة. واذا اراد عالم او اديب ان يبقى على الحياد لا يمدحهم ولا يقدح فيهم ولا يتولى منصباً في الأوقاف الاسلامية فإنهم لا يتركونه أبداً بل يَدْعونه ويعرضون عليه الوظائف الدينية والعلمية ويقولون له (مثلك لا يبقى عاطلاً لا ينتفع الناس منه)، فإذا امتنع عن قبولها سجلوا عليه بأنه عدو فرنسا وأخذوا يضايقونه، إن كان تاجراً يعرقلون تجارته وإن كان مزارعاً يفسدون عليه زراعته ويتربصون به الدوائر حتى يجدوا سبيلاً لنفيه وحبسه. اذاً فليس هنالك حياد عند المستعمرين الفرنسيين فإما أن يكون العالم والاديب بوقاً من ابواقهم أو يستعد للعذاب!.. وهذا السبب هو الذي دعاني الى الخروج من المغرب مع اني كنت في اوائل الشباب اذ عرض عليّ قاضي القضاة سيدي احمد سكيرج ان اكون قاضياً في مدينة بقرب (وجدة) [لا أُجده أو أُجّة كما يقول المذيعون]، فلم اقبل بهذا المنصب لأني رأيته هو نفسه وهو قاضي القضاة وعضو في جمعية اوقاف الحرمين وعالم اديب كبير في كل سبت يجتمع بالـ(CONTRO LEUR) المراقب المدني فيعرض عليه قضايا الاسبوع التي جرت في المحكمة ويأخذ رأيه فيها؛ فقلت في نفسي: هو على جلالة قدره يخضع ويخضع الشريعة الاسلامية لهذا الكافر فكيف يكون حالي انا؛ فأنا لا يتيسر

لي إلا حاكم صغير جداً من امثالي في السن اعرض عليه شريعة الرسول ﷺ ولا احكم إلا بإذنه؛ ومع ذلك اقول انني احكم بالشريعة الاسلامية . فعزفت نفسي عن ذلك؛ ومن هذا يعلم القارىء الكريم تدخل الفرنسيين في كل شيء من أمور العلم والدين والدنيا.

ومن مكايدهم للسلطان انهم يصدرون جميع الاحكام ويرتكبون الجرائم باسمه مدعين انهم إنما جاؤوا لحمايته من رعيته! ولتنفيذ امره! ولكنهم يسعون في محو نفوذه فلا يمكنونه من لقاء وفد من وفود رعيته الا اذا كان الوفد من اذنابهم، ويعملون على توهين حكمه وتحقير شأنه في الداخل والخارج، فلا يتركون اسمه يذكر خارج المغرب؛ مثلاً في عيد تتويج الملك جورج ملك بريطانيا وجهت الحكومة البريطانية دعوة للسلطان سيدي محمد بن يوسف لحضور عيد التتويج فمنعه الفرنسيون وأرسلوا ثلاثة من الموظفين الأذناب الذين لا يمتون الى السلطان بصلة نسب ولا شيء؛ وكذلك في عيد تتويج الملكة الحالية.

ومن مكايدهم في اهانة علماء الدين انهم يقيمون حفلات خيرية بزعمهم؛ وفي هذه الحفلات يأتون بالراقصات من بناتهم وهن عاريات لا يستر أجسامهن الا شيء ضئيل يلبس للزي لا للستر ويبعثون دعوة الى قاضي القضاة والمفتي والمدرسين والأئمة وسائر علماء الدين.. لماذا؟ ليحضروا هذه الخلاعة والخمور تُشرب والراقصات تلعب ويتبرعوا لجرحى الحرب مثلاً ويحثون الناس على

التبرع فالعالم الورع يبغث لهم بتبرعه ولا يحضر ذلك الاحتفال الذي يكون في (التياترو)، وقلَّ من يفضل هذا؛ فأكثر العلماء يحضرون بلحاهم الطويلة وعمائمهم الكبيرة وثيابهم الفضفاضة فيكونون سخريةِ للساخرين. وللفرنسيين في هذه الدعوة مقاصد وغايات؛ أولها اهانة العلماء التي هي اهانة الدين وإهانة الأمة؛ وثانيها اختبار العلماء وامتحانهم ليعلموا من بقي عنده شيء من عزة النفس والحياء فيكتفي بإرسال التبرع ولا يحضر، ومن ماتت نفسه وانعدمت مروءته. ولا بد أن يكيدوا لذلك المتخلف بعض الكيد وَيَحْذروه.

ومن مكايدهم انهم يلوحون لعلماء الدين بمحبتهم للطعام المغربي حتى يقيم لهم العالم مأدبة ويخدمهم بنفسه إهانة له ولأمته واطمئناناً على موت قلبه.

ومع موت هؤلاء العلماء المعنوي وفقدهم للشهامة والمروءة فإنهم يخيفونهم احياناً فيدعون الواحد منهم ويقولون انت ذكرت في درسك في اليوم الفلاني في المسجد آية او حديثاً يدل على الجهاد؛ فماذا تعني بهذا الجهاد؟ فيعتذر ويقول انما ذكرت شيئاً مضى؛ فيقولون هذا لا يراد به إلا تهييج الناس على قتالنا فلا يزال يعتذر ويتنصل وهم يضحكون ويسخرون منه في قلوبهم. ورأيت اجازة لأحد علماء الدين من الحاكم الفرنسي في القسم العسكري من بلاد الجزائر وفيها ما معناه : (بشرط الا يذكر في درسه شيئاً من القرآن او الحديث يدل على الجهاد؛ وألا يدرس شيئاً من الباب الخامس من مختصر خليل - في الفقه المالكي - يعنون باب الجهاد).

## المصحف المزيف

ومن مكايدهم ما حدثني به جماعة والعهدة عليهم ان الفرنسيين اتفقوا مع ناشر كتب اسمه (عمر الخياط) من مدينة فاس أن يطبع لهم خمسة آلاف نسخة من المصحف ويحذف منها لفظ (منكم) في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم) ففعل ذلك وأرادوا توزيع هذا المصحف في مدينة (داكار) عاصمة سنغال. وظنوا أن هذا المكر يروج عند السنغاليين لعجمة ألسنتهم وجهلهم؛ ولكن المكيدة افتضحت وانتشر خبرها فجمعوا النسخ التي وزعوها وأحرقوا كل ما طبعوا. ومقصودهم بذلك ان يفسروا أُولي الامر بكل متسلط وإن كان كافرا من اعداء الاسلام.

ومكايد الافرنسيين والاسبانيين والايطاليين في المغارب الثلاثة الأدنى والاوسط والاقصى لا تعد ولا تحصى وهذا وهذا نموذج يقاس عليه.

س ١٥ ـ شيء عن جهادكم ضد الفرنسيين وموقفهم منكم..

ج ١٥ ـ خرجت من المغرب بعدما اتممت دراستي مباشرة ولم اتول اي عمل هناك خوفاً من الوقوع في خيانة الله وخيانة الاسلام وقد تشدد الفرنسيون في إعطائي جواز السفر تشدداً كبيراً بدون سبب حتى ضمنني الاستاذ احمد سكيرج وصرح لهم بأنني محب للفرنسيين وهو رجل له منزلة عالية عندهم وله فضل عليّ كبير. ولم يبدِ مني أي دليل على انني سأعاديهم. ولم تنته امتحاناتهم الا

بكتاب كتبه الاستاذ المذكور الى وزير فرنسا المفوض في القاهرة يوصيه بي خيراً. هذا الكتاب جعل الحكام الممتحنين يطمئنون، مع أني سافرت لطلب العلم.

فلما وصلت الى القاهرة ذهبت الى مسيو (جيار) وزير فرنسا المفوض وقدمت له الكتاب فرحب بي ودعا بالقهوة فقال عند ارادة شربها (باسم الله)، وفي اثناء حديثه قال لي ان اردت أي منصب في المغرب فأنا اكتب لك من هنا بتوليتك اياه. فقلت انني أريد الجولان لأجل لقاء علماء الحديث والاخذ منهم والوقوف على كتب الحديث المخطوطة. وبعد خمس سنين مررت بالقاهرة في طريقي الى الحج للمرة الثانية في سنة ١٣٤٥ فذهبت الى مسيو (جيار) لمشكلة حصلت لي فقال لي من أين جئت؟ فقلت جئت من العراق فقال لي بطريق سورية؟ قلت نعم. قال فهل رأيت هنالك حرباً؟ قلت ما رأيت شيئاً. فقال : الصحف المصرية تخترع حرب خيالية في سورية وكان ذلك آخر العهد به.

وكنت في كل مكان اذكر جرائم الحكم الفرنسي والاستيلاء الفرنسي على المغرب ولكنني لم ابدأ بنشر ذلك في الصحف إلا في سنة ١٣٤٩ من الهجرة واستمررت على ذلك الى سنة ١٣٥٣ هـ فأحسست بأن الفرنسيين ممتعضون مني وصاروا يسيئون معاملتي عند تجديد جواز السفر فتجنست بالجنسية العراقية ولقيت صعوبة كبيرة في هذا التجنس. ولما ارادت وزارة الدعاية الالمانية ان تنشىء اذاعة عربية في مارس سنة ١٩٣٩ سألت العلماء المستشرقين عن

المدرسين من العرب في المانيا أيهم اولى بالاستشارة والاستعانة به في هذا الامـر فدلهـا البروفســور مورتيس وغـيره علي، فدعيت للاستشارة فتوجهت من (بون)، التي كنت مدرساً في جامعتهـا وطالباً الى برلين وأبديت رأيي بعد ما قال لي الموظف الخـاص أن ايطاليا انشأت اذاعة عربية منذ اربـع سنـين. وهـذه الاذاعـات الاوروبية العربية تعطي اخبار ألمانيا مشوهة فنحن مضطرون الى انشاء اذاعة عربية لمدة ربع ساعة نعطي فيها اخبـار المانيا للبـلاد العربية على وجهها وليس لنا غرض استعماري في البلاد العربية. هذا ما قاله (هرولدونر) فقلت له هذا رأي صحيح وكان ينبغـي لكم أن تؤسسوا اذاعة عربية قبل الآن. فقال : وهـل يمـكن أن تشاركنا في هذه الاذاعة؟ فقلت : نعـم أُشـارككم بتصـحيح ما يذاع والمذيعون فهـم كثـير. فاتفقنـا على ذلك وفي اليوم ٢٣ من نيسان من سنة ١٩٣٩ افتتحت الاذاعة العربية في برلين، فأخذت اكتب مقالات اسبوعية اشرح فيهـا جرائـم الاسـتعمار الفـرنسي والبريطاني وغيره.

ومن هنا بدأ غيظ الفرنسيين يشتد عليّ، فأخذت اذاعاتهم في باريس تشتمني، وأخذت جريدة الطـان (LE TEMP) البـاريسية وغيرها من الصحف في الجزائر والمغـرب ومصر تصورنـي صوراً كاريكاتورية وتشتمني وتزعم اني مأجور للدكتـور غوبلـز وزير الدعاية الالمانية. ويعلم الله، ثم يعلم سماحة المفتي السيد امين الحسيني، ان الاذاعة ضيعت لي اثني عشر الف مارك من راتبي

الخاص. واما المقالات التي القيتها في اذاعة برلين العربية فإني لم أتقاض عليها شيئاً ، بل كنت انفق عليها من مالي لانني كنت مكلفاً ان اترجم كل مقال باللغة الالمانية قبل نشره واطبع منه اربع نسخ بالآلة الكاتبة واعرضها على اربع دوائر، فاذا وافقت هذه الدوائر كنت اركب قطار تحت الارض وسميته انا (قطار النفق) في الليل المظلم في وقت الحرب وقبله متعرضاً للغارات الجوية وألقي تلك المقالات جهاراً لأعداء الله وأعداء المسلمين.

ولما استولت المانيا على فرنسا سنة ١٩٤١ وتمكنت من السيطرة عليها منعتني وزارة الخارجية الالمانية ان اذكر فرنسا او المقيم (اي المندوب السامي) في المغرب بسوء. فقلت للموظف الذي صرح لي بالمنع : (انتم قلتم في اذاعتكم من فرانكفورت باللغة الفرنسية قبل استيلائكم على فرنسا : (إن المقيم العام « نُجيسْ » يهودي ولم تتركوا عيباً الا ألصقتموه به وسائر المتنفذين الفرنسيين وانا في هذا المقال أثبت بالبرهان ان « نُجيس » ماسوني لا يهودي، واثبت حقائق هي في مصلحتكم وفي مصلحتنا جميعاً) . فقال لي : (لا يمكن أن يذاع شيء من الانتقاد يوجه الى فرنسا في اذاعتنا ابداً. هذا قرار وزارة الخارجية. ولكن عليك ببريطانيا قل فيها ما شئت) فقلت له : (انا ما ذكرت بريطانيا الا بالتبع لفرنسا وينبغي أن تعلم اننا نشعر بالواجبات الوطنية كما تشعرون بها انتم او اكثر لانكم انتم لكم حكومة تمدكم بالاموال والمساعدات الادبية ونحن نجاهد منفردين، كل واحد وجده ولن أُلقي مقالاً منذ اليوم لا في انتقاد

بريطانيا ولا غيرها). وبعد ذلك بمدة طلب مني هذا الموظف نفسه، ولا يزال على قيد الحياة، ان اكتب مقالاً في غرض من اغراض وزارة الخارجية فقلت له : (كأنك لم تصدق ما قلت لك من قبل من انني انا لا اشتغل في هذه المقالات الا لخدمة الوطن الاسلامي ثم العربي. وسددت الهاتف بدون تحية).

والى الآن لم اعرف ماذا حكمت عليّ به فرنسا. وفي سنة ١٩٤٦ كنت اسعى في الرجوع الى العراق لأرى اهلي وعيالي فتعسرً عليّ الامر ومنعني القائم بالأعمال في القنصلية الفرنسية في مدريد من سمة المرور بمصر حتى احصل على سمة من لبنان مخافة ان ابقى في مصر، فكتبت الى الامير شكيب ارسلان رحمه الله بذلك فقال لي : (اكتب كتاباً الى بشارة الخوري واطلب منه منح سمة دخول لبنان وابعث الكتاب الي لأصحبه بكتاب من عندي فإن لي فضلاً على والده فإني انقذته من الموت وطلب له راتباً من الحكومة العثمانية زيادة على انقاذه من الموت). فكتبت الكتاب وبعثته الى الامير شكيب رحمة الله عليه، فبعد شهر جاءني كتاب من وزارة الخارجية اللبنانية يشتمل على رسالة الى القنصل الفرنسي في تطوان فيه ما معناه : (نرجو ان تمنح الدكتور تقي الدين الهلالي سمة الدخول الى لبنان بالنيابة عنا) وكان القنصل الفرنسي مغتاظاً مني اشد الغيظ وقد احتج مرتين على الحكومة الاسبانية بسبب المقالات التي كنت انشرها في جريدة الحرية فعُطِّلت الجريدة وغرِّمت مرتين. فلما وصلت اليه نظر اليّ شزراً ولم يعطني كرسياً للجلوس،

وقال لي بلهجة خشنة : (هذه دولة قد استقلت وما بقي بيننا وبينها علاقة. فقلت له (أريد جواباً مكتوباً فقال : (انا لا استطيع إعطاء جواباً مكتوباً سأبعث هذه الرسالة الى المقيم العام في الرباط. ومتى جاء الجواب اخبرتك به) فانصرفت وبعد شهرين جاء الجواب بالموافقة وفي هذه المرة تلقاني ببشاشة وقدم لي كرسياً وقال : (انا عمري الآن ٥٥ سنة، ٣٥ منها قضيتها في المغرب فأنا مغربي اكثر من كوني فرنسياً ونحن نحب ان نتعاون مع المغاربة بمودة وصداقة ولكن الدول الاجنبية تنفق الاموال للتفريق بيننا وبينكم). فقلت له : (لست انا ممن يشترى بالاموال) فقال : (لا اقصدك انت ولكن يوجد من المغاربة من يأخذ الاموال من الاجانب) فقلت له : (ان السفير الفرنسي في طنجة طلب من السفير الانجليزي والسفير الاميركي الموافقة على منعي من دخول منطقة طنجة بدعوى انني من عملاء المانيا (اجاند الماني)، وهذا كذب منه. فإنني لم اكن قط من عملاء اية دولة اجنبية وانما من عملاء مراكش) فقال لي انا لست مسؤولا عما يفعل او يقول السفير الفرنسي في طنجة وأنا أُحب أن تخرج من عندي مسروراً وكل ما في قدرتي أعمله لذلك، فإن شئت أن تسافر على طريق فرنسا يباح لك ذلك بشرط أن نعلم ان عندك ما يكفي لنفقة شهر في مرسيليا اذ ربما لا تجد باخرة تتوجه الى الشرق الا بعد مدة فقلت له وهل يجوز لي أن أُسافر على طريق الجزائر وتونس؟ وكان قصدي بذلك اختباره واستدراجه ليقر بما حكمت عليّ حكومته به. فقال لي هذا ليس في

يدي ولا يمكن أن تنزل في الجزائر ولا في تونس وانما تسافر الى مرسيليا رأساً. فأردت أن أزداد علماً بما عنده فقلت له وهي يمكنني أن أسافر الى الرباط لرؤية بعض الاصدقاء والاقارب قبل سفري الى الشرق؟ فقال ايضاً هذا ليس في يدي، وإن شئت ان اكتب بهذا الى المقيم العام فعلت وننتظر الى أن يجيء الجواب..

قلت له : لا حاجة لي بالسفر على طريق مرسيليا، فسأسافر بطريق جبل طارق. ولما اردت السفر بطريق جبل طارق وكان القنصل البريطاني في تطوان مغتاظاً عليّ اشد الغيظ وقد احتجّ على الحكومة الاسبانية بسبب مقالات نشرتها في قضية باكستان في جريدة الحرية. فلما ذهبت أسأل سمة للسفر على طريق جبل طارق امتنع من لقائي وامر نائبه وهو يهودي يوناني ان يلقاني فقال لي : هل حصلت على سمة المرور بمصر وسمة من لبنان وسورية والعراق؟ فقلت حصلت على بعضها. ثم قال : ألم تكن موظفاً عند الالمانيين في الاذاعة تتقاضى راتباً؟ فقلت له نعم كنت المرجع اللغوي في الاذاعة العربية في برلين واما المقالات التي غاظتكم فلم اتقاض عليها شيئاً بل كنت انفق عليها من عندي، وشرحت له ما تقدم. فقال : على كل حال اذا حصلت على جميع الفيزات (التأشيرات) فتعال ولما حصلت على جميع السمات من مصر ولبنان والعراق منعني من السفر على طريق جبل طارق فسافرت بطريق مدريد فالقاهرة بالجو.

وقد ظهر من كلام القنصل الفرنسي في تطوان [انني ممنوع من

الدخول الى بلادي] [1]، ومن اخبار المسافرين الذين شاهدوا صورتي في مركز الحدود بين القسم الفرنسي والقسم الاسباني أنني منفي من المغرب كله (مراكش والجزائر وتونس) ومن منطقة طنجة الدولية كما تقدم.

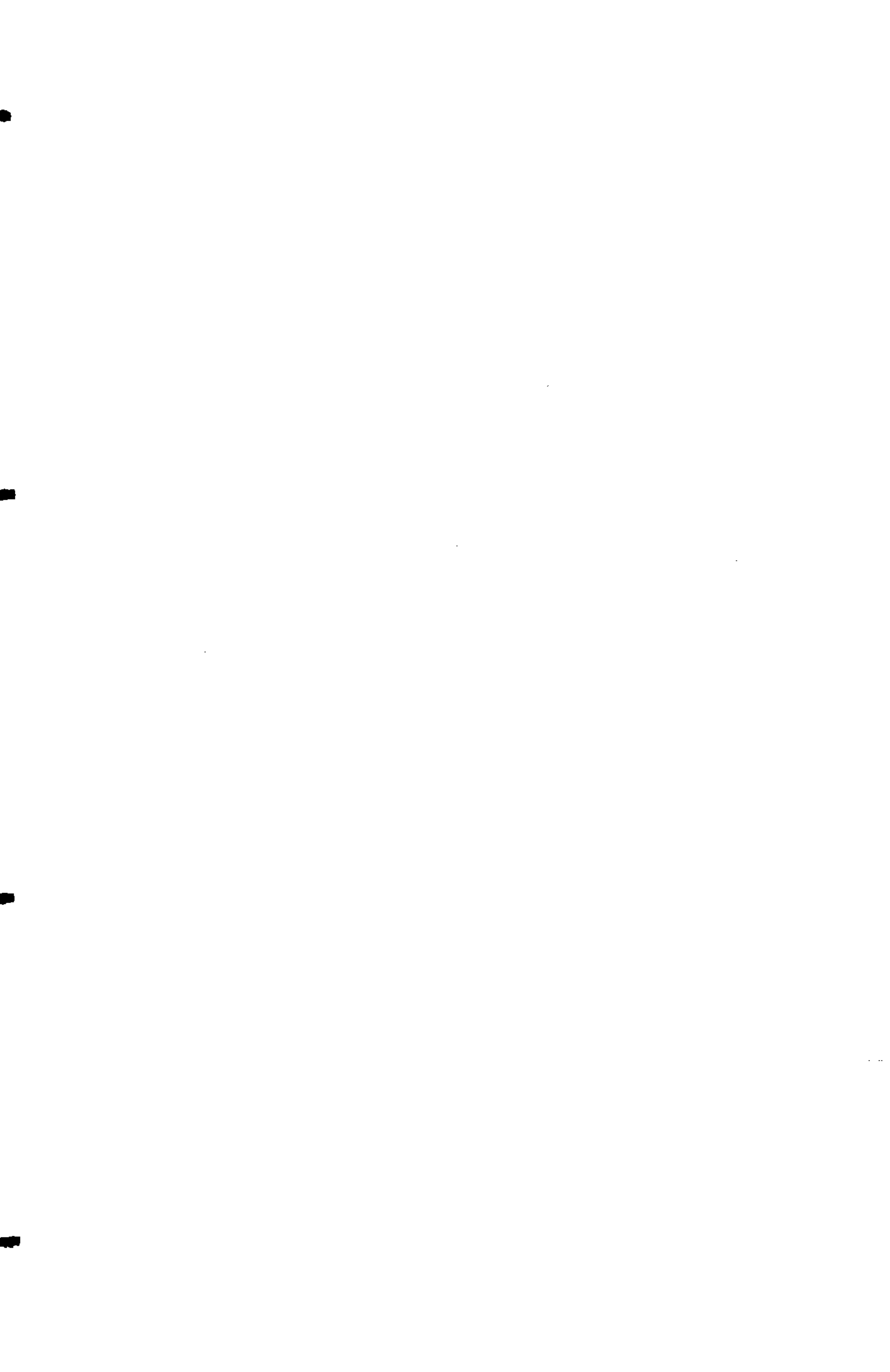
## سبيل الخلاص

وانا أعتقد ان المقالات والخطب والاشتكاء إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن، والجامعة العربية : كل هذا لا يجدي نفعاً، والذي ينفع أهل المغرب هو التمسك بالاسلام وإزالة كل ما يخالفه والجهاد المستمر وتعليم الجاهلين وإيقاظ النائمين، فصلاح المغرب وعزه لا يأتيه من الخارج ابداً وإنما ينبعث من الداخل.

وهذا هو رأيي في حال البلاد الاسلامية كلها وقيامها وقعودها مع دول الاستعمار لا يزيدها إلا خبالا، فان لم تقدر على حربهم ولا على أخذ الحق منهم فلا أقل من ألا تتعاون معهم إلا بقدر الضرورة.

---

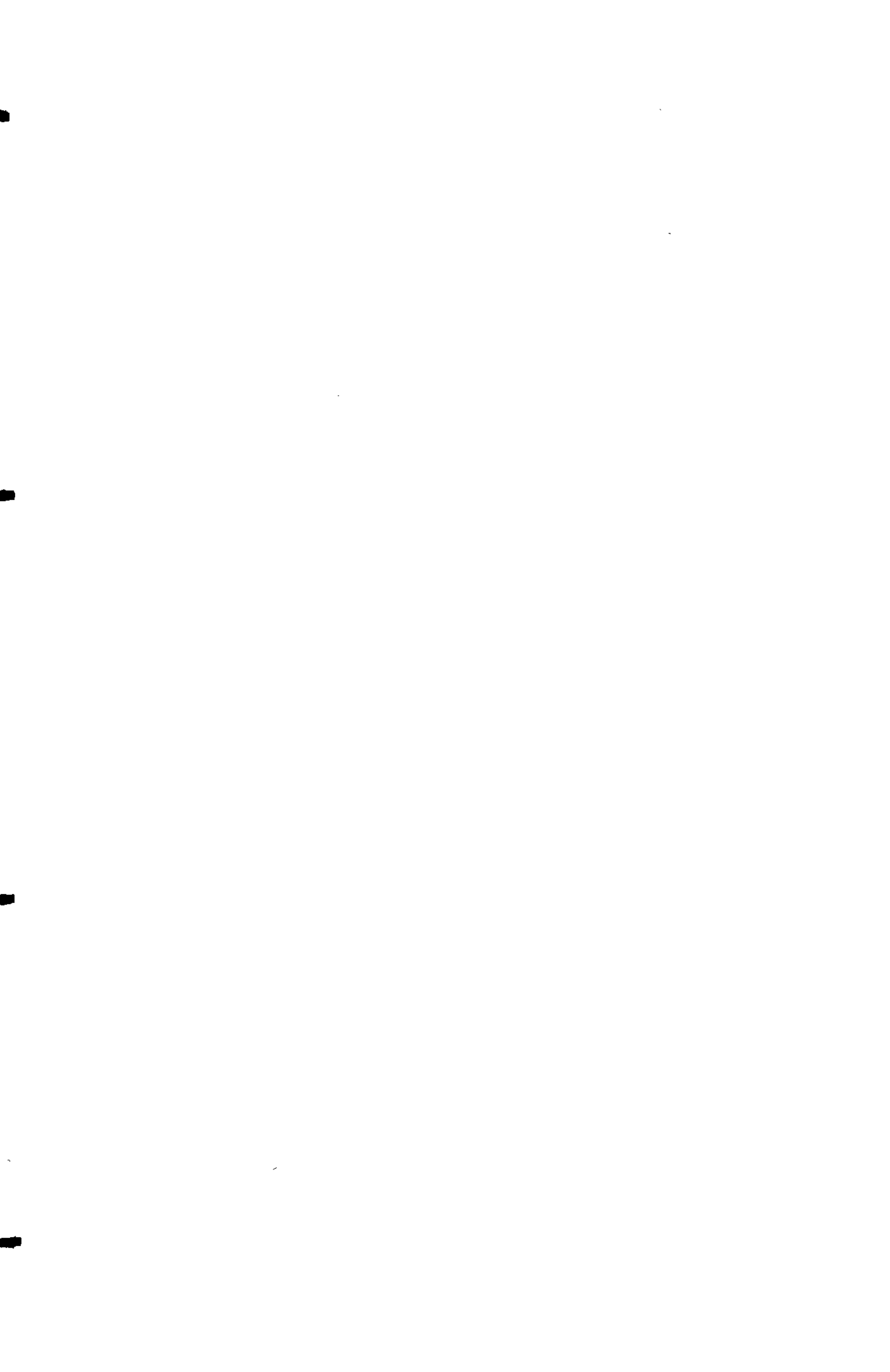
(١) بياض في الاصل واثبتنا ما يغلب على الذاكرة والظن أن الاستاذ قاله والسياق يساعد عليه.



# الإمارة والشورى

لشيخ الإسلام ابن تيمية

(شعبان ١٣٧٥)



# مُقدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

ما كان للدعوة الاسلامية لتنمو وتزدهر لولا هذه الثروة الفقهية الضخمة التي مدنا بها رجال المذاهب رضوان الله عليهم أجمعين ومن أجلٍّ هؤلاء شيخ الاسلام الأمام الحجة تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الذي عرف فيه المسلمون عقلية من أفذ العقليات. وقد نشأ في دمشق في القرن السابع، والوطن الاسلامي مهدد من الخارج بالتتار بعد الصليبيين، ومهدد من الداخل بالطوائف الضالة المضلة، عامر بالمشركين بالله سلطاناً أو هوى أو ضريحاً أو طاغوتاً من الطواغيت الأخر، فوقف يحارب قوى الشر كلها، وكان له في هذا المعترك من الجهاد أوفر نصيب، وكانت حياته جهاداً رائعاً مستمراً، حتى توفي سجيناً في قلعة دمشق في ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨، وهو يردد الآيات الخالدات: ﴿ان المتقين في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [١].

وكتاب السياسة الشرعية من أجل مؤلفاته العديدة ألفه لاصلاح

(١) سورة القمر الآية ٥٤.

الراعي والرعية لما رأى فسادهما . وما أحوجنا الى هذا الهدي في هذه الأيام .

لذا نعود إلى شيخ الاسلام ابن تيمية ، وإلى كتابه السياسة الشرعية خاصة ، نستعيد ما ورد فيه من حقائق وارشادات ووعي سليم اذ نطالع هذا الفصل المختار .

رحم الله ابن تيمية . . لقد كان عقلية اسلامية فذة ، ندر أن يأتي الزمان بمثلها من بعد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

**لجنة المسجد**

# الإمارة والشورى

يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين الا بها، فان بني آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم الى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم ». رواه أبو داود من حديث أبي سعيد وأبي هريرة. وروى الامام أحمد في المسند عن عبدالله بن عمرو، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الارض الا أمروا عليهم أحدهم»: فأوجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك الا بقوة وامارة. وكذلك سائر ما اوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتم الا بالقوة والامارة. ولهذا روي : « أن السلطان ظل الله في الأرض ». ويقال : « ستون سنة من امام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان ». والتجربة تبين ذلك؛ ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون : « ولو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان ». وقال النبي صلى الله عليه

وسلم : « إن الله يرضى لكم ثلاثة : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ». رواه مسلم. وقال : « ثلاث لا يغل (يحقد) عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيطمن ورائهم ». رواه أهل السنن. وفي الصحيح عنه أنه قال : « الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة. قالوا : لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ».

فالواجب اتخاذ الامارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله، فان التقرب اليه فيها بطاعة رسوله من افضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها. وقد روى كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال أو الشرف لدينه » قال الترمذي حديث حسن صحيح. فأخبر أن حرص المرء على المال والرياسة يفسد دينه، مثل أو أكثر من إرسال الذئبين الجائعين لزريبة الغنم.

وقد أخبر الله تعالى عن الذي يؤتى كتابه بشماله أنه يقول : ﴿ ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه ﴾ [1].

وغاية مريد الرياسة أن يكون كفرعون، وجامع المال أن يكون كقارون، وقد بين الله تعالى في كتابه حال فرعون وقارون فقال

(١) الحاقة ٢٨ و٢٩.

تعالى : ﴿أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كانت عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ (١). وقال تعالى : ﴿تلك الدارُ الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ (٢).

فان الناس أربعة أقسام :

القسم الأول : يريدون العلو على الناس والفساد في الأرض وهو معصية الله ، وهؤلاء الملوك والرؤساء المفسدون كفرعون وحزبه ، وهؤلاء هم شرار الخلق . قال الله تعالى . ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ (٣).

وروى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه ذرة من إيمان ». فقال رجل يا رسول الله : إني أحب أن يكون ثوبي حسناً ونعلي حسناً. أفمن الكبر ذاك؟ قال : « لا ، ان الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس » فبطر الحق دفعه

---

(١) غافر : ٢١.

(٢) القصص : ٨٣.

(٣) القصص : ٤.

وجحده وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم، وهذا حال من يريد العلو والفساد.

والقسم الثاني : الذين يريدون الفساد بلا علو كالسراق والمجرمين من سفلة الناس.

والقسم الثالث : يريد العلو بلا فساد كالذين عندهم دين يريدون أن يعلوا به على غيرهم من الناس.

وأما القسم الرابع : فهم أهل الجنة الذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً، مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم كما قال الله تعالى : ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين﴾ [(١)]. وقال تعالى : ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يَتِرَكُم أعمالكم﴾ [(٢)]. وقال: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ [(٣)] فكم ممن يريد العلو، ولا يزيده ذلك الا سفولاً، وكم ممن جعل من الاعلين وهو لا يريد العلو ولا الفساد، وذلك لأن إرادة العلو على الخلق ظلم، لأن الناس من جنس واحد، فارادة الانسان أن يكون هو الأعلى ونظيره تحته ظلم، ومع أنه ظلم، فالناس يبغضون من يكون كذلك ويعادونه، لأن العادل منهم لا يحب أن يكون مقهوراً لنظيره، وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر، ثم أنه مع هذا لا بد له ـ في العقل

---

(١) آل عمران ١٣٩ .

(٢) محمد : ٣٥

(٣) المنافقين : ٨ .

والدين ـ من أن يكون بعضهم فوق بعض كما قدمناه، كما أن الجسد لا يصلح الا برأس. قال تعالى : ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم [1]﴾ وقال تعالى : ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ [2]. فجاءت الشريعة بصرف السلطان والمال في سبيل الله .

فاذا كان المقصود بالسلطان والمال هو التقرب الى الله وانفاق ذلك في سبيله ، كان ذلك صلاح الدين والدنيا، وان انفرد السلطان عن الدين والدنيا أو الدين عن السلطان فسدت أحوال الناس ، وانما يمتاز أهل طاعة الله عن أهل معيصته بالنية والعمل الصالح ، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم ، وانما ينظر الى قلوبكم والى أعمالكم » .

ولما غلب على كثير من ولاة الأمور ارادة المال والشرف صاروا بمعزل عن حقيقة الايمان وكمال الدين ، ثم منهم من غلب الدين وأعرض عما لا يتم الدين الا به من ذلك ، ومنهم من رأى حاجته الى ذلك ، فأخذه معوضاً عن الدين ، لاعتقاده أنه مناف لذلك ، وصار الدين عنده في محل الرحمة والذل لا في محل العلو والعز ،

---

(١) الانعام : ١٦٥

(٢) الزخرف : ٣٢

وكذلك لما غلب على كثير من أهل الديانتين العجز عن تكميل الدين والجزع لما قد يصيبهم في اقامته من البلاء، استضعف طريقتهم واستذلها من رأى أنه لا تقوم مصلحته ومصلحة غيره بها.

وهاتان السبيلان الفاسدتان : سبيل من انتسب الى الدين ولم يكمله بما يحتاج اليه من السلطان والجهاد والمال. وسبيل من أقبل على السلطان والمال والحرب ولم يقصد بذلك اقامة الدين؛ هما سبيل المغضوب عليهم والضالين : الاولى للضالين والنصارى، والثانية للمغضوب عليهم اليهود.

وانما الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين، هي سبيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسبيل خلفائه وأصحابه ومن سلك سبيلهم، وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك هو الفوز العظيم.

فالواجب على المسلم أن يجتهد في ذلك بحسب وسعه؛ فمن ولى ولاية يقصد بها طاعة الله واقامة ما يمكنه من دينه ومصالح المسلمين واقام فيها ما يمكنه من ترك المحرمات، لم يؤاخذ بما يعجز عنه، فان تولية الأبرار خير للأمة من تولية الفجار. ومن كان عاجزاً عن اقامة الدين بالسلطان والجهاد، ففعل ما يقدر عليه، من النصحية بقلبه والدعاء للأمة ومحبة الخير وفعل ما يقدر عليه

من الخير، لم يكلف ما يعجز عنه، فان قوام الدين بالكتاب الهادي والحديث الناصر كما ذكره الله تعالى.

فعلى كل أحد الاجتهاد في ايثار القرآن والحديث لله تعالى ولطلب ما عنده مستعيناً بالله في ذلك، ثم الدنيا تخدم الدين، كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : « يا ابن آدم أنت محتاج الى نصيبك من الدنيا وأنت الى نصيبك من الآخرة أحوج، فان بدأت بنصيبك من الاخرة مر بنصيبك من الدنيا فانتظمها انتظاما، وان بدأت بنصيبك من الدنيا فاتك نصيبك من الاخرة وانت من الدنيا على خطر». ودليل ذلك ما رواه الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أصبح والاخرة أكبر همه جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن أصبح والدنيا أكبر همه فرق الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ». وأصل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [(١)].

المشاورة :

لاغنى لولي الامر عن المشاورة فان الله تعالى أمر بها نبيه صلى الله عليه وسلم. فقال تعالى : ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين﴾ [(٢)]. وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

(١) الذاريات ٥٦، ٥٧، ٥٨ (٢) آل عمران ١٥٩

« لم يكن أحد أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد قيل : ان الله أمر بها نبيه لتأليف قلوب أصحابه، وليقتدي به من بعده، وليستخرج منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي من امر الحروب والامور الجزئية وغير ذلك فغيره صلى الله عليه وسلم اولى بالمشورة، وقد أثنى الله على المؤمنين بذلك في قوله : ﴿وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون. والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (١)

واذا استشارهم، فان بين له بعضهم ما يجب اتباعه من كتاب الله او سنة رسوله أو اجماع المسلمين فعليه اتباع ذلك، ولا طاعة لاحد في خلاف ذلك وان كان عظيماً في الدين والدنيا. قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم﴾ (١)

وان كان امراً قد تنازع فيه المسلمون، فينبغي أن يستخرج من كل منهم رأيه، ووجه رأيه فأي الاراء كان أشبه لكتاب الله وسنة رسوله عمل به كما قال تعالى : ﴿فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ (١)

---

(١) الشورى ٣٦، ٣٧، ٣٨

واولو الامر صنفان : الامراء والعلماء وهم الذين اذا صلحوا صلح الناس، فعلى كل منهما أن يتحرى ما يقوله ويفعله طاعة لله، ومتى أمكن في الحوادث المشكلة معرفة ما دل عليه الكتاب والسنة، كان هو الواجب، وان لم يمكن ذلك لضيق الوقت او عجز الطالب أو تكافؤ الادلة عنده أو غير ذلك، فله أن يقلد من يرتضي علمه ودينه. هذاأقوى الاقوال. وقد قيل : ليس له التقليد بكل حال. والاقوال الثلاثة في مذهب أحمد وغيره، وكذلك ما يشترط في القضاة والولاة من الشروط يجب فعله بحسب الامكان، بل وسائر شروط العبادات من الصلاة والجهاد وغير ذلك، كل ذلك واجب مع القدرة فأما مع العجز فان الله لا يكلف نفساً الا وسعها. ولهذا أمر الله المصلي أن يتطهر بالماء، فان عدمه أو خاف الضرر باستعماله، لشدة البرد أوجراحة أوغير ذلك، تيمم الصعيد (قصد التراب) فمسح بوجهه ويديه منه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين : « صل قائما فان لم تستطع فقاعداً، وان لم تستطع فعلى جنب ». فقد أوجب الله فعل الصلاة في الوقت على أي حال أمكن، كما قال تعالى : ﴿حافظوا على الصوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين. فان خفتم فرجالاً أور كباناً. فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ [1]. فأوجب الله الصلاة على الآمن والخائف، والصحيح والمريض، والغني والفقير، والمقيم والمسافر، وخففها على المسافر والخائف والمريض

(١) البقرة ٢٣٨، ٢٣٩

كما جاء به الكتاب والسنة وكذلك أوجب فيها واجبات من الطهارة والستارة واستقبال القبلة، وأسقط ما يعجز العبد من ذلك، فلو انكسرت سفينة قوم أو سلبهم المحاربون ثيابهم، صلو عراة بحسب أحوالهم، وقام امامهم وسطهم لئلا يرى الباقون عورتهم، ولو اشتبهت عليهم القبلة، اجتهدوا في الاستدلال عليها، فلو عميت الدلائل صلوا كيفما أمكنهم، كما قد روي أنهم فعلوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهكذا الجهاد والولايات وسائر امور الدين وكله في قوله تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ (١). وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » كما أن الله تعالى لما حرم المطاعم الخبيثة قال تعالى: ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾ (٤). فلم يوجب ما لا يستطاع ولم يحرم ما يضطر اليه، اذا كانت الضرورة بغير معصية من العبد.

فنسأل الله العظيم ان يوفقنا وسائر اخواننا وجميع المسلمين لما يحبه لنا ويرضاه من القول والعمل فانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً الى يوم الدين.

---

(١) التغابن ١٦

(٢) البقرة ٧٣

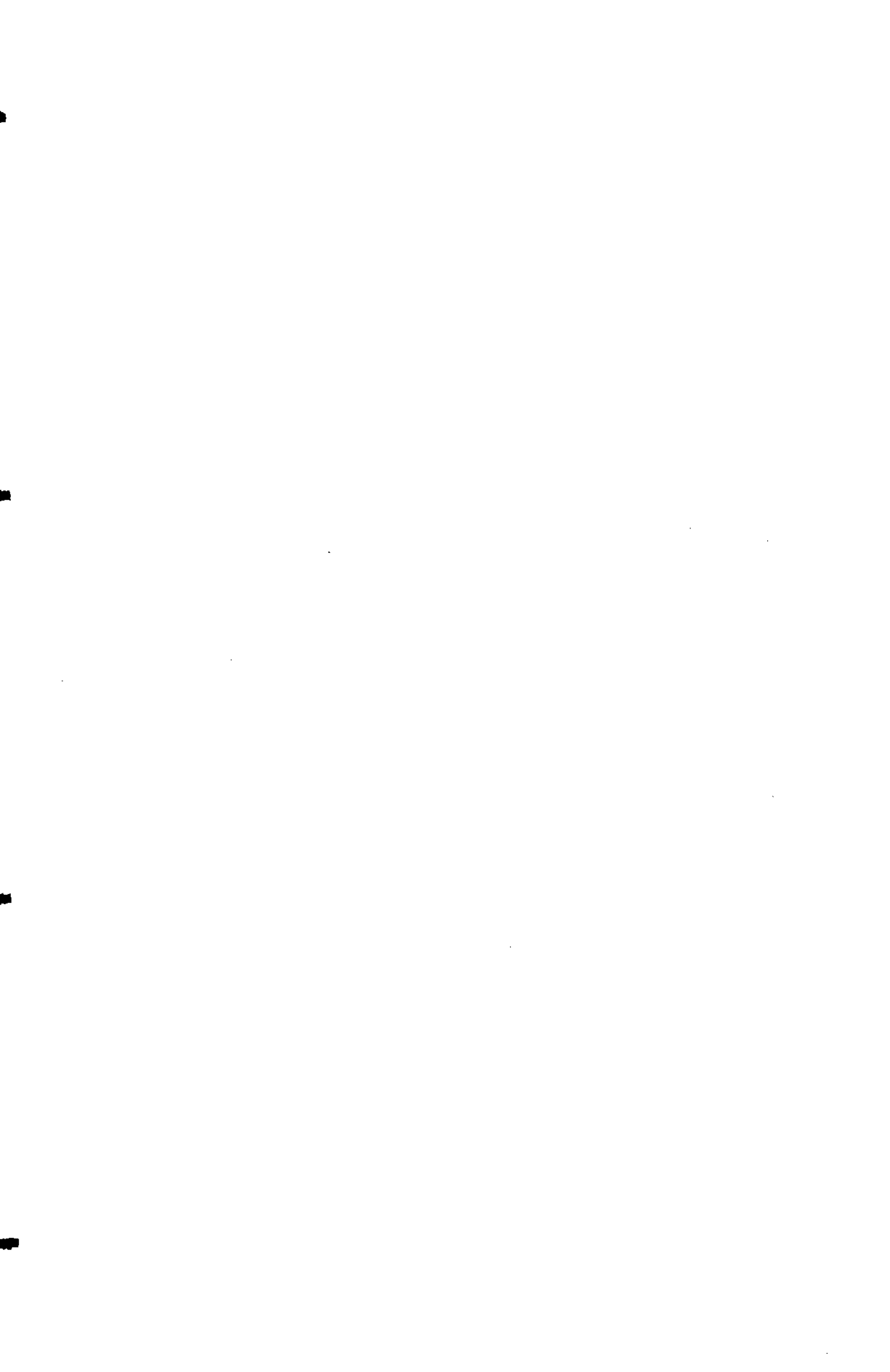
(٣) الحج ٧٨

(٤) المائدة ٦

# مدرسة الثلاثين يومًا

للأستاذ
مصطفى صادق الرافعي

(رمضان ١٣٧٥)



بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الرسالة النفيسة مما
أوحى به رمضان إلى الاديب
الاسلامي الكبير الاستاذ
مصطفى صادق الرافعي
رحمه الله.

لم أقرأ لأحد قولاً شافياً في فلسفة الصوم وحكمته؛ أما منفعته للجسم، وأنه نوع من الطب له، وبابا من السياسة في تدبيره، فقد فرغ الاطباء من تحقيق القول في ذلك. وكأن أيام هذا الشهر المبارك ان هي إلا ثلاثون حبة تؤخذ في كل سنة مرة، لتقوية المعدة وتصفية الدم وحياطة انسجة الجسم. ولكنا الآن لسنا بصدد من هذا وإنما نستوحي تلك الحقيقة الاسلامية الكبرى التي شرعت هذا الشرع لسياسة الحقائق الارضية الصغيرة. عاملة على استمرار الفكرة الانسانية فيها، كي لا تتبدل النفس على تغير الحوادث وتبدلها، ولكيلا تجهل الدنيا معاني الترقيع اذا أتت على هذه الدنيا معاني التمزيق.

من معجزات القرآن الكريم انه يدخر في الالفاظ المعروفة في كل زمن، حقائق غير معروفة لكل زمن، فيجليها لوقتها حين

يضج الزمان العلميّ في متاهته وحيرته، فيشغب على التاريخ واهله مستخفاً بالاديان، ويذهب يتتبع الحقائق، ويستعصي في فنون المعرفة، ليستخلص من بين كفر وإيمان، ديناً طبيعياً سائغاً، يتناول الحياة اول ما يتناول فيضبطها بأسرار العلم، ويوجهها بالعلم إلى غايتها الصحيحة ويضاعف قواها بأساليبه الطبيعية، ليحقق في إنسانية العالم هذه الشيئية المجهولة التي تتوهمها المذاهب الاجتماعية ولم يهتد اليها مذهب منها ولا قاربها، فما برحت سعادة الاجتماع كالتجربة العلمية بين ايدي علمائها : لم يحققوها ولم ييأسوا منها، وبقيت تلك المذاهب كعقارب الساعة في دورتها : تبدأ من حيث تبدأ، ثم لا تنتهي إلا إلى حيث تبدأ. .

* * *

يضطرب الاشتراكيون في اوروبا وقد عجزوا عجز من يحاول تغيير الانسان بزيادة ونقص في اعصابه، ولا يزال مذهبهم في الدنيا مذهب كتب ورسائل، ولو انهم تدبروا حكمة الصوم في الاسلام، لرأوا هذا الشهر نظاماً عملياً من أقوى وأبدع الانظمة الاشتراكية [1] الصحيحة، فهذا الصوم فقر إجباريّ تفرضه الشريعة على الناس فرضاً ليتساوى الجميع في بواطنهم، سواء منهم من ملك المليون من الدنانير، ومن ملك القرش الواحد،

(١) سنناقش امثال هذه التعابير في رسالة قادمة ان شاء الله .

ومن لم يملك شيئاً. كما يتساوى الناس جميعاً في ذهاب كبريائهم الانسانية بالصلاة التي يفرضها الاسلام على كل مسلم، وفي ذهاب تفاوتهم الاجتماعيّ بالحج الذي يفرضه على من استطاع.

فقر اجباريّ يراد به إشعار النفس الانسانية بطريقة عملية واضحة كل الوضوح، ان الحياة الصحيحة وراء الحياة لا فيها، وانها انما تكون على أتمها حين يتساوى الناس في الشعور لا حين يختلفون، وحين يتعاطفون باحساس الألم الواحد لا حين يتنازعون باحساس الاهواء المتعددة.

ولو حققت رأيت الناس لا يختلفون في الانسانية بعقولهم، ولا بأنسابهم ولا بمراتبهم، ولا بما ملكوا، وإنما يختلفون ببطونهم واحكام هذه البطون على العقل والعاطفة، فمن البطن نكبة الانسانية، وهو العقل العملي على الارض. وإذا اختلف البطن والدماغ في ضرورة، مدَّ البطن مَدَّه من قوى الهضم فلم يبق ولم يذر.

ومن ههنا يتناوله الصوم بالتهذيب والتأديب والتدريب ويجعل الناس فيه سواء: ليس لجميعهم إلا شعور واحد وحس واحد وطبيعة واحدة، ويحكم الأمر فيحول بين هذا البطن وبين المادة، ويبالغ في إحكامه، فيمسك حواشيه العصبية في الجسم كله يمنعها تغذيتها ولذتها حتى نفثة من دخينة [1].

وبهذا يضع الانسانية كلّها في حالة نفسية واحدة تتلبس بها

---

(١) الدخينة: السيجارة وجمعها دخائن.

النفس في مشارق الارض ومغاربها، ويطلق في هذه الانسانية كلها صوت الروح يعلم الرحمة ويدعو إليها، فيشبع فيها بهذا الجوع فكرة معينة هي كل ما في مذهب الاشتراكية من الحق، وهي تلك الفكرة التي يكون عنها مساواة الغني للفقير من طبيعته، واطمئنان الفقير إلى الغني بطبيعته، ومن هذين (الاطمئنان والمساواة)، يكون هدوء الحياة بهدوء النفسين اللتين هما السلب والايجاب في هذا الاجتماع الانساني، وإذا انت نزعت هذه الفكرة من الاشتراكية بقي هذا المذهب كله عبثاً من العبث في محاولة جعل التاريخ الانسانيّ تاريخاً لا طبيعة له.

* * *

من قواعد النفس أن الرحمة تنشأ عن الألم، وهذا بعض السرّ الاجتماعي العظيم في الصوم، إذ يبالغ أشد المبالغة، ويدقق كل التدقيق، في منع الغذاء وشبه الغذاء عن البطن وحواشيه مدة آخرها آخر الطاقة، فهذه طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس، ولا طريقة غيرها إلا النكبات والكوارث، فهما طريقتان كما ترى مبصرة وعمياء، وخاصة وعامة، وعلى نظام وعلى فجأة.

ومتى تحققت رحمة الجائع الغنيّ للجائع الفقير أصبح للكلمة الانسانية الداخلية سلطانها النافذ، وحكم الوازع النفسّي على المادة، فيسمع الغني في ضميره صوت الفقير يقول « اعطني » ثم لا يسمع منه طلباً من الرجاء، بل طلباً من الامر لا مفر من تلبيته والاستجابة لمعانيه، كما يواسي المبتلى من كان في مثل بلائه.

أية معجزة إصلاحية أعجب من هذه المعجزة الاسلامية التي تقضي أن يحذف من الانسانية كلّها تاريخ البطن ثلاثين يوماً في كل سنة، ليحل في محله تاريخ النفس [1]، وأنا مستيقن أن هناك نسبة رياضية هي الحكمة في جعل هذا الصوم شهراً كاملاً من كل اثني عشر شهراً. وان هذه النسبة متحققة في اعمال النفس للجمس، وأعمال الجسم للنفس، كأنه الشهر الصحّي الذي يفرضه الطب في كل سنة للراحة والاستجمام وتغيير المعيشة، لإحداث الترميم العصبيّ في الجسم، ولعل ذلك آت من العلاقة بين دورة الدم في الجسم الانسانيّ وبين القمر منذ يكون هلالاً إلى أن يدخل في المحاق، إذ تنتفخ العروق وتربو في النصف الاول من الشهر، كأنها في (مدّ) من نور القمر ما دام هذا النور إلى زيادة، ثم يراجعها (الجزر) في النصف الثاني حتى كأن للدم إضاءة وظلاماً، وإذا ثبت أن للقمر أثراً في الامراض العصبية وفي مدّ الدم وجزره [2] فهذا من أعجب الحكمة في أن يكون الصوم شهراً قمرياً دون غيره.

وفي ترائي الهلال ووجوب الصوم لرؤيته معنى دقيق آخر، وهو

---

(١) أفسد ضعف النفوس هذا المعنى، فما يحقق الناس (تاريخ البطن) كما يحققونه في شهر رمضان، وهم يعوضون البطن في الليل ما منعوه في النهار، حتى جعلوا الصوم تغييراً لمواعيد الأكل.. ولكن الصوم على ذلك لم يحرمهم فوائده.

(٢) قال الجاحظ في الحيوان : ولزيادة القمر حتى يصير بدراً : أثر بيِّن في زيادة الدماء والأدمغة وجميع الرطوبات.

ـ مع اثبات رؤية الهلال واعلانها ـ اثبات الارادة وإعلانها، كأنما انبعث أولُ الشعاع السماويّ في التنبه الانسانيّ العام لفروض الرحمة والانسانية والبر.

وهنا حكمة كبيرة من حِكَم الصوم، وهو عمله في تربية الارادة وتقويتها بهذا الاسلوب العملي الذي يدرب الصائم على أن يتمنع باختياره من شهواته ولذة حيوانيته ويبقيه مصراً على الامتناع، متهيئاً له بعزيمته، صابراً عليه بأخلاق الصبر، مزلولاً في كل ذلك أفضل طريقة نفسية لاكتساب الفكرة الثابتة ترسخ لا تتغير ولا تتحول، ولا تعدو عليها عوادي الغريزة.

وإدراك هذه القوة من الارادة العملية منزلة اجتماعية سامية، هي في الانسانية فوق منزلة الذكاء والعلم، ففي هذين تعرض الفكرة مارة مرورها ولكنها في الارادة تعرض لتستقر وتتحقق، فانظر في أي قانون من القوانين وفي أي أُمة من الأمم، تجد ثلاثين يوماً من كل سنة قد فرضت فرضاً لتربية الشعب ومزاولته فكرة نفسية واحدة بخصائصها وملابساتها حتى تستقر وترسخ وتعود جزءاً من عمل الانسان، لا خيالاً يمر برأسه مرّاً.

أليست هذه هي إتاحة الفرصة العملية التي جعلوها أساساً في تكوين الارادة؟ وهل تبلغ الارادة فيما تبلغ أعلى من منزلتها حين تجعل شهوات المرء مذعنة لفكرة، منقادة للوازع النفسيّ فيه، مصرّفة بالحس الديني المسيطر على النفس ومشاعرها؟

أما والله عمَّ هذا الصوم الاسلامي أهل الارض جميعاً، لآل

معناه أن يكون إجماعاً من الانسانية كلها على اعلان الثورة شهراً كاملاً في السنة لتطهير العالم من رذائله وفساده، ومحق الاثرة والبخل فيه، وطرح المسألة النفسية ليتدارسها أهل الأرض دراسة عملية مدة هذا الشهر بطوله، فيهبط كل رجل وكل امرأة الى أعماق نفسه ومكامنها، ليختبر في مصنع فكره معنى الحاجة ومعنى الفقر، وليفهم في طبيعة جسمه ـ لا في الكتب ـ معاني الصبر والثبات والارادة وليبلغ من ذلك وذلك درجات الانسانية والمواساة والاحسان، فيحقق بهذه وتلك معاني الاخاء والحرية والمساواة.

شهر هو أيام قلبية في الزمن، متى اشرفت على الدنيا قال الزمن لأهله : هذه أيام من أنفسكم لا من أيامي، ومن طبيعتكم لا من طبيعتي، فيقبل العالم كله على حالة نفسية بالغة السموّ، يتعهد فيها النفس برياضتها على معالي الامور ومكارم الاخلاق، ويفهم الحياة على وجه آخر غير وجهها الكالح، ويراها كأنما اجيعت من طعامها اليومي كما جاع هو، وكأنما أفرغت من خسائسها وشهواتها كما فرغ هو، وكما ألزمت معاني التقوى كما ألزمها هو، وما اجمل وابدع أن تظهر الحياة في العالم كله ـ ولو يوماً واحداً ـ حاملة في يدها السبحة! فكيف بها على ذلك شهراً من كل سنة؟

انها والله طريقة عملية لرسوخ فكرة الخير والحق في النفس، وتطهر الاجتماع من خسائس العقل الماديّ، وردّ هذه الطبيعة الحيوانية المحكومة في ظاهرها بالقوانين والمحررة من القوانين في باطنها ـ الى قانون من باطنها نفسه ـ يطهر مشاعرها، ويسمو

باحساسها، ويصرفها الى معاني انسانيتها، ويهذب من زياداتها ويحذف كثيراً من فضولها، حتى يرجع بها الى نحو من براءة الطفولة، فيجعلها صافية مشرقة بما يجتذب اليها من معاني الخير والصفاء والاشراق، اذ كان من عمل الفكرة الثابتة في النفس أن تدعو اليها ما يلائمها ويتصل بطبيعتها من الفِكر الاخرى، والنفس في هذا الشهر محتسبة في فكرة الخير وحدها، فهي تبني بناءها من ذلك ما استطاعت.

هذا على الحقيقة ليس شهراً من الأشهر، بل هو فصل نفساني كفصول الطبيعة في دورانها، ولهو والله اشبه بفصل الشتاء في حلوله على الدنيا بالجو الذي من طبيعته السحب والغيث، ومن عمله امداد الحياة بوسائل لها ما بعدها الى آخر السنة، ومن رياضته أن يكسبها الصلابة والانكماش والخفة، ومن غايته اعداد الطبيعة للتفتح عن جمال باطنها في الربيع الذي يتلوه.

وعجيب جداً أن هذا الشهر الذي يدَّخر فيه الجسم من قواه المعنوية فيودعها مصرف روحانيته، ليجد منها عند الشدائد مدد الصبر والثبات والعزم والجلد والخشونة عجيب جداً ان هذا الشهر الاقتصادي هو من أيام السنة هو كفائدة $8\frac{1}{3}$ ٪. . فكأنه يسجل في أعصاب المؤمن حساب قوته وربحه فله في كل سنة زيادة $8\frac{1}{3}$ من قوته المعنوية الروحانية.

وسحر العظائم في هذه الدنيا انما يكون في الامة التي تعرف كيف تدخر هذه القوة ويوفرها، ليستمدها عند الحاجة، وذلك هو

سر أسلافنا الأولين الـذين كانـوا يجـدون على الفقـر في دمائهـم وأعصابهم ما تجد الجيوش العظمى اليوم في مخازن الاسلحة والعتاد والذخيرة.

* * *

كل ما ذكرته في هذا البحث من فلسفة الصوم فإنما استخرجته من هذه الآية الكريمة﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾. وقد فهمها العلماء جميعاً على انها من معنى « التقوى » أما أنا فأولتها من « الاتقاء » فبالصوم يتقى المرء على نفسه ان يكون كالحيوان الذي شريعته معدته، والاَّ يعامل الدنيا الا بمواد هذه الشريعة، ويتقى المجتمع على انسانيته وطبيعته مثل ذلك، فلا يكون انسان مع انسان كحمار مع انسان : يبيعه القوة كلها بالقليل من العلف.

وبالصوم يتقى هذا وهذا ما بين يديه وما خلفه، فإنما ما بين يديه هو الحاضر من طباعه وأخلاقه، وما خلفَه هو الجيل الذي سيرث من هذه الطباع والاخلاق فيعمل بنفسه في الحاضر، ويعمل بالحاضر في الآتي [1].

---

(١) يفسرٍّ القرآن بعضه بعضا، ومن معجزاته في هذا التأويل الذي استخرجناه انه يؤيده بالآية الكريمة في سورة يس : « واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون . . . »

ويشير الى هذا التأويل قول النبيﷺ : « إنما الصوم جُنَّة (بضم الجيم) فإذا كان =

وكل ما شرحناه فهو اتقاء ضرر لجلب منفعـة. واتقـاء رذيلـة لجلب فضيلة وبهذا التأويل تتجه الآية الكريمة جهة فلسفية عالية، لا يأتي البيان ولا العلم ولا الفلسفة بأوجز ولا أكمل من لفظها، ويتوجه الصيام على أنه شريعة اجتماعية انسانية عامة، يتقـى بهـا المجتمـع شرور نفســه، ولن يتهـذب العالــم الا اذا كان له مع القوانين النافذة هذا القانون العام الذي اسمه الصوم، ومعناه: « قانون البطن ».

ألا ما أعظمك يا شهر رمضان! لو عرفك العالم حق معرفتك لسماَّك « مدرسة الثلاثين يوماً ».

---

=احدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل: اني صائم، اني صائم »

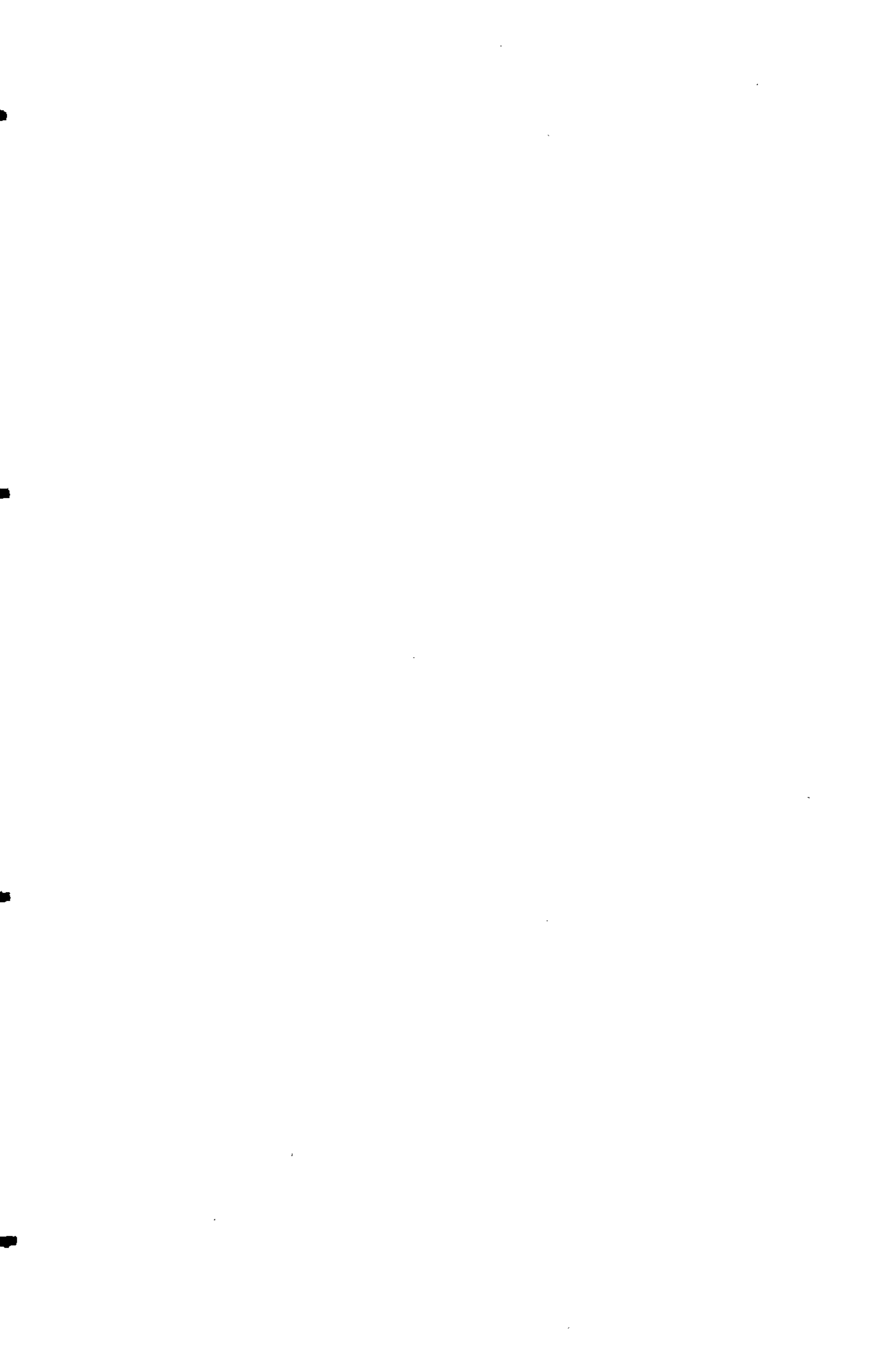
والجنُة: الوقاية يتقي بها الانسان، والمراد ان يعتقد الصائم انه قد صام ليتقي شرَّ حيوانيته وحواسه، فقوله: (اني صائم! اني صائم): اي اني غائب عن الفحش والجهل والشر، اني في نفسي ولست في حيوانيتي.

# من غار حراء

للأستاذ

السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

« شوال ١٣٧٥ »



# مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد، فلقد بدأت احوال المسلمين تتغير، منذ انتهى عهد الخلافة الراشدة، وما زالت في تدنٍ وهبوط، حتى أمكن لابليس اللعين أن يحقق أربه، يوم ألغى الفاسق الفاجر مصطفى كمال الخلافة الاسلامية وحقق ما كان يتمناه المستعمرون الكفرة. واصبح العالم الاسلامي اليوم كغيره من اقطار العالم سابحاً في مشاكله العديدة التي لا تخرج ـ مع الاسف ـ في أسبابها ومقدماتها عن اسباب ومقدمات مشاكل العالم بأسره.

ولو نظرنا في السبب الرئيسي لكل هذه الشرور التي تعم الدنيا، لوجدنا أنها تسليم مقاليد التشريع إلى البشر، واستئثار الانسان بوضع الأسس التي يسير عليها في حياته، وها هنا يكمن الخطر الذريع لأن مثل الانسان في هذا الوضع كمثل « الذي اتخذ إلهه هواه فأضله الله على علم ».

ولو عدنا بالنظر إلى العصر الزاهر الأول، يوم اتبع المسلمون احكام الله، وساروا تبعاً لأوامره، وراقبوه سراً وعلانية، واتقوه في

كل حال من الاحوال وكل ظرف من الظروف، لوجدنا أن فكرة المجتمع المثالي ليست فكرة خرافية كما كانت في أذهان الفلاسفة من قبل، ولكن شريعة الله جعلتها تبرز الى حيز الوجود، وكلمة الله الخالدة : « كن فيكون » جعلتها تطبق بشكل لم تعرف الدنيا له نظيراً ولن تعرف، واذا اراد الله شيئاً هيأ أسبابه.

ولا علاج لنا إلا بالعود الى العهد الزاهر الاول والاستمداد من مصادره الأولية والاتصال رأساً بالله.

ولقد نفر في سبيل الله لاداء هذا الواجب طوائف من المسلمين آمنوا بالله حق ايمان وفهموا الاسلام أمثل فهم وطبقوه أحسن تطبيق، وكانوا بأقوالهم وأعمالهم وحياتهم مثلاً حياً لما يدعون اليه، ودعاة مخلصين ومجاهدين، في سبيل الله بررة، انتشروا في جميع أصقاع الأرض، فعرفهم المسلمون في اصقاع الأرض وأحبوهم واكبروهم وكان لهم في قلوبهم ونفوسهم وعقولهم منزلة سامية مرموقة.

وأمثل هؤلاء إخواننا في الهند والباكستان ومنهم العلماء العاملون المجاهدون الذين اسسوا ندوة العلماء في الهند التي تشرف على « دار العلوم » والتي انجبت عدداً من الأفذاذ يدين لهم اتباع الاسلام في هذا العصر.

واستاذنا الجليل ابو الحسن في المقدمة دائماً . . عرفه المسلمون يوم تتلمذوا على كتبه الجليلة، ويوم استمعوا إلى كَلِمِه الطيب، ولذلك تراهم يقبلون عليه بقلوب ملؤها الحب والاكبار،

ويستمعون اليه بشغف ما له نظير، وقد رأينا أن نهدي اليهم في العيد تحفة من روائعه، وبديعة من بدائعه.. حفظه الله مجاهداً مخلصاً، ونفعنا به.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

**لجنة المسجد**

بسم الله الرحمن الرحيم

طلعت جبل النور ووقفت على غار حراء وقلت لنفسي، هنا أكرم الله بالرسالة محمداً صلى الله عليه وسلم ونزل عليه الوحي الأول فمن هنا طلعت الشمس التي أفاضت على العالم نوراً جديداً وحياة جديدة، إن العالم ليستقبل كل يوم صباحا جديداً ـ وما أكثر ما استقبل العالم صباحا لاجدة فيه ولا طرافة، ولا خير فيه ولا سعادة ـ وما أكثر ما استقبل العالم صباحا استيقظ فيه الانسان ولم تستيقظ فيه الانسانية، واستيقظت فيه الاجسام ولم تستيقظ فيه القلوب والأرواح. وما اكثر النهار المظلم والصبح الكاذب في تاريخ العالم، ولكن من هنا طلع الصبح الصادق الذي أشرق نوره على كل شيء واستيقظ فيه الكون وتغير مجرى التاريخ.

لقد كانت الحياة كلها أقفالا معقدة وأبواباً مقفلة، كان العقل مقفلا أعيا فتحه الحكماء والفلاسفة، كان الضمير مقفلا اعيا فتحه الوعاظ والمرشدين. كانت القلوب مقفلة اعيا فتحها الحوادث والآيات، كانت المواهب مقفلة اعيا فتحها التعليم والتربية والمجتمع والبيئة، كانت المدرسة مقفلة أعيا فتحها العلماء والمعلمين، كانت المحكمة مقفلة اعيا فتحها المتظلمين والمتحاكمين، كانت الاسرة مقفلة اعيا فتحها المصلحين والمفكرين، كان قصر الأمارة مقفلا اعيا فتحه الشعب المظلوم والفلاح المجهود والعامل المنهوك، وكانت كنوز الأغنياء والأمراء

مقفلة اعيا فتحها جوع الفقراء وعرى النساء وعويل الرضعاء، لقد حاول المصلحون الكبار والمشترعون العظام فتح قفل من هذه الاقفال ففشلوا واخفقوا، فان القفل لا يفتح بغير مفتاحه وقد ضيعوا المفتاح من قرون كثيرة. وجربوا مفاتيح من صناعتهم ومعادنهم فاذا هي لا توافق الأقفال واذا هي لا تغني عنهم شيئا، وحاول بعضهم كسر هذه الاقفال فجرحوا أيديهم وكسروا آلتهم.

ففي هذا المكان المتواضع، المنقطع عن العالم المتمدن، على جبل ليس بمخصب ولا بشامخ تم ما لم يتم في عواصم العالم الكبيرة ومدارسه الفخمة ومكتباته الضخمة. هنا منَّ الله على العالم برسالة محمد ﷺ وفي رسالته عاد هذا المفتاح المفقود إلى الانسانية. ذلك المفتاح هو (الايمان بالله والرسول واليوم الآخر) ففتح به هذه الاقفال المعقدة قفلا قفلا وفتح به هذه الأبواب المقفلة باباً باباً، وضع هذا المفتاح النبوي على العقل الملتوي فتفتح ونشط واستطاع أن ينتفع بآيات في الآفاق والأنفس ويتوصل من العالم إلى فاطرة ومن الكثرة إلى الوحدة ويعرف شناعة الشرك والوثنية والخرافات والاوهام وكان قبل ذلك محامياً مأجوراً يدافع عن كل قضية حقاً وباطلا. وضع هذا المفتاح على الضمير الانساني النائم فانتبه وعلى شعوره الميت فانتعش وعاش وتحولت النفس الأمارة بالسوء إلى نفس لوامة ثم إلى نفس مطمئنة لا تسيغ الباطل ولا تتحمل الاثم حتى يعترف الجاني أمام الرسول بجريمته ويلح على العقاب الأليم الشديد وترجع المرأة المذنبة إلى البادية حيث لا رقابة

عليها ثم تحضر المدينة وتعرض نفسها للعقوبة التي هي أشد من القتل، ويحمل الجندي الفقير تاج كسرى ويخفيه في لباسه ليستر صلاحه وأمانته عن أعين الناس ويدفعه إلى الأمير لأنه مال الله الذي لا يجوز الخيانة فيه. كانت القلوب مقفلة لا تعتبر ولا تزدجر ولا ترق ولا تلين فاصبحت خاشعة واعية تعتبر بالحوادث وتنتفع بالآيات وترق للمظلوم وتحنو على الضعيف وضع هذا المفتاح على القوى المخنوقة والمواهب الضائعة فاشتعلت كاللهيب وتدفقت كالسيل واتجهت الاتجاه الصحيح فكان راعي الابل راعي الامم وخليفة يحكم العالم واصبح فارس قبيلة وبلد قاهر الدول وفاتح الشعوب العريقة في القوة والمجد، وضع المفتاح على المدرسة المقفلة وقد هجرها المعلمون وزهد فيها المتعلمون وسقطت قيمة العلم وهان المعلم فذكر من شرف العلم وفضل العالم والمتعلم والمربي والمعلم وقرن الدين بالعلم حتى كانت له دولة ونفاق واصبح كل مسجد من المساجد وكل بيت من بيوت المسلمين مدرسة واصبح كل مسلم متعلما لنفسه معلما لغيره ووجد اكبر دافع إلى طلب العلم وهو الدين. وضعه على المحكمة المقفلة فاصبح كل عالم قاضيا عادلا وكل حاكم مسلم حكما مقسطا، واصبح المسلمون قوامين لله شهداء بالقسط، وجد الايمان بالله وبيوم الدين فكثر العدل وقل الجدل، وفقدت شهادة الزور والحكم بالجور، وضعه على الأسرة المقفلة وقد فشا فيها التطفيف بين الوالد وولده، والأخ واخوته، والرجل وزوجه، وتعدى من

الاسرة إلى المجتمع فظهر بين السيد وخادمه والرئيس والمرؤوس والكبير والصغير، كل يريد ان يأخذ ماله ولا يدفع ما عليه واصبحوا مطففين إذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، فغرس في الاسرة الايمان وحذرها من عقاب الله وقرأ عليها قول الله: ﴿يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً﴾[1] وقسم المسؤولية على الأسرة والمجتمع كله فقال: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وهكذا أوجد أسرة عادلة متحابة مستقيمة ومجتمعاً عادلاً وأوجد في اعضائه شعوراً عميقاً بالأمانة وخوفاً شديداً من الآخرة حتى تورع الامراء وولاة الأمور وتقشفوا وأصبح سيد القوم خادمهم ووالي الأمة كولي اليتيم ان استغنى استعف وإن افتقر أكل بالمعروف واقبل إلى الاغنياء والتجار فزهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة وأضاف الأموال إلى الله فقرأ: ﴿وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ [2] وقرأ: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ [3] وحذرهم من الاكتناز وإدخار الاموال وعدم الانفاق في سبيل الله، فقرأ عليهم ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [4].

(١) النساء : ١
(٢) الحديد : ٧
(٣) النور : ٣٣
(٤) التوبة : ٣٤ ـ ٣٥ .

ابرز رسول الله ﷺ برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن بالله الخائف من عقاب الله الخاشع الأمين المؤثر للآخرة على الدنيا المستهين بالمادة المتغلب عليها بايمانه وقوته الروحية يؤمن بأن الدنيا خلقت له وانه خلق للاخرة فاذا كان هذا الفرد تاجراً فهو التاجر الصدوق الأمين وإذا كان فقيراً فهو الرجل الشريف الكادح وإذا كان عاملا فهو العامل المجتهد الناصح وإذا كان غنياً فهو الغني السخي المواسي وإذا كان قاضياً فهو القاضي العادل الفهم. وإذا كان والياً فهو الوالي المخلص الأمين وإذا كان سيداً رئيساً فهو الرئيس المتواضع الرحيم. وإذا كان خادماً أو اجيراً فهو الرجل القوي الأمين. وإذا كان أميناً للأموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم. وعلى هذه اللبنات قام المجتمع الإسلامي وتأسست الحكومة الإسلامية في دورها. ولم يكن المجتمع والحكومة بطبيعة الحال إلا صورة مكبرة لأخلاق الأفراد ونفسيتهم فكان المجتمع مجتمعاً صالحاً أميناً مؤثراً للآخرة على الدنيا متغلبا على المادة غير محكوم لها. انتقل إليه صدق التاجر وامانته وتعفف الفقير وكدحه، واجتهاد العامل ونصحه، وسخاوة الغني ومواساته، وعدل القاضي وحكمته، وإخلاص الوالي وأمانته، وتواضع الرئيس ورحمته، وقوة الخادم وحراسة الخازن. وكانت هذه الحكومة حكومة راشدة مؤثرة للمبادىء على المنافع والهداية على الجباية وبتأثير هذا المجتمع وبنفوذ هذه الحكومة وجدت حياة عامة كلها

إيمان وعمل صالح وصدق.وإخلاص وجد وإجتهاد وعدل في الأخذ والعطاء وانصاف مع النفس والغير.

وقد ذهلت في حديثي لنفسي. وتمثلت لي الحياة الإسلامية الأولى بجمالها وتفاصيلها كأني أشاهدها واتنفس في جوها وانقطعت الصلة بيني وبين العالم المعاصر.

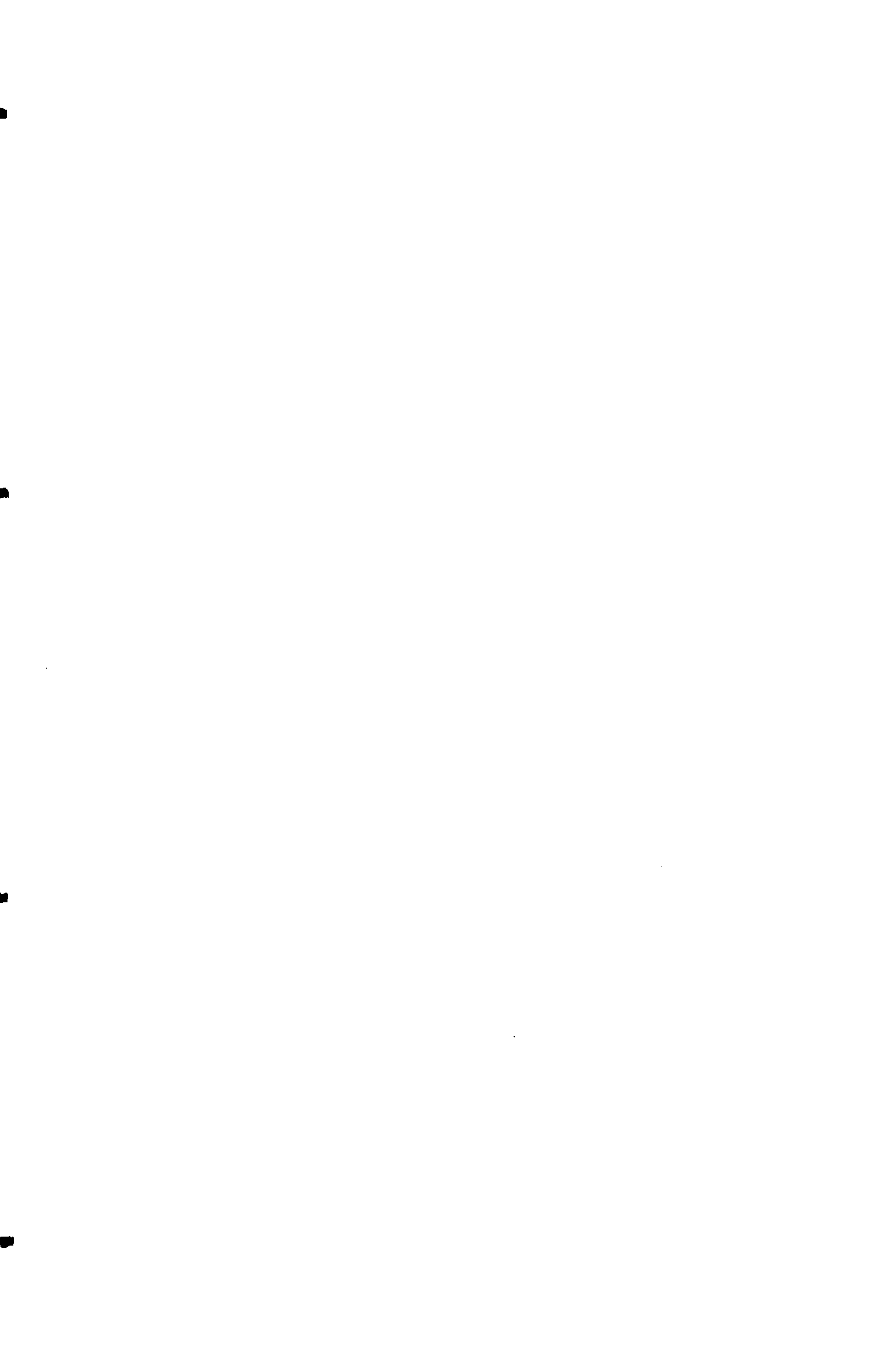
وحانت مني التفاتة إلى هذا العصر الذي نعيش فيه فقلت اني لأرى أقفالا جديدة على أبواب الحياة الانسانية وقد قطعت الحياة مراحل طويلة وخطت خطوات واسعة وتعقدت الحياة والتوت وتطورت المسائل وتنوعت وتساءلت هل يمكن فتح هذه الأقفال الجديدة بذلك المفتاح العتيق؟ وأبيت أن احكم بشيء حتى اختبر هذه الاقفال وأضع عليها المفتاح ولمست هذه الاقفال بالبنان فاذا هي الاقفال القديمة بتلوين جديد، واذا المشاكل نفس مشاكل العصر القديم وإذا المشكلة الكبرى وأساس الازمة هو الفرد الذي لا يزال لبنة المجتمع واساس الحكومة، ووجدت ان هذا الفرد قد أصبح اليوم لا يؤمن إلا بالمادة والقوة ولا يعنى إلا بذاته وشهواته وانه يبالغ في تقدير هذه الحياة ويسرف في عبادة الذات وارضاء الشهوات وقد انقطعت الصلة بينه وبين ربه ورسالة الانبياء وعقيدة الآخرة فكان هذا الفرد هو مصدر شقاء هذه المدنية فاذا كان تاجراً فهو التاجر المحتكر النهم الذي يحجب السلع أيام رخصها ويبرزها عند غلائها ويسبب المجاعات والازمات . وإذا كان فقيراً فهو الفقير الثائر الذي يريد أن يتغلب على جهود الآخرين

بغير تعب. وإذا كان عاملا فهو العامل المطفف الذي يريد أن يأخذ ما له ولا يدفع ما عليه، وإذا كان غنيا فهو الغني الشحيح القاسي الذي لا رحمة فيه ولا عطف، وإذا كان والياً فهو الوالي الغاش الناهب للأموال، وإذا كان سيداً فهو الرجل المستبد المستأثر الذي لا يرى إلا إلى فائدته وراحته، وإذا كان خادما فهو الضعيف الخائن، وإذا كان خازنا فهو السارق المختلس للأموال، وإذا كان وزير دولة أو رئيس وزارة أو رئيس جمهورية فهو المادي المستأثر الذي لا يخدم إلا نفسه وحزبه ولا يعرف غيره، وإذا كان زعيما أو قائداً فهو الوطني أو الجنسي الذي يقدس وطنه ويعيد عنصره ويدوس كرامة البلاد الأخرى والشعوب الأخرى، وإذا كان مشترعا فهو الذي يسن القوانين الجائرة والضرائب الفادحة، وإذا كان مخترعا اخترع المدمرات والناسفات، وإذا كان مكتشفاً اكتشف الغازات المبيدة للشعوب المخربة للبلاد والقنبلة الذرية التي تهلك الحرث والنسل، وإذا كان فيه قوة التطبيق والتنفيذ لم ير بأسا بالقاء هذه القنابل على الامم والبلاد.

وبهؤلاء الأفراد تكون المجتمع وتأسست الحكومة فكان مجتمعاً مادياً اجتمع فيه احتكار التاجر وثورة الفقير وتطفيف العامل وشح الغني وغش الوالي واستبداد السيد وخيانة الخادم وسرقة الخازن ونفعية الوزراء ووطنية الزعماء واجحاف المشترع واسراف المخترع والمكتشف وقسوة المنفذ وبهذه النفسيات المادية تولدت أزمات طريفة ومشاكل معقدة تشكو منها الانسانية بثها وحزنها

كالسوق السوداء وفشو الرشوة والغلاء الفاحش واختفاء الاشياء والتضخم النقدي وأصبح المفكرون والمشترعون لا يجدون حلا لهذه المشاكل واصبحوا إذا خرجوا من أزمة واجهوا أزمة أخرى بل ان حلولهم القاصرة ومعالجاتهم الموقتة هي التي تسبب أزمات جديدة وتنقلوا من حكومة شخصية إلى ديمقراطية إلى دكتاتورية ثم إلى ديمقراطية ومن نظام رأسمالي إلى نظام اشتراكي إلى شيوعي واذا الوضع لا يتغير لأن الفرد الذي هو الاساس لا يتغير ويجهلون أو يتجاهلون في كل ذلك أن الفرد هو الفاسد المعوج ولو عرفوا ان الفرد هو الاساس وانه فاسد معوج لما استطاعوا اصلاحه وتقويمه لانهم على كثرة مؤسساتهم العلمية ودور التعليم والتربية والنشر، لا يملكون ما يصلحون به الفرد ويقومون اعوجاجه ويحولون اتجاهه من الشر إلى الخير ومن الهدم إلى البناء لأنهم افلسوا في الروح وتخلو عن الايمان وفقدوا كل ما يغذي القلب ويغرس الايمان ويعيد الصلة بين العبد وربه وبين هذه الحياة والحياة الأخرى وبين المادة والروح وبين العلم والأخلاق وفي الأخير أدى بهم إفلاسهم الروحي وماديتهم العمياء واستكبارهم إلى استعمال آخر ما عندهم من آلات التدمير التي تبيد شعبا باسره وتخرب قطراً بطوله حتى استهدفت الحضارة والحياة البشرية ـ إذا تبادلت الدول المتحاربة استعمال هذه الآت ـ للنهاية الأليمة .[1].

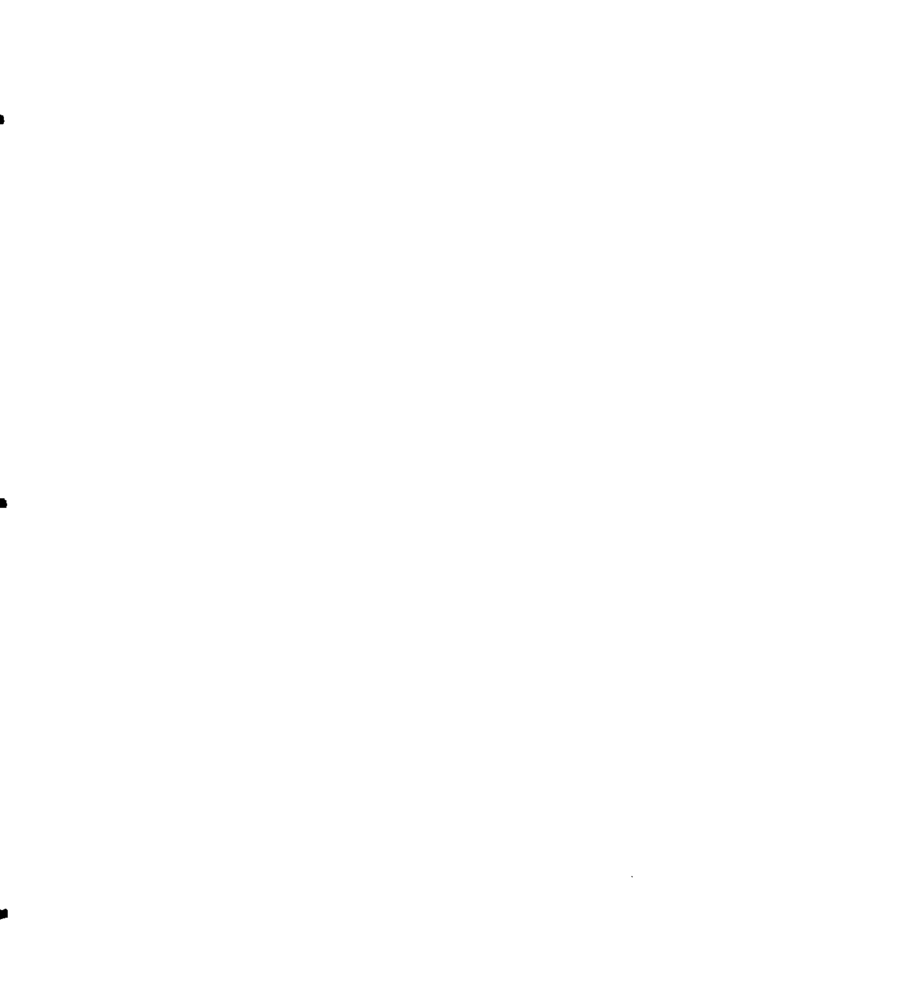
(١) أذيع هذا الحديث من محطة الاذاعة العربية السعودية في شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٠ هـ.



# خذوا الإسلام جملة أو دعوه

للأستاذ سيّد قطب

(ذو القعدة ١٣٧٥)



# مُقدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

أبسط الناس علماً بالاسلام يعرف أن آيات القرآن قسمان مكية ومدنية، ويعرف أن الآي المكية انما اعتنت بترسيخ العقيدة وتكوين المبدأ دون أن تحاول التطرق الى الجزئيات لأن الدعوة كانت اذ ذاك في مرحلة تأسيس الدولة. فلما أن تأسس الدولة الاسلامية في المدينة أخذ القرآن يتناول تفاصيل الحكم والسياسة والاجتماع والاقتصاد وسائر الأنظمة الجزئية المتعلقة ببناء الدولة.

وهكذا فالاسلام لم يحاول أن ينظر الى مشاكل الناس نظرة جزئية، ولم يحاول أن يرمم في بنيان قديم قائم على أساس واه، وانما أتي هذا البنيان من القواعد، وأقام لنفسه بنيانا سليما متكاملا ولم يحاول أن يصلح اصلاحاً سطحياً لا يلبث أن يزول ويمحي. وانما سعى الى اصلاح جذري عميق راسخ، لا يمكن أن يزول مع الأيام.

وهذه نقطة رأيناها واضحة في تطبيق صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام الذين أمرنا أن نتبعهم فيما يقومون به اتباعاً شديداً « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها

بالنواجذ » فأمير المؤمنين علي لما اقترح على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنهما بداءة للتاريخ الاسلامي، لم يقترح أن يكون المولد بداءة، ولا أن تكون البعثة بداءة وإنما جعل الهجرة إلى المدينة بداءة حتى يبقيها في أذهان المسلمين قائمة مدى الدهر : من هنا بدأ تاريخنا، يوم تأسست دولتنا في الوجود، ويوم بدأ دستورنا يتكلم في التفاصيل ويوم طبق قائدنا وصحابته مبادىء هذا الدستور . .

وبعد فنحن في كل يوم نسمع احاديث جديدة عن الدولة الاسلامية، وفي كل آن نسمع أماني بتحقيق هذه الدولة، وفي كل وقت نرى أناساً يدعون اليها، غير اننا نلاحظ الى جانب ذلك خوض هؤلاء في أبحاث لا تفيد الدولة في شؤونها بقليل ولا كثير، ونرى من هؤلاء إعراضاً عن تبيانِ السبيل الى بلوغ هذا الهدف وتجد هؤلاء يشغلون وقتهم باشياء فارغة بدل أن يقفوا حياتهم كلها على بلوغ هذه الغاية، نحن لا نود أن نسمع هذا الكلام فلقد مللناه لا وهذه الاقوال، فنحن نعلم انها لن تجدي شيئاً ان لم تكن مقرونة بالعمل، ولا نريد أن نتكلم عن التسامي في الاسلام والتسامح في الاسلام فحسب وندع الحديث عن نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي، واذا كنا نريد أن تقوم دولة الاسلام في الارض فلنسع الى اقامتها سعياً جديا لا فوضويا، ولنتبع هدي الرسول عليه الصلاة والسلام وسنته فمن اتبع هديه فقد اهتدى، ومن ابتدع فقد ضل، فان خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدي

محمد، وشر الامور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

لئن رأينا في هذه الايام من دول تحكم المسلمين ميلا الى طرح نواح جزئية على بساط البحث يرضى عنها الكافر المستعمر فما ذلك الا صرف لنا عن الغاية الاولى وتشتيت لقوانا، ومحاولة لتحويلنا عن الاهتمام بالرئيسي الى الاهتمام بالتوافه، وعن السعي المجدي الى الكلام الفارغ..

ولئن كانت هذه الحكومات تدعي الاسلام بهذه المعاني الضيقة التي ذكرنا، ثم يناقض سلوكها العملي هذا الادعاء في كل جزئية من الجزئيات فضلا عن الكليات، فان من الطبيعي أن تلقى من يحاول ردها الى السبيل القويم، ممن آمنوا بالمنهج المتكامل للدعوة، غير مبال بما يلقاه من عنت أو أذى غير قاصد في ذلك إلا وجه الله، غير معتمد الا عليه: « إن اريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله ».

ومنذ أن امر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بالجهر بالدعوة « فاصدع بما تؤمر » ودعوة الله تجد لها اناسا اخلصوا دينهم لله، وزكوا انفسهم من شوائب النفاق واعمالهم من التناقض يصدعون بما امر الله ولا يهابون في الحق احدا ولا يخشنون في الله لومة لائم وسيد قطب احد افراد هذه القافلة، ورسالته هذه معالم هذا الطريق..

فيا أخي المسلم، آمن بدعوتك، واتبع طريقها السليم..

﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، واتبع هواه، وكان أمره فرطا. . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. . ﴾[1].

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

**لجنة المسجد**

(١) الكهف : ٢٨ ـ ٢٩

# خذوا الاسلام جملة أو دعوه

لكل نظام من النظم فلسفته وفكرته العامة عن الحياة، ولكل نظام مشكلاته التي تنشأ من تطبيقه، وقضاياه التي تناسب طبيعته وآثاره في عالم الواقع ولكل نظام كذلك حلوله التي يواجه بها المشكلات والقاضايا الناشئة من طبيعته وطريقته.

وليس من المنطق - كما أنه ليس من الانصاف - أن تطلب من نظام معين حلولا لمشكلات لم ينشئها هو، وإنما أنشأها نظام آخر مختلف في طبيعته وطريقته عن ذلك النظام.

والمنطق المعقول ينادي بأن من اراد أن يستفتي نظاما معيناً في حل مشكلات الحياة فليطبق اولا هذا النظام في واقع الحياة ثم لينظر ان كانت هذه المشكلات ستبرز او تختفي، او تتغير طبيعتها ومقوماتها. عندئذ فقط يمكن استفتاء هذا النظام في مشكلاته التي تقع في اثناء تطبيقه.

والاسلام نظام اجتماعي متكامل، تترابط جوانبه وتتساند هو نظام يختلف في طبيعته، وفكرته عن الحياة، ووسائل في تصريفها. يختلف في هذا كله عن النظم الغربية، وعن النظم المطبقة اليوم عندنا. يختلف اختلافاً كلياً اصيلا عن هذه النظم ومن المؤكد انه لم يتشرك في خلق المشكلات القائمة في المجتمع اليوم انما نشأت

هذه المشكلات من طبيعة النظم المطبقة في المجتمع، ومن إبعاد الاسلام عن مجال الحياة.

ولكن العجيب بعد هذا أن يكثر استفتاء الاسلام في تلك المشكلات، وان تطلب لها عنده حلول، وان يؤخذ رأيه في قضايا لم ينشئها هو ولم يشترك في انشائها. العجب ان يستفتى الاسلام في بلاد لا تطبق نظام الاسلام في قضايا من نوع « المرأة والبرلمان »و « المرأة والعمل »و« المرأة والاختلاط » و« مشكلات الشباب الجنسية » وما اليها. وأن يستفتيه في هذا وفي امثاله ناس لا يرضون للاسلام أن يحكم، بل إنه ليزعجهم أن يتصوروا يوم يجيء حكم الاسلام!

والأعجب من اسئلة هؤلاء أجوبة رجال الدين ودخولهم مع هؤلاء السائلين في جدل حول رأي الاسلام وحكم الاسلام، في مثل هذه الجزئيات، وفي مثل هذه القضايا، في دولة لا تحكم بالاسلام ولا تطبق نظام الاسلام.

ما للاسلام اليوم وإن تدخل المرأة البرلمان أو لا تدخل؟

ما له وأن يختلط الجنسان أو لا يختلطان. ما له وأن تعمل المرأة او لا تعمل، ماله ومالأية مشكلة من مشكلات النظم المطبقة في هذا المجتمع الذي لا يدين للاسلام، ولا يرضى حكم الاسلام؟

وما بال هذه الجزئيات وأمثالها هي التي يطلب أن تكون وفق نظام الاسلام ونظام الاسلام كله مطرود من الحكم، مطرود من

النظام الاجتماعي، مطرود من قوانين الدولة، مطرود من حياة الشعب؟

ان الاسلام كل لا يتجزأ فاما أن يؤخذ جملة إما ان يترك جملة.

ما أن يستفتي الاسلام في صغار الشؤون، وأن يهمل في الاسس العامة التي تقوم عليها الحياة والمجتمع فهذا هو الصغار الذي لا يجوز لمسلم ـ فضلا على عالم دين ـ ان يقبله للاسلام.

ان جواب أي استفتاء عن مشكلة جزئية من مشكلات المجتمعات التي لا تدين بالاسلام، ولا تعترف بشريعته أن يقال: حكموا الاسلام اولا في الحياة كلها ثم اطلبوا بعد ذلك رأيه في مشكلات الحياة التي ينشئها هو، لا التي أنشأها نظام آخر مناقض للاسلام.

ان الاسلام يربي الناس تربية خاصة، ويحكمهم وفق شريعة خاصة، وينظم شؤونهم على أسس خاصة، ويخلق مقومات اجتماعية واقتصادية وشعورية خاصة. فأولا طبقوا الاسلام جملة: في نظام الحكم، وفي اسس التشريع، وفي قواعد التربية. ثم انظروا هل تبقى هذه المشكلات التي تسألون عنها، أم تزول من تلقاء نفسها. أما قبل هذا فما للاسلام وما لهذه القضايا التي لا يعرفها المجتمع الاسلامي الصحيح.

أوجدوا المجتمع الاسلامي، الذي تحكمه شريعة الاسلام ومبادىء الاسلام وربوا النساء والرجال تربية اسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع. واوجدوا ضمانات الحياة التي يكفلها الاسلام

للجميع وحققوا عدالة الاسلام التي يفرضها للجميع. ثم اسألوا المرأة بعد هذا : أتريد هي أن تدخل البرلمان ام انها لا تجد ضرورة لهذه المحاولة مع تلك الضمانات؟ وأسألوها : هل تريد أن تعمل في الدوائر العامة؟ أم انها لا ترغب في العمل، لأن مقتضيات حياتها لا تستدعيه. واسألوها: هل تريد أن تختلط بالرجال وان تتزين وتتبرج أم ان تربيتها اذن ستعصمها من نزوات الحيوان وشهوات الحيوان، ومشاعرها ستدعوها الى العصمة حياء من الله؟ لذلك يسأل بعض الاحيان أناس : ترى سنقطع ايدي الالوف من السارقين في كل عام تنفيذاً لشريعة الاسلام؟! وهؤلاء يرتكبون نفس الغلطة، والذين يجيبونهم برأي الاسلام الفقهي يرتكبون غلطتين..

ان هؤلاء الالوف من السارقين في كل عام ليسوا من نتاج المجتمع الاسلامي، ولا النظام الاسلامي. انما هم نتاج مجتمع آخر يطرد الاسلام من حياته، ويطبق نظاماً اجتماعياً آخر لا يعرفه الاسلام. انهم نتاج مجتمع يسمح بوجود الجائعين والمحتاجين دون أن يقدم لمشكلتهم علاجاً. مجتمع لا يضمن للملايين القوت، ولا يربي النفس الانسانية ، ولا يربط الحياة كلها بالله ولا بشريعة الاله.

أما المجتمع الاسلامي فهو مجتمع آخر : مجتمع كل فرد فيه مضمون الرزق عاملا أو متعطلا، قادراً أو عاجزاً، صحيحاً أو مريضاً ويأخذ ما متوسطه نصف العشر كل عام لا من رؤوس

الاموال ومن ارباحها لبيت المال ثم يأخذ بعد ذلك ـ بلا قيد ولا شرط ـ من المال كل ما تحتاجه الدولة لحماية المجتمع من الآفات . .

طبقوا هذا النظام أولا . ثم انظروا كم محتاجاً يبقى بعد هذا ، وكم سارقاً سيقدم على السرقة وبطنه مملوء بالطعام، وقلبه عامر بالايمان!

كذلك يسأل بعضهم عن « مشكلات الشباب الجنسية » اذ هم اتبعوا تعاليم الاسلام.

وهؤلاء يرون الشباب الذي يعيش في مجتمع غير اسلامي كل ما فيه يهيج غرائزهم، وكل ما فيه يثير نزواتهم . . ثم يطلبون رأي الاسلام في مشكلات هذا الشباب!

ان المجتمع الاسلامي لن تكون فيه فتيات كاسيات عاريات، مائلات مميلات منطلقات في كل مكان، ينشرن الفتنة، ولحساب الشيطان . . المجتمع الاسلامي لن تكون فيه افلام قذرة، ولا أغان مريضة كافلام وأغاني عبد الوهاب وشركاه . . المجتمع الاسلامي لن تكون فيه صحافة تنشر الصور العارية، والكلمات العارية، والنكت العارية، وتقوم مقام المواخير المتنقلة في كل مكان. المجتمع الاسلامي لن تكون فيه خمور تزين للناس الفجور، وتحرمهم الارادة والتفكير واخيراً فالمجتمع الاسلامي سيهيء للشباب زواجاً مبكراً، لأن بيت المال ملزم ان يعين من يريد الاحصان.

فاذا شئتم رأي الاسلام في مشكلات الشباب الجنسية، فاولا

طبقوا النظام الاسلامي كله ثم انظروا بعـد ذلك ـ لا قبلـه ـ ان كانت هنالك مشكلات الشباب!

انني اعتبر كل استفتاء للاسـلام في قضية لم تنشـأ من تطبيق النظام الاسلامي والاسلام كله مطرود من الحياة. . انني اعتبر كل استفتاء من هذا النوع سخرية من الاسلام. كما اعتبر الرد على هذا الاستفتاء مشاركة في هذه السخرية من أهل الافتاء.

والذين يصرخون اليوم طالبين منع المرأة من الانتخابات باسم الاسلام، او منعها من العمل باسم الاسلام، او اطالـة اكمامهـا وذيلها باسم الاسلام!. . ليسمحـوا لي ـ مع تقـديري لبواعثهـم النبيلة ـ ان اقول لهم : انهم يحيلون الاسلام هزأة وسخرية لانهم يحصرون المشكلة كلها في مثل هذه الجزئيات.

ان طاقتهم كلها يجب أن تنصرف الى تطبيق النظام الاسلامي والشريعة الاسـلامية في كل جوانـب الحياة. . يجـب أن يطالبـوا الاسلام بأن يسيطر على نظام المجتمع وقوانين الدولة . وللتـربية الاسـلامية بأن تسيطـر على المدرسـة والبيت والحياة. . يجـب أن ياخذوا الاسلام وأن يدعوه يؤدي عمله في الحياة جملة. . فهذا هو الاليق لكرامة الاسلام. وكرامة دعاة الاسلام.

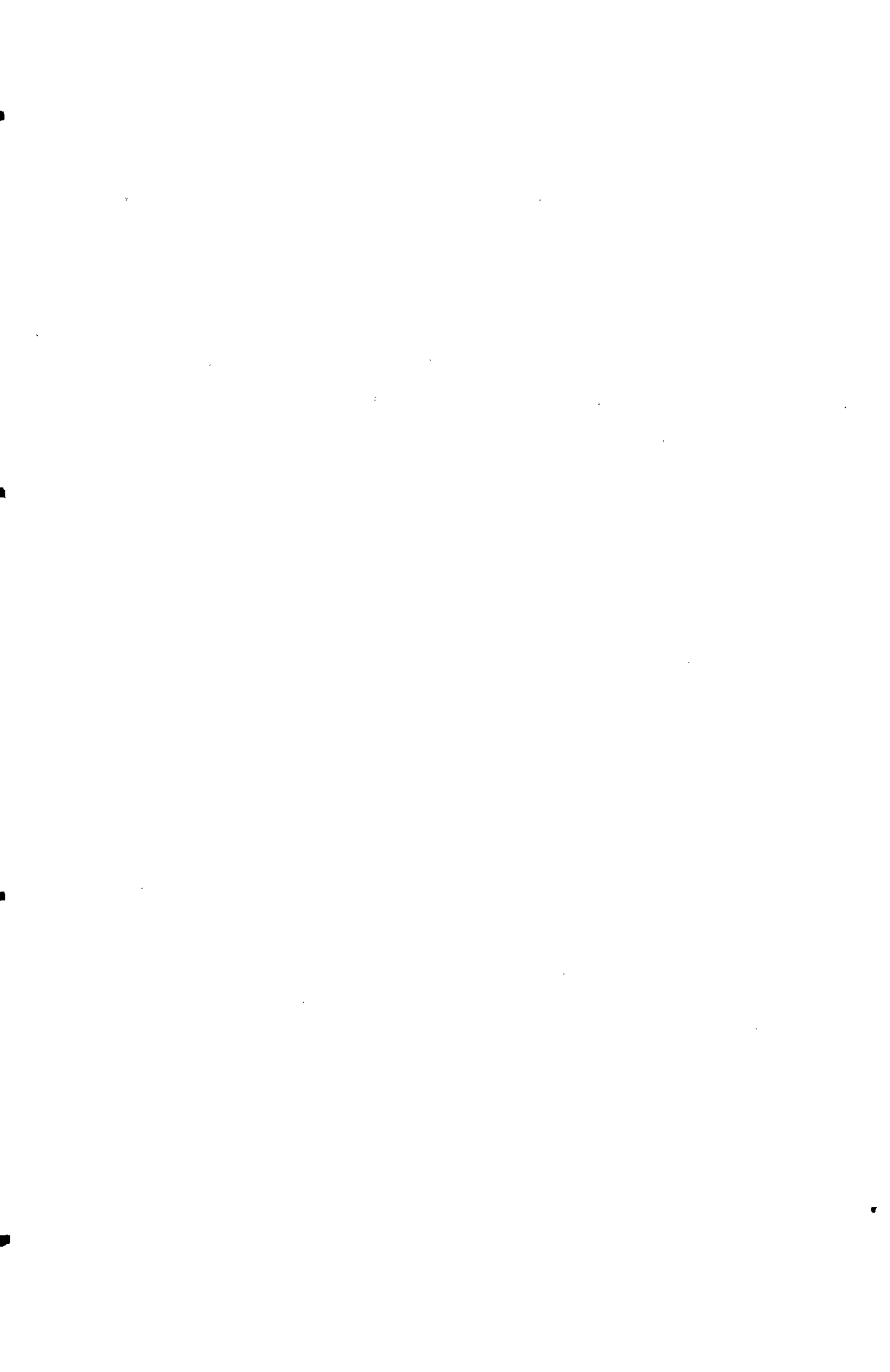
هذا اذا كانوا جـادين في الامر، مخلصين في الدعوة. . أما اذا كان الغرض هو الضجيج الذي يلفت النظر، وهو في ذات الوقت مأمون لا خطر فيه! فذلك شأن آخر أحب أن أنزه عنه على الاقل بعض الهيئات والجماعات! ·

# مأدبة الشيطان

## قذرة مسمومة .. فاحذرها وحذّر منها !

للأستاذ
محمد سعيد الطنطاوي

الطبعة الثانية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، يوفِّق إلى الخير ويعين عليه ويثيب. وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الكريم، الذي يهدي إلى طريق البرِّ، ويدلُّ على سبيل الرشاد. ورضي الله عن أصحابه الذين سلكوا الجدَدَ، واستقاموا على السَّنن، واتبّعوا النهج المفضي إلى الفوز والنعيم.

وبعد، فإن ما آل اليه حال أكثر المسلمين، من ضعف في الأمة، وانحراف في الافراد، يكاد ان يعود إلى أصلين اثنين :

غفلة عميقة عن الله عز وجلّ، وعن الآخرة ومعانيها، وعن الإسلام ومنزلته، أدَّت إلى الانكباب على الدنيا، والاطمئنان اليها، والاستغراق فيها.

وسطحية في التفكير، مصحوبة بنظرات إلى الحياة خاطئة، وتصوُّرات للقيم ضيقة مشوَّهة، ومقاييس غريبة منكوسة.

والغفلة في القلب تورث الغفوة. وما يصيب التفكير من إسفاف، يؤدي إلى الإنحراف.

أما الغفلة، فكان أهمّ ما ساعد عليها، طغيان المادّة وسيطرتها على القلوب، حتى صبغت حياة الكثيرين بصبغتها، فأصبحوا لا ينظرون إلى الحياة إلا بمنظارها، ولا يزِنونَ الأمور إلا بميزانها.

وأما الانحراف ، فقد جرَّ إليه هذا الوباءُ الخبيث (المدنية الغربيَّة) الذي تسرَّب إلينا من الغرب ، انسلَّ أول الأمر انسلالاً ، ثم أسفر عن وجهه ، وكشَّر عن أنيابه ، وصدمنا بعنف ، فتضعضع لهجومه بنيانُنا ، وتصدع له كياننا ، وبعث في قلوب الكثيرين الرهبة له ، فخضعوا لتأثيره ، واستسلموا له ، وأصبحوا لا يجلّون إلا هذه المدنية الغربية ، ولا يتبعون إلا ما تقضي به وتدعو إليه .

وقد أعان على هذا وذاك ، ومهَّد له ، جهل كبير ، وابتعاد عن الاسلام ، جعل أهله غرباء عنه ، وسهَّل لتلك المدنية القذرة ، أن تحتلَّ ميدانهم الفارغ ، وأن تجعل دعامتيها : المادية والنفعية ، تجدان طريقهما إلى عقولهم وقلوبهم .

والاهتمام بهذا ، والسعي لمكافحته ، واجب على كل رجل ، وكل شاب ، وكل فرد من أفراد هذه الأمّة . ما ينسى هذا ويغفل عنه ، ويستهين به ويستصغره ، ويعمى عن خطره ، إلا من ذهل عن كيانه ، وأضاع نفسه ، وقطع الصلة مع أمته وعقيدته وماضيه .

وهذا الفساد ، وهذا الانحراف ، وهذا الخطر ، ليس ضربة لازب لا يمكن إزالته ، وما هو في رسوخه كالطود لا يستطاع زحزحته . وإنما من أجزاء ضئيلة ضعيفة واهنة ، كقطرات المطر ، خَلا لها الجوّ ، فاجتمعت بركاً ، ثم طمت وفاضت ، فسالت ودياناً ، ثم التقت واتحدت ، فتحدَّرت سيلا دفاقاً دفاعاً ، يعصف بما يمر به ، ويذهب بما يعترضه . ولكنه مع ذلك لم يخرج عن كونه ماء ، القوة والتدمير ، صفات فيه عارضة مؤقتة ، واللّين والضعف

من سمات الماء في كل ناحية وكل آن. إذا اعترض الماء هوّة فلا بدّ أن يتردى فيها، وإن مرّ على بالوعة، فيقين أن يغيض ـ ولو بعضه ـ فيها. ما رأينا ماءً تفادى سرباً، ولا سمعنا بسيل صعد جبلا، ولكنه يسير في سفح الجبل، وينقاد مع التواءاته ويملأ ثغره وفجواته، ويحاول أن يعبث بأصل الجبل، فيقتلع منه بعض الأحجار، ويذهب ببعض الأتربة، ولكن الجبل هو الجبل، يبقى يطلّ على السيل من علٍ، يهزأ ويسخر منه! ثم تمضي ساعات أو أيام وإذا بالسيل قد مضى، وأثره قد انقضى، وهديره وجعجعته قد زالت، فجفّت الارض، وعاد الهدوء، وبقي الجبل يطل من عل كما كان يطلّ، وآض السيل ذكرى باهتةً في ذاكرة الجبل، كآلاف السيول التي مرّت قبله، وحاول محاولته!

وكم من جبال قد علت شرفاتها
رجال، فبادوا، والجبال جبال

لقد حاولت هدم الاسلام قبل أمة التتر أمم، وجربت محو الاسلام بعد غزوات الصليبيين غزوات، ولكن سيول السبئيين والتتر والقرامطة والصليبيين.. قد انطوت وبادت، والاسلام هو الاسلام، يبرأ ممن تبرأ منه وتولى عنه، ويعتذر عمن تولاه وقصرّ في حقه.

وكما أن السيل المدمر المكتسح، الذي يزرع الخراب والهلاك أنّى سار، لم يظهر سيلا دفعة واحدة، وإنما تشكل من قطرات،

فكذلك الجبل العظيم، الذي انقض عليه السيل، فلم ينل إلا يسيراً من جدرانه، وتخاذل حتى انكب على أقدامه، هذا الجبل أيضاً لم يكن قطعة واحدة، وإنما تركب من ذرات، من الأتربة والحصى والرمال!

فاذا عَسُرَ على أحد الأفراد، أن يكون جبلا أمام هذا السيل من الفساد، فلن يتعذر عليه أن يصمم ويعزم على أن يكون ولو حبة من الرمال، فتقوم منه ومن إخوانه جبال وجبال.

لا تحقرنَّ صغيرة إن الجبال من الحصى

إن في أيّ مسلم خير كبير، وقوة عظيمة، إذا لم ينس نفسه، ويستصغر شأنه، إنه يستطيع أن يفعل الشيء الكثير، إذا استطاع أن يتحرر من وباء المادة، وسيل الغرب، ويفصم عُراه منهما.

أبعد القطرة عن سيل طما
وانظرنَّ اليمّ منها التطما

إن الفساد يتألف من أجزاء، كهذه السينما الخبيثة، التي يَرى أثرها الواضح، من كان ذا عينين، في تطور أخلاق الشباب وأخلاق الناس، وحتى فاقد العينين لا بد وأن يكون قد سمع طرفاً ولو قليلاً من حوادث الإجرام الكثيرة، في كثير من البلدان، وفي هذا البلد بالذات، كحوادث مهاجمة دار في الليل وقتل صاحبها وسرقة أمواله، والسطوّ على متحف دار الآثار وسرقة قدر ضخم من نقود كانت فيه.. إلى غير ذلك من حوادث قام بها غلمان من

طلاب المدارس، اعترفوا للمحقق انهم إنما دفعهم إلى ذلك ما تعلموه من السينما، فطبقوا الدروس التي تلقنوها من الأفلام!

وكما أن الفساد يتألف من أجزاء، فان إصلاح الفساد أيضاً إنما يقوم على أجزاء، وكل طريق مهما طال، مجموعة خطوات!

وهذه الرسالة، مثال على ذلك. فقد كنت قبل سنوات اجتمع مع عدد من الشباب، كلهم من الطلاب، بعضهم في الاعدادي والثانوي، والبعض في الجامعة، في دار الاخ نزار الدقر - وقد أصبح طبيباً الآن أو كاد - ساعة في الاسبوع، يتدربون فيها على وسائل التعبير، من كتابة وقراءة وإلقاء، فيستفيدون من ملاحظات بعضهم لبعض. وكان من ذلك بحث عن السينما ألقيته بين ما ألقي في واحدة من تلك الجلسات، واستمعت إلى ما قدموا عليه من ملاحظات، لاسيما الفقرتان الاخيرتان، اللتان استفدتهما من السيد مروان - أخي نزار - وفقه الله وأثابه،

وكان آنئذ في الصف الثامن على ما أذكر.

وحدث أن تخلف مرة خطيب مسجد الجامعة، لمرض أَلَمّ به، فطلب إليّ أن أخطب، ولم يكن ثمت متسّع للاعداد، وكرهت الارتجال بما لا يفيد، فقرأت ذلك البحث عن السينما، الذي رغبت اللجنة الكريمة - سدّد الله خطاها - أو رغب إليها أخوانها، في نشره.

وهذه الرسالة لن تعصف بالسينما، وتقتلعها من جذورها، ولكنها ستساعد على مكافحتها، وستساهم في الحدّ من خطرها.

ولو أن كل شاب مسلم قدّم مثل هذا الجهد اليسير، لاجتمع منه شيء عظيم جليل.

ولو أن كل شاب مسلم، بدلا من أن ينفق جهده، ويصرف وقته، ويضيع عمره في السعي للترهات، من الوظائف والشهادات، أو بذْل حياته في سبيل بلوغ ما قضاه الله له وقدره من رزق، لا بدّ وأن يأتيه، قليلا كان أو كثيراً، بالمعتدل من السعي، والجميل من الطلب، لا يزيد في رزقه، انكباب وزيادة نشاط، ولا وصول إلى مناصب وحيازة شهادات، ولا يحدّ منه جهل ولا تقاعس ولا غباء.

لو أن كل شاب مسلم، بدلا من ذلك، اتخذ له مهمة أنبل وأكرم وأجدى، أن يكون عالماً موثوقاً، أو مفكراً عميقاً، أو أديباً كبيراً، أو كاتباً، أو شاعراً، أو خطيباً أو صحفياً، أو داعية، أو مربياً. ليستطيع أن يحمل قسطه من العمل لمبدئه ودينه، وتقديم مهر ما يرغب فيه من الجنَّة، لو أنه عيَّن مثل هذا المجال الذي ينسجم مع مواهبه، للعمل في سبيل إسلامه، ثم بحث عن سبيل هذه المهمة، وما تتطلب من علم وخبرة وأدوات، وبحث عن طرق اكتسابها، ثم مضى في ذلك مشمراً جاداً دائباً، بعد أن تحرر من قيود المجتمع الفاسد، وتجمل بالعزيمة والتصميم، لو أنه فعل ذلك، لما تحدثنا الآن عن الفساد مثل هذا الحديث. ولكن عسى!

والله المستعان

**محمد سعيد الطنطاوي**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أمر بالخير ورضيه لعباده، ونهى عن الشر وكرَّهه إلى المؤمنين، وصلى الله على رسوله الأمين الذي بينَّ الخير ودعا اليه، وأشار إلى الشر وحذر منه، ورضي الله عن أصحابه الذين استجابوا له، وعمَّن اقتفى أثرهم وسار على سننهم إلى يوم الدين .

وبعد فإن الحياة تزخر بعدد لا يحصى من الأعمال والسبل والوسائل ، بعضها طيِّب قد نص عليه ، وبعضها خبيث قد حكم عليه ، وإلى جانبهما الكثير الذي لا يصنف مع هذا ولا يعد مع ذاك ، وإنما يختلف بحسب استعماله والهدف الذي استعمل له ، والنية في هذا الاستعمال .

ومن هذا القبيل، السينما، شأنها في ذلك شأن الاذاعة والصحافة وغيرها، حتى السيارة، والقلم، والمال. . فإذا استعملت هذه الوسيلة في الخير، أدت إلى خير كبير، وإن استعملت في الشر، فأبلغ به من شر، فالبحث الآن إذن ليس في السينما نظرياً، وإنما في واقع السينما عندنا، وإذا تركنا جانباً الأفلام التوضيحية التي تعرض في المدارس والمستشفيات لأمور علمية بحتة فإننا نجد السينما تستعمل بشكل بالغ الإنحراف، وينتج عنها العديد من الشرور، فمن ذلك :

١ ـ إن ردهات السينما يختلط فيها الرجال بالنساء. والإختلاط

حرام يرتكبه من يرتاد السينما التي يدخل اليها بطوعه وإختياره.

٢ ـ وهو إذ يرى هذه المخالفة الواضحة والمعصية البينة، عليه كمسلم أن ينكرها « مَنْ رَأى مِنكْم مُنكراً فَلْيغيره.. » فإذا لم يستطع التغيير بعمله ولا الانكار بلسانه، فان المرتبة الثالثة التي لا مرتبة دونها، هي الإنكار بالقلب وهو كراهية هذا الامر وسخطه والإنزعاج منه، فإذا حصل هذا في النفس فأول ما ينتج عنه هو مفارقة المكان ﴿وَقَد نَزَّلَ عَلَيْكُم فِي الكِتابِ أنْ إذَا سَمِعْتُم آياتِ الله يُكفرُ بِها ويُسْتهْزَأُ بِهَا فلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّى يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غَيرِهِ إنَّكُمْ إذاً مِثْلُهُمْ إنَّ اللهَ جَامِعُ المُنَافِقينَ وَالكافِرينَ في جَهَنَّم جميعاً﴾[1] فإذا بقي بعد ذلك في المكان يرى المعصية أمامه، فهو راض بها موافق عليها وهي معصية ثانية، وكلاهما لا يجوز للمسلم أن يقع فيه.

٣ ـ وعدا عن اختلاط الرجال والنساء، فإن معظم النساء اللائي يرتدن السينما يكن حاسرات فاجرات مستهترات بالشرع والخلق، وهو أيضاً لا ينكر هذا، ويظهر ـ بسكوته وبقائه ـ رضاءه به وموافقته عليه.

٤ ـ والنساء سبب كبير للفتنة والغواية، والانسان لا يسيطر على قلبه، ولا يملك عواطفه وغرائزه، لذا أمرنا باتخاذ الاسباب « ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » واجتناب ما يؤدي إلى السوء « كل ما أدى إلى حرام فهو حرام » وقد حذرنا كثيراً من النساء خاصة

---

(١) النساء : ١٤٠.

« مَا تركتُ بَعدي فتنة أشدّ عَلى الرِّجال من النِّساء » فدخول الإنسان إلى هذا المكان هو تعرض لهذا السوء وهو لا يجوز.

٥ ـ وهذا كله جزء من هذا الفساد الاجتماعي الكبير في هذا المجتمع الذي انحرف كثيراً عن الإسلام. والمسلم الذي يرتاد السينما، يعتبر ـ بلسان حال اسلامه ـ بأن واجبه يدعوه إلى محاربة هذه الإنحرافات، وإلى تبيين الوضع الصحيح للناس ودعوتهم اليه، مع انه بدخوله السينما يظهر انسجامه مع هذا الإنحراف بدلا من محاربته وهذا تناقض لا يصح للمسلم أن يقع فيه.

٦ ـ وفوق هذا، فإن في هذا غشّاً للمسلمين أيضاً فالمسلم داع، ولو لم يقصد، ولو لم يتكلم، وهو قدوة لمن يثق به ممن هو دونه ـ وواضح أنه لن يكون دون الناس جميعاً، فلا بد من وجود من يعجب به أو يحسن به الظن ـ فقد يظن بعض من يراه، أو يعلم بدخوله، أن هذا أمر لا بأس به، وأن السفور والحسور والفجور والإختلاط والسكوت عن انكار المنكر.. كل ذلك يجوز، فيغشهم بذلك. بالاضافة إلى أن في ذلك غشّاً لمن لا يعرفه ولا يعرف الاسلام « الإسلام محجوب بأهله ».

٧ ـ ومعظم الأفلام، إن لم تكن كلها، مخالفة للاسلام مبنى ومعنى فيما يعرض فيها من صور ومشاهد، وفيما تدل عليه من معان ومقاصد، وهو بذلك يعرِّض نفسه للفتنة بما يعرض غالباً من صور النساء العاريات، فينفر من زوجته ـ اذا كان متزوجاً ـ حين يقارنها بمن هي أجمل منها فيما يرى من الصور. ويثير غريزته ويحرك شهوته

ـ إن لم يكن متزوجاً ـ أسوأ تنبيه، يضطر معه الى سلوك السبل المنحرفة واستعمال الوسائل الشاذة، كما يثير في نفسه أحط الغرائز، ويوقظ أخبث العواطف ، بما يرى من مشاهد مثيرة، وصور مغرية، تجعل الغرائز الحيوانية فيه تتسلط على نفسه وتفكيره وعواطفه، وهو بسكوته على هذه الأمور المنافية، يوهم الآخرين أن هذا ينسجم مع الاسلام، لأنه ـ وهو الذي يدعي حب الإسلام والتمسك به ـ يجلس أمام هذه المشاهد ساكناً هادئاً، كأنه لا يرى محذوراً أو منكراً.

٨ ـ إن عقلية الإنسان وأحاسيسه ونفسيته في تطور مستمر، والجو الذي يحيا فيه الإنسان، والحوادث التي يمر بها ويراها ويسمعها، هي العوامل في هذا التطور، وهذا الزاد الخبيث الذي يجده الانسان في السينما، يجعل هذا التطور يسير في إتجاه جدّ خطير، ويعطي أسوأ النتائج، وتظهر رواسب هذا الفساد في عقليته وتفكيره ونفسيته وعواطفه.

٩ ـ هذه الافلام تنتجها شركات، كلها عدوة للاسلام محاربة له، نظرياً وعملياً، أو عملياً فقط، فهم إما إفرنج ـ وكثير من هؤلاء يهود وصهيونيون ـ وإما من حثالة المصريين المستهترين بالعقيدة والخلق والاسلام. فتحبيذ ما تنتجه هذه الشركات، لو لم يكن سيئاً، لكان ـ بما يؤدي إليه من تشجيع وتقوية لها مادياً ومعنوياً ـ خيانة كبيرة، فكيف ومعظم هذه الأفلام على درجة من التحلل والشناعة في صورها وفي مواضيعها؟

١٠ ـ بعض هذه الافلام يقال أنه حسن وجيد ومفيد والـذين يقولون هذا، إنما يطلقون هذا الحكم ـ من حيث لا يشعـرون ـ بالنسبة لبقية الأفلام التي بلغت حداً مريعاً من الخطة والقـذارة، فأما بالمقياس المجرد فلا يمكن أبـداء أن يوصف فلـم منهـا بأنـه سليم، ذلك بأنه يندر أن يخلو فلم من نساء ـ اذ هم يعلمون أن مثـل هذا الفلـم مقضي عليه بالفشـل في هذه المجتمعـات التـي أفسدت السينما عقائدها وأخلاقها ومقاييسها ـ ولو حصل هذا لبقي الفلم بعيداً عن أن يقال عنه لا بأس به لأن العقلية التـي كتبتـه والأعراف التي أخرجته والنفسيات التي مثلته، كلها تمثل حضارة وتعتمد على أصول تعارض الإسلام وتنحرف عنه انحرافاً كبيراً، ونحن أعقل من أن نحدد الخطر بالناحية الخلقية والعملية فنقتصر به عليهما، ونغفل عن الناحية النفسية والفكرية ونهملهما.

١١ ـ وأسوأ من هذا ما يسمونه أفلاماً إسلامية يسيؤون بها إلى الإسلام ويشوهونه وينتقصون منه، حتى لو كانوا حسنـي النية، فإنهم في جوهم البعيد عن الإسلام، مؤلفين ومخرجـين وممثلـين، وحياتهم بين الكؤوس والسيقان لا يستطيعون إلا أن يعبِّروا عن هذا الجو حينما يستعملون عقولهم التي تغذت منـه، وعاداتهـم التـي تربت فيه، ومشاعرهم التي نشأت عليه، حتى ألفوا هذا الجـو، ورأوا فيه الجو الطبيعي الصحيح، فهم بهذه الافلام لا يسيؤون إلى الخلق والفضيلة فقط، وإنمـا يسيؤون الى الاسـلام نفسـه، حينما يغرُّون السذج من الناس الذي يحبون الإسلام ولكنهم يجهلونه.

ثم هم يجعلون هؤلاء الأغرار بهذه الأفلام يألفون السينما نفسها ويتعلقون بها، فيصبحون بعد حين من رواد أفلامها جميعاً.

١٢ ـ والمال الذي ينفقه من يرتاد هذه الدور، من نعم الله عز وجل علينا، وهبنا اياه، وحدد لنا كيف ننفقه إذا رغبنا في الجنة ﴿ إنَّ الله اشْتَرى مِنَ المُؤْمِنِنَ أنْفُسَهُمْ وأمْوَالَهُمْ بأنَّ لَهُمُ الجَنَّة ﴾(١) فهو ليس مالنا ﴿ وأنْفِقُوا مِمَّا جَعَلكم مُسْتَخْلَفِينَ فيه ﴾(٢) فلا يحسن بالمسلم أن يستعمل هذه النعمة إلا في خير، وخاصة إذا ذكر أنه سيحاسب عن كل قرش منه « لا تَزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربَعْ : عن عُمُره فيما أفناه، وعن جَسدِهِ فيمَا أبلاه، وعن مالِهِ من أينَ اكتْسبه وفيما أنفقَه، وعن علْمِهِ ماذا عمل فيه ».

١٣ ـ والإنسان في هذه الحياة بحاجة إلى أشياء كثيرة لتربية نفسه وتهذيبها وتثقيفها، وخاصة الكتب والسفر في طلب المعرفة.. وكل هذا يحتاج إلى المال، حتى المحافظة على العافية تحتاج إلى المال لتوفير الثياب والغذاء ووسائل الراحة، فحينما يهدر شيئاً من المال في غير هذه الوجوه، يكون قد حرم نفسه ـ أو غيره ممن بامكانه تقديم المعونة لهم ـ شيئاً من الخير القريب أو البعيد كان يستطيع أن يزيد به نفسه صلاحاً وقوة ومضاء.

١٤ ـ والمال الذي يدفع أجراً للسينما لا يكون صاحبه قد أساء الإستعمال الذي بينه له الإسلام فقط، ولا حرم نفسه ـ وأمته ـ من

(١) التوبة : ١١١

(٢) الحديد : ٧.

خير كان يستطيع أن يناله فحسب، وإنما يكون قد أداه إلى أعدائه فقواهم به على حربه والكيد له ولأمته وعقيدته، فبعض هذا المال يتحول إلى أسلحة تدمر بلاده ـ أو بلاد غيره ـ أو ترهب أمته على الأقل كيلا تخرج عن سلطان أعدائها ولا تخالفهم، وبقية المال تنتج به أفلاما أخرى تنتشر فيها كالوباء وتعمل في جسمها كالسوس حاملة إليه كل مرض فتاك لتزيد في ضعف أمته وضعضعتها وتحللها.

١٥ ـ وإذا أضيف إلى هذا كله، إن بلاد هذا الشخص وأمته على درجة من الفقر والضعف، وإن هذه الأجور إذا أضيف بعضها إلى بعض كان بامكانها أن تشبع عدداً كبيراً من البطون الجائعة وتكسو كثيراً من الأجساد العارية، وتوفر السبيل لتعليم عديد من الفتيان النابغين الذين ينصرفون عن العلم لفقرهم وضيق ذات يدهم، وكان بامكانها أن تقيم عدداً من المعامل والمصانع والمنشآت، إذا تبينا هذا، وضح لنا مبلغ الإجرام في هذا العمل الذي يستهين به صاحبه ولا يفكر فيه.

ولنحاول أن نتبين تقريباً المال الذي يدفعه وأمثاله في بلد كهذا البلد: ففي الحفلة الواحدة يحضر حوالي ٥٠٠ شخص (أكثر حظائر السينما تلتقم أكبر من هذا العدد) يدفع كل منهم لا أقل من نصف ليرة فهذه (٢٥٠) ليرة وللحفلات الثلاث (٧٥٠) ليرة فلـ: ١٢ سينما مثلا يكون ٩٠٠٠ ليرة وهذا في اليوم، ففي الشهر يبلغ مقدار الأجور ٢٧٠٠٠٠ ليرة وفي العام ٣٢٤٠٠٠٠ ليرة، نيف

وثلاثة ملايين ليرة في بلد واحد فقط، فاذا ضم إليه المدن الكثيرة في هذه البلاد التي لا تكاد تخلو احداها من عدد من السينات ، ادركنا القسم الكبير الذي يهدر من أموال الأمة وهي في أمس الحاجة إليه .

١٦ ـ والافلام إنما تعرض في قاعات محدودة ضيقة مهما اتسعت ، فإذا لوحظ العدد الكبير الذي يحضر فيها والمدة الطويلة ، التي لا تقل عن ساعتين ، وقد تزيد على الثلاث ، التي يمكثون فيها ، واعترافهم بعقم وسائل تغيير الهواء في مثل هذه الشروط، لاسيما والعقلية المادية والشره إلى الربح يمنعهم من بناء أمكنة عالية السقوف شاهقة الجدران كالجوامع مثلا ، إذا لوحظ هذا وضح أي جو تتنفس فيه هذه المخلوقات خلال هذه الفترة .

١٧ ـ ويضاف إلى ما بين من الجو المادي ، ما هو معروف عن الجو المعنوي الذي خضع هناك للمدنية الافرنجية الداعرة ، وتوفر الشروط والفرص ـ ولاسيما الظلام ـ لأصحاب النيات السيئة والأغراض الخبيثة والنفوس الشريرة .

١٨ ـ يذكر بعض السذج انه لا بد للانسان من فترات استجمام وتسلية ، فاذا ذكر هؤلاء أنهم حينما يعمدون إلى التسلية في هذا الجو ، كيف يحرمون أنفسهم من المتعة الكبيرة ، والفائدة الجمة إذا ابتغوا هذه التسلية في سير هادىء مع صديق حبيب في شارع جانبي جميل ، أو في زيارة رقيقة لاقرباء أو أصدقاء ، أو في جلسة

لذيذة مع كتاب نافع بسيط، إذا ذكروا هذا عرفوا سذاجة التبرير وسخافة التفكير.

١٩ ـ ولا ننس أن مدة الفيلم لا تقل عن ساعتين عدا الوقت الذي يبذل في الذهاب والإياب ، هذا الوقت الذي يصرفه الانسان مقابل إتعاب جسمه والإساءة إلى صحته وتسميم فكره وخلقه وتقوية أعدائه وبذل ماله لمن يكيد لدينه وأمته ، وتشجيع من يحارب فكرته ، وهو في أمس الحاجة إلى هذا الوقت وإلى كل دقيقة منه ، وإذا كان كثير مما يخسره الانسان يمكن أن يعوض فإن الوقت لا يعوض بحال ولهذا كان السلف شديدي الحرص على الوقت وحسن الاستفادة منه وقد قال رجل لعامر بن عبد قيس : قف أكلمك ، فقال : أمسك الشمس! . وإذا كنا واقعين في كثير من المفاسد والانحرافات ، وإذا كان ينقصنا كثير من الخير في عقولنا ونفوسنا وسلوكنا ، فإن كلاً من عمليتي التخلية والتحلية يحتاج إلى وقت طويل فكل جزء يهدره الانسان من وقته فيما لا طائل تحته من لغو وعبث وطائل إنما يكون بذلك قد أبى على نفسه التخلص من بعض ما هو فيه من مخازي، أو إكتساب قسط مما يحتاج اليه من فضائل ، وإذا تركنا هذا وذاك جانباً فإن واجبه يدعوه للمساهمة باصلاح أمته وتقويم ما اعوج من شؤونها وتقوية ضعفها ورأب صدعها والنهوض بها ، ولا بد لهذا من مديد الوقت وطويل الزمن ، فبإضافة شيء منه دون فائدة ، يكون قد رضي لأمته الذل والاستكانة والضعف .

٢٠ ـ ثم إن العاقل لا يرضى لنفسه بالنظرة الضيقة للأمور، ولا يكتفي في البحث بجانب واحد من الموضوع، وإنما ينظر النظرة الواسعة الشاملة، فاذا بحث في امر السينما على هذا الأساس ودرس آثارها وما ينتج عنها من جميع النواحي، وجد لها ـ وخاصة من الناحية الاجتماعية ـ أثراً جدّ خطير، وذلك أن هؤلاء البسطاء، الذين أخذت السينما بألبابهم، يرون أمامهم مشاهد من حياة الغرب المادية المنحرفة الفاجرة، بل أسقط وأحط ما قد يحدث هناك، وتتوالى هذه المشاهد أمامه وتتكرر، فيعتادها ويألفها، وتصبح بعد مئات المرات طبيعية لديه لا شذوذ فيها ولا نكر، ويراها جزءاً من الحياة العادية، فإذا رآها في حياته أو شاهدها أو سمع عنها في مجتمعه لم يغضب ولم ينكر ولم يستغرب، فإذا كثر هؤلاء ـ كما هو حاصل الآن ـ فقد ذهبت الأمة وتصدع كيانها وذهب ريحها، ولم يعد لها شأن بعد ضعف عقيدتها وانحراف مقاييسها وذهاب أخلاقها.

فالسينما بهذا إنما هي أداة نفاذة خطيرة لطعن الأمة في أثمن وأقدس ما لديها، في عقيدتها وخلقها.

والذي يدخل السينما ويبذل فيها ماله إنما يقوي هذه اليد التي تطعن أمته في صميمها، يقويها بماله ويمكن لها بتشجيعه.

وإن الذي لا يرتاد السينما قط يكون آثماً إذا كان لا ينكرها ولا يحاربها ولا يهتم بها، فكيف بمن يُكثر سواد القطيع الذي يدخل اليها، مشكلاً بذلك جزءاً من الدعوة اليها، سوى ما يقدم

لأصحابها من ماله فيكون بدلاً من محاربة الشر المحدق بأمته الذي يفتك بها قد أعانه بنفسه وماله؟

٢١ ـ والرجل الذي يدخل السينما إنما يفسح المجال للهزء به والانتقاص من رجولته، إذ أن السينما إنما جعلت للأطفال الذين لم تكتمل بعد مداركهم، وتسلم نظراتهم، وتتسع آفاقهم، فهم يخدعون بهذه الصور التي يحسبونها ـ لسذاجتهم ـ من الحقائق فيعجبون بها ويتأثرون، فالرجل الذي لا يتأثر بما يرى ولا يعجب به، يكون دخوله عبثاً وعمله هراء وليس هذا من شأن العقلاء.

وأما أنه يدخل لكونه يتأثر بهذه الصور والخيالات والظلال فيكون قد حكم على نفسه بانتكاسه إلى مرحلة الطفولة وأنه ليس إلا صبياً في ثياب رجل.

٢٢ ـ وهو حين يدخل إلى السينما يتعرض لطلب زوجته وأولاده وإلحاحهم في أن يفعلوا مثله وهو لا يستطع أن يمنعهم مما سمح فيه لنفسه فيجلب على نفسه خراب بيته، حينما يسمح لزوجته بأن تتعلم مما تشاهده سبل الخيانة والغواية والنظر الى غير الزوج والتعلق به مما هو عند الغرب من لوازم الرقي والمدنية والتقدم، ويتمم إجرامه بأن زرع في نفوس أولاده وصحائفهم البيضاء هذه الأسس القائمة وهو المسؤول عن ملاحظتهم وتربيتهم.

٢٣ ـ والسينما بعد هذا جزء من مدنية الغرب، هذه المدنية الكافرة الملحدة القذرة، التي تسربت الينا وتغلغلت فينا وسادت مجتمعنا فزرعت فيه الهلاك والدمار والخراب، وإن على المسلم

الحق أن يحارب هذا الوباء الذي اجتاح أمته، يحاربه كلا وأجزاء حربا لا هوادة فيها مخلصاً لله مستعيناً به حتى يحكم الله.

٢٤ ـ ومعظم من يذهب الى مائدة الشيطان هذه يفضل أن يكون ذهابه ليلاً، وخاصة إذا كان عمله أو مدرسته لا يسمحان له بالذهاب نهاراً فيتحمل في سبيل إبليس هذا السهر المضني الذي ينهك صحته ويذبل نضرته، ويدفعه الى مخالفة سنة رسول الله ﷺ الذي كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

٢٥ ـ والسينما معوان كبير لإبليس في محاولته هدم اكبر أركان الاسلام، الصلاة، ليسهل عليه بعدها أن يهدم بقية الأجزاء، فكثير ما يبدأ « الفلم » قبل المغرب (الساعة السادسة) فتفوته صلاة المغرب جزءاً من آذار، وطيلة شهور نيسان ومايس وحزيران وتموز وآب وجزءاً من ايلول. والذين يحضرون العرض الأخير ـ وما أكثرهم ـ يعودون بعد الثانية عشرة وقد أضناهم التعب والنعاس، فيترك كثير منهم صلاة العشاء.

وهؤلاء الذين اضطروا أن يناموا في الواحدة أو بعدها لا يستقيظون إلا ضحى ـ وخاصة في الصيف فإذا بهم قد أضاعوا لا المسجد والجماعة فقط، وإنما الفجر نفسه، ويتم الواحد منهم نهاره خبيث النفس كسلان.

هذه صفحة من الصفحات الكالحة للسينما في هذه الأيام، والذي جعلها قاتمة بهذا الشكل : فساد المجتمع، وجهل العامة، وغفلة الخاصة؛ ولا خير في التعامي عن الواقع مهما كان مرا، فقد

يوجد من المسلمين ضعيف يقول : ان بعض الملاحظات التي عرضت غير صحيح ، أو ان بعضها قد ينتفي ببعض الاحتياطات أو في الظروف.

وقد يكون هذا صحيحاً ، ولكن ما شأن المحاذير الأخرى؟ إنه ما بقي هناك ولو محذور واحد ، فليس للمسلم العاقل الذي جعل زمامه بيد الواجب لا بيد الشهوة ، أن يقع في هذا المحظور. حتى إذا تم الاصلاح الذي يقضي على جميع هذه الانحرافات في السينما ، فلا جناح عليه آنذاك أن يدخلها وأن يدعونا فنرافقه.

أما الآن فان السينما لو لم تكن انحرافاً يحرمه الشرع القويم ، ويحذر منه الاسلام العظيم ، لكانت دناءة ينكرها العقل السليم ، ويترفع عنها الرجل الكريم.

## هذه الرسالة

قد طبعت في شعبان قبل الماضي عام ١٣٨١ ، ونفدت نسخها بعد ذلك بقليل ، ورغب إلينا الكثيرون بطبعها من جديد ، ولكن كان يمنعنا من إعادة طبعها ، وطبع ما نفد من الرسائل الأخرى ، تمكّن قلة اليسار ، وصدّ ذوي اليسار ، حتى إذا وفّق الله أحد أغنياء النفس ـ وإن لم يكن واسع الغنى ، كثير العَرَض ـ فتبرع لهذه الرسالة ببعض نفقات طبعها ، لم نسارع إلى ذلك فقط ، وإنما تيّسر لنا بهذا أن نقدّمها لكل مشترك كهدية ، يقتنيها إن كان قد فقد النسخة الاولى ، أو يقدمها لمن أحبّ ، إن كان لا يزال محتفظاً بها وتيّسر لنا أيضاً أن نخفض سعر العدد منها الى (٥ ، ٧ ق . س) بدلاً من (١٥ ق . س) .

فجزى الله هذا المحسن الكريم ، الذي أبى إلا كتمان اسمه . ووفق سائر المسلمين إلى الهدى والبّر والخير.

لجنة المسجد



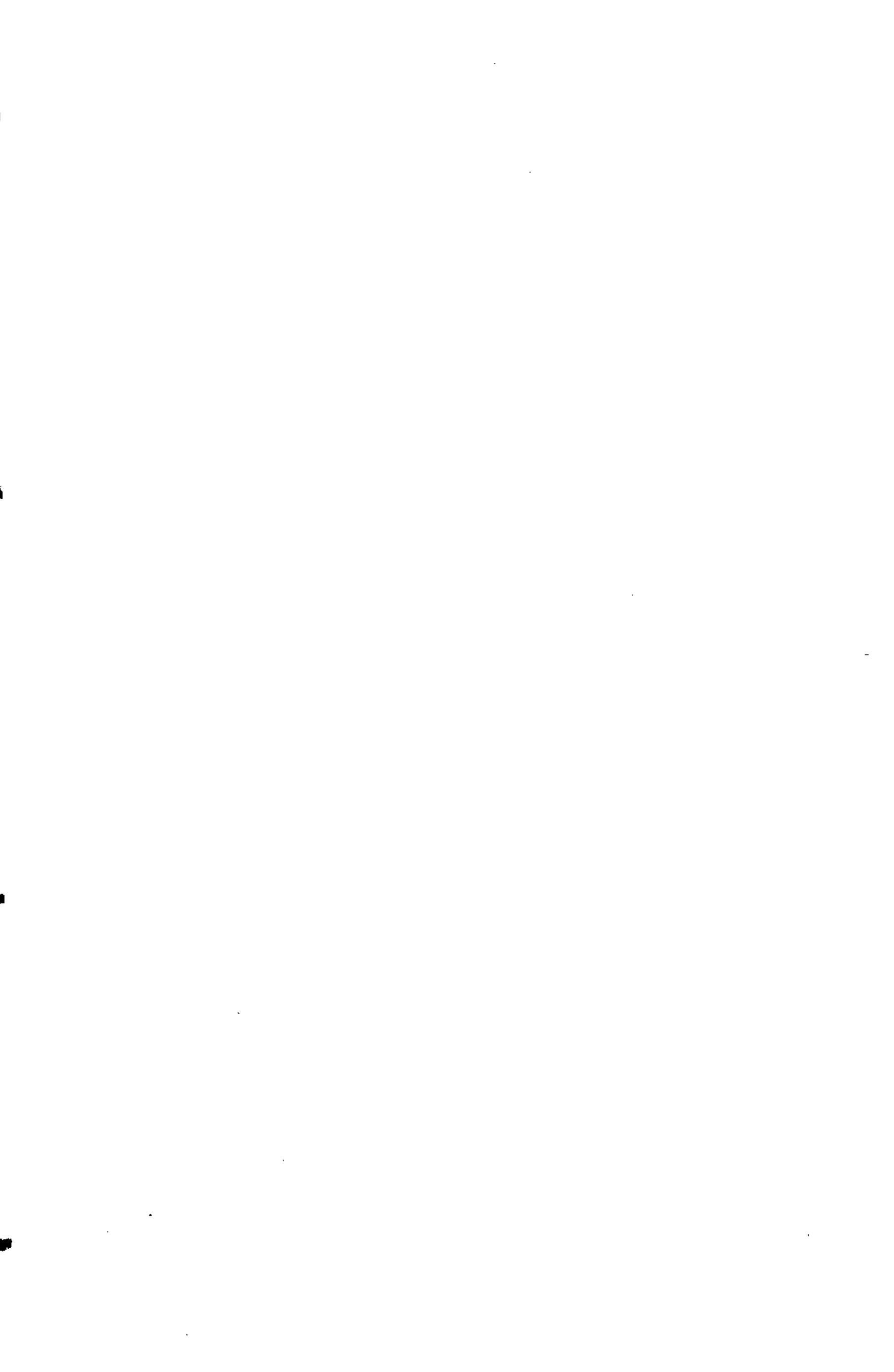

# الصيام

تصنيف الشيخ العلامة الفقيه

محمد بن عبد الرحمن الشافعي الدمشقي

من علماء القرن الثامن الهجري

رمضان ١٣٨١



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كتب على عبيده الصيام، ووفق من ارتضاه منهم فيه للخير والطاعة والقيام، وصلى الله على رسوله الكريم، نبيّ الرحمة، والنعمة الكبرى لهذه الأمة، مبين طريق الهدى، وقائد الهداة والدعاة، إلى خير الدنيا وسعادتها، وفوز الآخرة ونعيمها.

وبعد، فإن من الواضح المعروف، أن ما يجسه الانسان في هذه الحياة من سعادة، وما يلاقيه غداً من السعادة، مرتبط الارتباط الوثيق بقربه من الحياة المثالية الصحيحة، وان هذه الحياة المثالية ليس لها الانظام واحد، هو الذي ارتضاه خالق الحياة وخالق الناس، وانزل كتاباً لبيانه، وارسل رسلاً لشرحه. وإن الذي يرغب بهذه الحياة الفضلى ويتوق لما تهيىء له من نعيم، لا بد له من معرفة اجزائها التي تتعلق باجزاء الحياة، فإن أفضل الاعمال صرف الاوقات في الموافقات.

ونحن الآن في هذا الجزء المبارك من الحياة، شهر رمضان المكرّم، الذي لاعماله مكانها في ذلك النظام. وقد كانت نيتنا في هذه الرسالة ان تكون عن فضل الصوم وما اعد الله لاهله من نعيم وما يصيبوا بسببه في هذه الحياة من خير، وكيف يوسع من افق الحياة ما ضاق، ويفتح امام صاحبه أبواباً ما كان قبل يراها، مع أحكام الصيام وآثاره في النفس والمجتمع. . غير اننا وجدنا ان ذلك

يجعل الرسالة أضخم مما تحتمله حدودها أو يرغم على اختصار الكثير من احكامها. لذلك رأينا أن نقتصر في هذه المرة على أحكام الصيام - أو اهمها - على المذاهب الاربعة وغيرهم من بعض كبار الأئمة، اخترناها كما هي دون تعديل ومن الكتاب الجليل ( رحمة الامة، في اختلاف الائمة ) للعالم الفقيه الدمشقي محمد بن عبد الرحمن.

فطبعنا في هذه الرسالة بابي الصيام والاعتكاف من هذا الكتاب، يكون فيه علم للمحتاج اليه، وثقافة للراغب فيها، كما يُصل المسلمين بتراثهم وحضارتهم، ويعرفهم على اسلوب اسلافهم، دون تحريف فيه أو تشويه له. والخير في ذلك اردنا، ووجه الله ابتغينا.

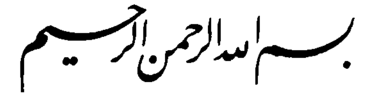
وعلنا نلتقي في رسالة اخرى بجانب آخر مما اشرنا اليه، إذا اعان الله ووفّق واراد.

وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين.

لجنة المسجد

١

# الصِّيام



- ١ -

أجمعوا على أن صيام رمضان فرض واجب على المسلمين وأنه أحد أركان الاسلام، واتفق الأئمة الأربعة على أنه يتحتم صومه على كل مسلم بالغ عاقل طاهر مقيم قادر على الصوم، وعلى أن الحائض والنفساء يحرم عليهما فعله، بل لو فعلتاه لم يصح ويلزمهما قضاؤه، وعلى أنه يباح للحامل والمرضع الفطر إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما، لكن لو صامتا صح، فإن أفطرتا تخوفاً على الولد لزمهما القضاء والكفارة: عن كل يوم «مُدٌّ» على الراجح من مذهب الشافعي، وبه قال أحمد، وقال أبو حنيفة: لا كفارة عليهما، وعن مالك روايتان: احداهما الوجوب على المرضع دون الحامل والثانية لا كفارة عليهما. وقال ابن عمر وابن عباس: تجب الكفارة دون القضاء.

- ٢ -

واتفقوا على أن المسافر والمريض الذي يرجى برؤه يباح لهما الفطر؛ فإن صاما صح، فإن تضررا كره، وقال بعض أهل الظاهر: لا يصح الصوم فى السفر. وقال الأوزاعي: الفطر أفضل

مطلقاً، ومن أصبح صائماً ثم سافر لم يجز له الفطر عند الثلاثة، وقال أحمد: يجوز، واختاره المزني، وإذا قدم المسافر مفطراً أو برىء المريض أو بلغ الصبي أو أسلم الكافر أو طهرت الحائض في أثناء النهار لزمهم إمساك بقية النهار عند أبي حنيفة وأحمد - وقال مالك: يستحب، وهو الأصح من مذهب الشافعي، فإذا أسلم المرتد وجب ما فاته من الصوم في حال ردته عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة: لا يجب.

- ٣ -

واتفقوا على أن الصبي الذي لا يطيق الصوم والمجنون المطبق غير مخاطبين به، لكن يؤمر به الصبي لسبع ويضرب على تركه لعشر، وقال أبو حنيفة: لا يصح صوم الصبي؛ فلو أفاق المجنون لم يجب عليه قضاء ما فاته عند أبي حنيفة والشافعي، وقال مالك: يجب، وعن أحمد روايتان.

- ٤ -

وأما المريض الذي لا يرجى برؤه والشيخ الكبير فإنه لا صوم عليهما، بل تجب الفدية عند أبي حنيفة، وهو الأصح من مذهب الشافعي، لكن قال أبو حنيفة: هي عن كل يوم نصف صاع من بر أو صاع من شعير، وقال الشافعي: عن كل يوم مد، وقال مالك: لا صوم ولا فدية، وهو قول للشافعي، وقال أحمد: يطعم نصف صاع من تمر أو شعير أو مداً من بر.

واتفقوا على أن صوم رمضان يجب برؤية الهلال أو باكمال شعبان ثلاثين يوماً، واختلفوا فيما إذا حال دون مطلع الهلال غيم أو قتر [١] في ليلة الثلاثين من شعبان؛ فقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: لا يجب الصوم، وعن أحمد روايتان والتي نصرها أصحاب الوجوب، قالوا: ويتعين عليه أن ينويه من رمضان حكماً، وانما تثبت رؤية الهلال عند أبي حنيفة إذا كانت السماء مصحية بشهادة جمع كثير يقع العلم بخبرهم، وفي الغيم بعدل واحد رجلا كان أو امرأة حراً كان أو عبداً، وقال مالك: لا يقبل إلا عدلان، وعن الشافعي قولان، وعن أحمد روايتان أظهرهما قول عدل واحد ولا يقبل في هلال شوال واحد بالاتفاق، وعن أبي ثور يقبل، ومن رأى هلال رمضان وحده صام، ثم ان رأى هلال شوال أفطر سراً، وقال الحسن وابن سيرين: لا يجب عليه الصوم بروايته وحده، ولا يصح صوم يوم الشك عند الثلاثة، وقال أحمد في المشهور عنه، إن كانت السماء مصحية كره، وإن كانت مغيمة وجب، وإذا رؤي الهلال بالنهار فهو لليّلة المستقبلية عند الثلاثة سواء كانت قبل الزوال أو بعده، وقال أحمد: قبل الزوال للماضية، وعنه بعده روايتان.

(١) القتر ـ بفتح القاف والتاء ـ الغبرة.

- ٦ -

واتفقوا على أنه إذا رؤي الهلال في بلد رؤية فاشية فإنه يجب الصوم على سائر أهل الدنيا، إلا أن أصحاب الشافعي صححوا أنه يلزم حكمه أهل البلد القريب دون البعيد والبعيد يعتبر: على ما صححه إمام الحرمين والغزالي والرافعي بمسافة القصر، وعلى ما رجحه النووي بخلاف المطالع كالحجاز والعراق واتفقوا على أنه لا اعتبار بمعرفة الحساب والمنازل إلا في وجه عن ابن سريج من عظماء الشافعية بالنسبة الى العارف بالحساب.

- ٧ -

واتفقوا على وجوب النية في صوم رمضان، وأنه لا يصح الا بنية، وقال زفر من أصحاب أبي حنيفة. إن صوم رمضان لا يفتقر إلى نية، ويروي ذلك عطاء، واختلفوا في تعيين النية: فقال مالك والشافعي وأحمد في أظهر روايتيه: لا بد من التعيين، وقال أبو حنيفة: لا يجب التعيين، بل لو نوى صوماً مطلقاً أو نفلاً جازه واختلفوا في وقتها، فقال مالك والشافعي وأحمد: وقتها في صوم رمضان ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني، وقال أبو حنيفة: يجوز من الليل؛ فان لم ينو ليلاً اجزأته النية إلى الزوال، وكذا قولهم في النذر المعين، ويفتقر كل ليلة إلى نية مجددة عند الثلاثة، وقال مالك: يكفيه نية واحدة من أول ليلة من الشهر أنه يصوم جميعه؛ ويصح النفل بنية قبل الزوال عند الثلاثة، وقال مالك: لا تصحُ نية من النهار كالواجب واختاره المزني.

- ٨ -

وأجمعوا على أن من أصبح صائماً وهو جنب أن صومه صحيح وأن المستحب الاغتسال قبل طلوع الفجر، وقال أبو هريرة وسالم ابن عبدالله : يبطل صومه ، ويمسك ويقضي ، وقال عروة والحسن : إن أخر الغسل بغير عذر بطل صومه ، وقال النخعي : اذا كان في الفرض يقضي ، واتفقوا ان الكذب والغيبة مكروهتان للصائم كراهة شديدة، وكذا الشتم، وإن صح الصوم في الحكم ، وعن الاوزاعي أن ذلك يفطر.

- ٩ -

واتفقوا على أن من أكل وهو يظن أن الشمس قد غابت وان الفجر لم يطلع ثم بان الامر بخلاف ذلك أنه يجب القضاء ، واختلفوا فيما إذا نوى الخروج من الصوم: فقال ابو حنيفة وأكثر المالكية ـ وهو الأصح عند الشافعية ، لا يبطل صومه ، وقال أحمد : يبطل ، ولو قاء عامداً قال مالك والشافعي :يفطر، وقال أبو حنيفة : لا يفطر إلا أن يكون ملء فيه ، وعن أحمد روايتان أشهرها أنه لا يفطر إلا بالفاحش ، وعن ابن عباس وابن عمر أنه لا يفطر إلا بالاستقاءة ، وإن ذرعه القيء لم يفطر بالاجماع وعن الحسن في رواية أنه يفطر؛ ولو بقي بين أسنانه طعام أو غيره فجرى به ريقه لم يفطر إن عجز عن تمييزه ومجه ، فان ابتلعه بطل صومه عند الجماعة ، وقال أبو حنيفة : لا يبطل ، وقدّره بعضهم بالحمصة ، والحقنة تفطر

الا في رواية عن مالك، وبذلك قال داوود، والتقطير في باطن الأذن والإحليل يفطر عند الشافعية، وكذلك الاستعاط [1].

- ١٠ -

واتفقوا على أن الحجامة تكره، وأنها لا تفطر الصائم إلا أحمد، فانه قال: يفطر الحاجم والمحجوم، ولو أكمل شاكاً في طلوع الفجر ثم بان له أنه طلع بطل صومه بالاتفاق، وقال عطاء وداود واسحق، لا قضاء عليه، وحكي عن مالك أنه قال: يقضي في الفرض، ولا يكره للصائم الا كتحال عند أبي حنيفة والشافعي، وقال مالك وأحمد: يكره؛ بل لو وجد طعم الكحل في حلقه أفطر عندهما، وعن ابن أبي ليلى وابن سيرين ان الاكحتال يفطر [1].

- ١١ -

وأجمعوا على أن من وطىء وهو صائم في رمضان عامداً من غير عذر كان عاصياً، وبطل صومه ولزمه إمساك بقية النهار وعليه الكفارة الكبرى؛ وهي: عتق رقبة، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً. وقال مالك هي على التخيير. والاطعام عنده أولى وهي على الزوج على الأصح من مذهب الشافعي وأحمد. وقال أبو حنيفة ومالك على كل واحد كفارة، فان وطىء في يومين من رمضان لزمه عند مالك والشافعي كفارتان. وقال أبو حنيفة: إذا لم يكفر عن الأولى لزمه كفارة

---

(١) اختار شيخ الاسلام ابن تيمية عدم الافطار بكل ذلك - الناشر -

واحدة، أو في يوم مرتين لم يجب بالوطء الثاني كفارة. وقال أحمد: ان كفر عن الأولى لزمه للثانية كفارة.

- ١٢ -

وأجمعوا على أن الكفارة لا تجب في غير أداء رمضان وعن قتادة الوجوب في قضائه، واتفقوا على أن الموطوءة مكرهة أو نائمة يفسد صومها ويلزمها القضاء، الا في قول للشافعي، وعلى أنه لا كفارة عليها إلا في رواية عن أحمد، ولو طلع الفجر وهو مجامع، قال أبو حنيفة: ان نزع في الحال صح صومه ولا كفارة عليه، وإن استدام لزمه القضاء دون الكفارة، وقال مالك: إن نزع لزمه القضاء، وإن استدام لزمه الكفارة أيضاً، وقال الشافعي: ان نزع في الحال فلا شيء عليه وان استدام لزمه القضاء والكفارة، وقال أحمد: عليه القضاء والكفارة مطلقاً نزع أو استدام.

- ١٣ -

ولو طلع الفجر وفي فيه طعام فلفظه أو كان مجامعاً فنزع في الحال صح صومه عند الجماعة، الا مالكاً؛ فانه قال يبطل، والقبلة في الصوم محرمة عند أبي حنيفة والشافعي في حق من تحرك شهوته، وقال مالك هي محرمة بكل حال، وعن أحمد روايتان ومن قبّل فأمذى لم يفطر عند الثلاثة، وقال أحمد: يفطر، ولو نظر بشهوة فأنزل لم يبطل صومه عند الثلاثة، وقال مالك: يبطل.

- ١٤ -

ويجوز للمسافر الفطر بالأكل وبالجماع عند الثلاثة، وقال أحمد: لا يجوز له الفطر بالجماع، ومتى جامع المسافر عنده فعليه الكفارة.

- ١٥ -

واتفقوا على أن من تعمد الأكل والشرب صحيحاً مقيماً في يوم من شهر رمضان أنه يجب عليه القضاء وامساك بقية النهار، ثم اختلفوا في وجوب الكفارة: فقال أبو حنيفة ومالك: عليه الكفارة، وقال الشافعي في أرجح قوليه وأحمد: لا كفارة عليه، واتفقوا على أن من أكل أو شرب ناسياً فانه لا يفسد صومه، إلا مالكاً فانه قال: يفسد صومه ويجب عليه القضاء واتفقوا على أنه يحصل قضاء ذلك اليوم الذي تعمد الأكل فيه بصيام يوم مكانه، وقال ربيعة: لا يحصل إلا باثني عشر يوماً، وقال ابن المسيب: يصوم عن كل يوم شهراً، وقال النخعي: لا يقضي إلا بألف يوم، وقال علي وابن مسعود: لا يقضيه صوم الدهر.

- ١٦ -

إذا فعل الصائم شيئاً من محظورات الصوم كالجماع والأكل والشرب ناسياً لصومه لم يبطل عند أبي حنيفة والشافعي، وقال مالك: يبطل، وقال أحمد: يبطل بالجماع دون الأكل، وتجب به الكفارة ولو أكره الصائم حتى أكل أو أكرهت المرأة حتى مكنت من

الوطء فهل يبطل الصوم؟ قال أبو حنيفة ومالك: يبطل، وللشافعي قولان: أصحهما عند الرافعي البطلان، وأصحهما عند النووي عدم البطلان، وقال أحمد: يفطر بالجماع ولا يفطر بالأكل، ولو سبق ماء المضمضة والاستنشاق إلى جوفه من غير مبالغة: قال أبو حنيفة ومالك: يفطر، وللشافعي قولان أصحهما أنه لا يفطر، وهو قول أحمد، ولو أغمي على الصائم جميع النهار لم يصح صومه بالاتفاق، وقال المزني: يصح، ولو نام جميع النهار صح صومه بالاتفاق، وعن الاصطخري من الشافعية أنه يبطل.

- ١٧ -

من فاته شيء من رمضان لم يجز له تأخير قضائه، فان أخره من غير عذر حتى دخل رمضان آخر أثم، ولزمه مع القضاء لكل يوم مد، هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: يجوز له التأخير ولا كفارة عليه، واختاره المزني، فلو مات قبل إمكان القضاء فلا تدارك له ولا اثم بالاتفاق، وعن طاوس وقتادة أنه يجب الاطعام عن كل يوم مسكيناً، وان مات بعد التمكن وجب لكل يوم مد عند أبي حنيفة ومالك، الا أن مالكاً قال: لا يلزم الولي أن طعم عنه الا أن يوصي به، وللشافعي قولان: الجديد الاصح أنه يجب لكل يوم مد، والقديم المختار المفتى به أن وليه يصوم عنه، والولي: كل قريب، وقال أحمد: ان كان صومه نذراً صام عنه وليه، وان كان من رمضان أطعم عنه.

- ١٨ -

يستحب لمن صام رمضان أن يتبعه بستة من أيام شوال بالاتفاق، الا مالكاً؛ فانه قال بعدم استحبابها. قال في الموطأ: لم أر من أشياخي من يصومها وأخاف ان يظن أنها فرض، واتفقوا على استحباب صيام أيام البيض، وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

- ١٩ -

واختلفوا في أفضل الأعمال بعد الفرائض: فقال أبو حنيفة ومالك: لا شيء بعد فروض الاعيان من أعمال البر أفضل من العلم، ثم الجهاد، وقال الشافعي: الصلاة أفضل أعمال البدن، وقال أحمد، لا أعلم شيئاً بعد الفرائض أفضل من الجهاد.

- ٢٠ -

ومن شرع في صلاة تطوع أو في صوم تطوع استحب له عند الشافعي وأحمد إتمامها، وله قطعها ولا قضاء عليه، وقال أبو حنيفة ومالك: يجب الاتمام، وقال محمد: ولو دخل الصائم تطوعاً على أخ له فحلف عليه، أفطر وعليه القضاء.

- ٢١ -

ولا يكره افراد الجمعة بصوم تطوع عند أبي حنيفة ومالك، وقال الشافعي وأحمد وأبو يوسف: يكره، ولا يكره السواك في الصوم عند الثلاثة، وقال الشافعي: يكره السواك للصائم بعد الزوال، والمختار عند متأخري اصحابه عدم الكراهة.

٢

# الاعتِكاف

- ١ -

اتفقوا على أن الاعتكاف مشروع ، وأنه قربة ، وهو مستحب كل وقت ، وفي العشر الأواخر من رمضان أفضل لطلب ليلة القدر ، واتفقوا على أنها تطلب في شهر رمضان ، وأنها فيه ، إلا أبا حنيفة ، فإنه قال : هي في جميع السنة ، وحكي عنه - كما قال ابن عطية في تفسيره - أنها رفعت ، قال : مردود ، واختلف القائلون بأنها في شهر رمضان في أرجى [1] ليلة ما هي؟ فقال الشافعي : أرجاها ليلة الحادي أو الثالث والعشرين ، وقال مالك : هي أفراد ليالي العشر الأخير من غير تعيين ليلة ، وقال أحمد : هي ليلة سبع وعشرين .

- ٢ -

ولا يصح الاعتكاف إلا بمسجد عند مالك والشافعي ، وبالجامع أفضل وأولى ، وقال أبو حنيفة : لا يصح اعتكاف الرجل إلا بمسجد تقام فيه الجماعة ، وقال أحمد : لا يصح الاعتكاف إلا بمسجد تقام فيه الجمعة ، وعن حذيفة أن الاعتكاف لا يصح إلا في المساجد الثلاثة ، ولا يصح اعتكاف المرأة في مسجد بيتها - هو

---

(١) قوله « في أرجى ليلة » جار ومجرور متعلق بقوله « اختلف » وقوله « بأنها . . . الخ » متعلق بقوله « القائلون » .

المعتزل المهيأ للصلاة ـ على الجديد الأصح من قول الشافعي ، وهو مذهب مالك وأحمد ، وقال أبو حنيفة : الأفضل اعتكافها في مسجد بيتها ، وهو القديم من قول الشافعي ، بل يكره إلا فيه ، وإذا أذن لزوجته في الاعتكاف فدخلت فيه فهل له منعها من إتمامه؟ فقال أبو حنيفة ومالك : ليس له ذلك ، وقال الشافعي وأحمد : له ذلك .

- ٣ -

واتفقوا على أنه لا يصح الاعتكاف إلا بالنية ، وهل يصح بغير صوم؟ قال أبو حنيفة ومالك وأحمد : لا يصح إلا بصوم ، وقال الشافعي : يصح بغير صوم ، وليس له عند الشافعي زمان مقدر ، وهو المشهور عن أحمد ، وعن أبي حنيفة روايتان : إحداهما يجوز بعض يوم ، والثانية لا يجوز أقل من يوم وليلة ، وهذا مذهب مالك ، ولو نذر شهراً بعينه لزمه متوالياً ، فإن أخل بيوم قضى ما تركه بالاتفاق ، إلا في رواية عن أحمد ، فإنه يلزمه الاستئناف ، وإن نذر اعتكاف شهر مطلقاً جاز عند الشافعي أن يأتي به متتابعاً ومتفرقاً ، وقال أبو حنيفة ومالك : يلزم التتابع ، وعن أحمد روايتان ، واتفقوا على أن من نوى اعتكاف يوم بعينه دون ليلته أنه يصح ، إلا مالكاً فإنه قال : لا يصح حتى يضيف الليلة إلى اليوم ، ولو نذر اعتكاف يومين متتابعين لم يلزمه عند مالك والشافعي وأحمد اعتكاف الليلة التي بينهما معاً وقال أبو حنيفة : يلزمه اعتكاف يومين وليلتين ، وهو الأصح عند الشافعي .

- ٤ -

وإذا خرج من المعتكف لغير قضاء الحاجة والأكل والشرب لا يبطل حتى يكون أكثر من نصف يوم، وأما الخروج لما لا بد منه كقضاء الحاجة وغسل الجنابة فجائز بالاجماع ولو اعتكف بغير الجامع وحضرت الجمعة وجب عليه الخروج اليها بالاجماع، وهل يبطل اعتكافه ام لا؟ قال أبو حنيفة ومالك: لا يبطل، وللشافعي قولان: أصحهما - وهو المنصوص في عامة كتبه - يبطل إلا إن شرطه في اعتكافه والثاني - وهو نصه في البويطي - لا يبطل، وإذا شرط المعتكف أنه اذا عرض له عارض فيه قربة كعيادة مريض وتشييع جنازة « خرج » جاز له الخروج، ولا يبطل اعتكافه عند الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة ومالك: يبطل.

- ٥ -

ولو باشر المعتكف في الفرج عمداً بطل اعتكافه بالاجماع ولا كفارة عليه، وعند الحسن البصري والزهري أنه يلزمه كفارة يمين، ولو وطىء ناسياً لاعتكافه فسد عند أبي حنيفة ومالك وأحمد، وقال الشافعي: لا يفسد، ولو باشر فيما دون الفرج بشهوة بطل اعتكافه إن أنزل عند أبي حنيفة وأحمد، وقال مالك: يبطل أنزل أم لم ينزل، وللشافعي قولان: أصحهما يبطل إن أنزل.

- ٦ -

ولا يكره للمعتكف التطيب ولبس رفيع الثياب عند الثلاثة،

وقال أحمد: يكره له ذلك، ويكره له الصمت إلى الليل بالاجماع، قال الشافعي: ولو نذر الصمت في اعتكافه تكلم ولا كفارة.

- ٧ -

يستحب للمعتكف الصلاة والقراءة والذكر بالاجماع، واختلفوا في قراءة القرآن والحديث والفقة: فقال مالك وأحمد: لا يستحب، وقال أبو حنيفة والشافعي: يستحب، وكأن وجه ما قال مالك وأحمد أن الاعتكاف حبس النفس وجمع القلب على نور البصيرة في تدبر القرآن ومعاني الذكر فيكون ما فرق الهمة وشغل البال غير مناسب لهذه العبادة، وأجمعوا على أنه ليس للمعتكف أن يتجر[1] ولا يكتسب بالصنعة على الإطلاق والله تعالى أعلم.

---

(١) في الطبعة الأولى، وفي الأصل «رحمة الأمة» طبعة الحلبي (يتجرد) وأظنها تصحيف وصوابها ما ذكر لا غير - الناشر -

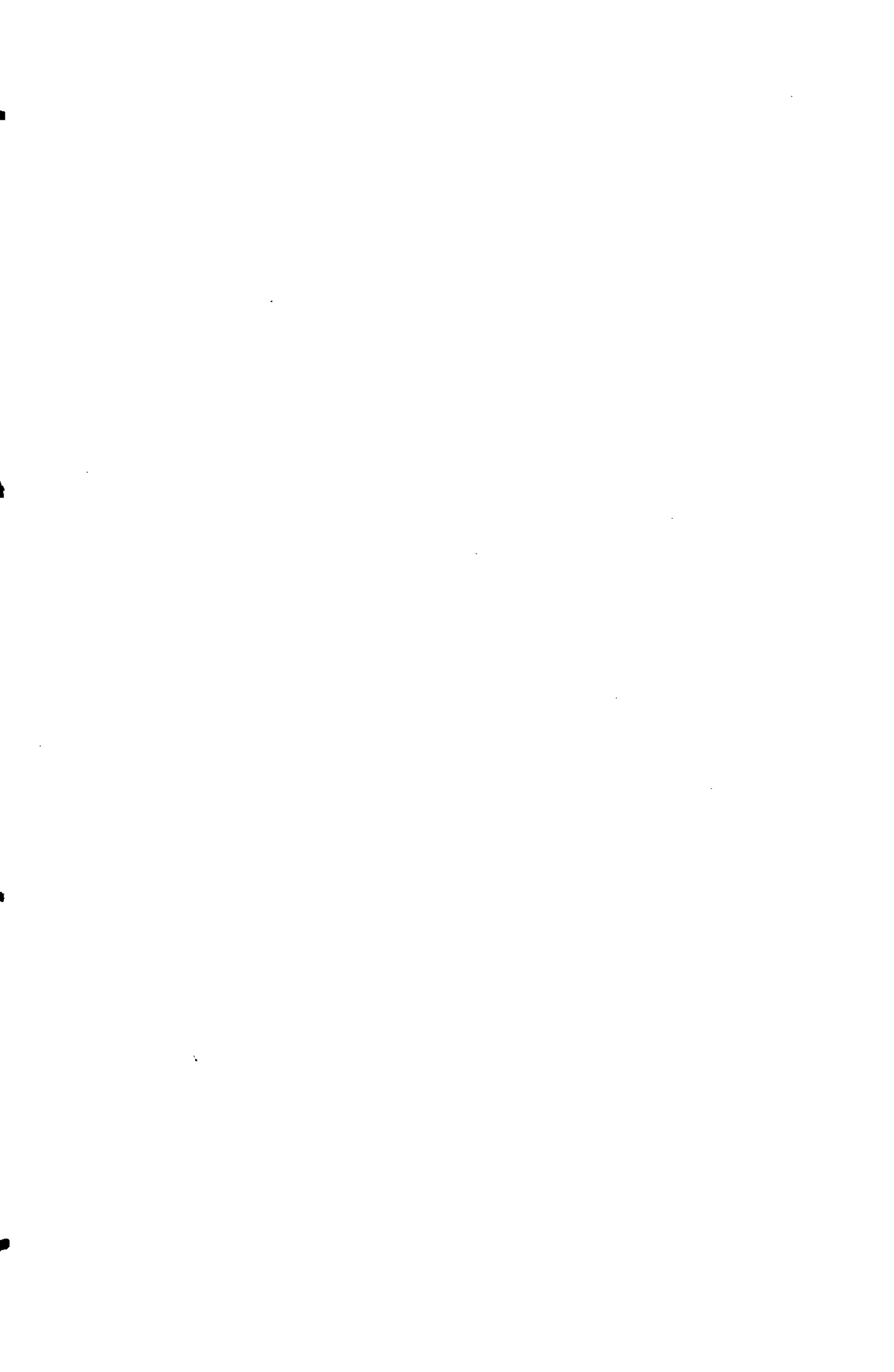
# الحياة بعد الموت

للأستاذ

أبي الأعلى المودودي

أمير الجماعة الاسلامية بباكستان

ذي الحجة ١٣٧٥



# مُقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذنا الجليل أبو الأعلى ؛ أيّده الله وحرسه ، رائد الدعوة الإسلامية في هذا العصر .

فهو رائد الفكر ، حيث أوضح النظريات الفكرية الإسلامية للملأ ، وكان أول من لفت أنظار المسلمين إلى ذلك ، فكان له في ذلك فضل السبق ، وفضل الإرشاد ، ولم يلحق بغباره أحدٌ بعد .

وهو رائد السلوك ، كان في حياته وحياة أتباعه المثال الحي الرائع لما ينبغي أن يكون عليه المسلم الحق .

وهو رائد الجهاد ، حرر مفهوم الجهاد لدى المسلمين ، وضرب لهم بجهاده المثل الذي يجب أن يحتذوه .

وهو رائد الدعوة ، يلجأ إليه دعاة الإسلام في كل بلد إن حاروا ويهتدون بحسن توجيهه إن ضلوا ، ويلتمسون في حياته القيادة الفكرية والعملية لهم .

وبعد فما كان لنا أن نكتب مقدمة تعريف في هذه العجالة، ولكنها مقدمة فخر واعتزاز ومباهاة، إذ نتقدم بهذه الرسالة إلى إخواننا هدية هادية رائعة.

وقد قام بتعريبها أخونا الفاضل الاستاذ محمد عاصم الحداد معتمد دار العروبة التي تقوم بنقل هذه الكتب القيمة إلى اللغة العربية، وإهدائها إلى إخوانها مسلمي بلاد العرب - جزاه الله خيراً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

لجنة المسجد

# الحياة بعد الموت

هل للإنسان بعد موته حياة أخرى ؟ وإن كانت ، فمن أي نوع هي ؟

هذا سؤال لا يمكن أن ينتهي إلى كنهه علم الإنسان، لأنه ليست عنده عين يبصر بها، ويطلع على ما وراء حد الموت، ولا أذن يسمع بها، ولا آلة من الآلات يعرف بها ما فيه على وجه اليقين والتحقيق. كأن هذا السؤال خارج من دائرة العلوم التجريبية (SCIENCE) . . . والذي يقول مستنداً إليها أن الإنسان لا حياة له بعد موته، إنما يقول ما لا علاقة له بتلك العلوم، فإنها إذا كانت لا تقول بالحياة بعد الموت ولا تقربها، فإنها في الوقت ذاته لا تنفيها ولا تجحد بها. فالحق أن الإنسان ما دام لا يجد وسيلة للعلم يقينية قاطعة، لا يسعه الإنكار للحياة بعد الموت، ولا الإقرار بها بموجب العلوم التجريبية.

ولكن هل من الممكن أن يجارينا هذا السلوك العلمي (SCIEN-TIFIC ATTITUDE) في حياتنا العملية ؟ لعله لا يمكن ، بل

اليقين أنه لا يمكن أبداً ! نعم ، من الممكن من الوجهة العقلية إذا لم يكن بيدنا وسيلة إلى معرفة شيء ، أن نحترز من نفيه وإثباته ، ولكن إذا كانت لهذا الشيء علاقة بحياتنا العملية ، فلا مندوحة لنا في شأنه من أن نبني أعمالنا ومنهاج حياتنا ، إما على إنكاره ، أو الاقرار به . ذلك بأننا إذا كنا لا نعرف رجلاً ، ولا نريد أن نشاركه في معاملة من المعاملات ، فلا علينا إذا لم نحكم عليه بشيء ، لا بالأمانة ، ولا بالخيانة . وأما إذا لم نجد بداً من مشاركة الرجل في معاملة من المعاملات ، فلا بد لنا من أن نشاركه ، إما على تقدير أنه رجل يرعى الأمانة ، أو على تقدير أنه رجل فيه الخيانة . وإن قلنا إننا نشاركه على تحذر وتردد ، فالحقيقة أن الصورة العملية لهذه المشاركة لا تكون مختلفة عنها لو شاركناه على إنكار أمانته بالمرة ، كأن هذه الحالة ـ حالة التردد بين إنكار شيء والاقرار به ـ لا يمكن أن تكون إلا في الذهن فقط . أما السلوك العلمي ، فلا يمكن أن يقوم على الريب والتردد ، وليس له بد من الإنكار ، أو الإقرار .

وإذا تفكرت قليلاً ، عرفت أن مسألة «الحياة بعد الموت» ليست بمسألة فلسفية فحسب ، بل إنها من المسائل الأساسية التي لها صلة وثيقة مباشرة بحياة الإنسان العملية ، وتتوقف عليها استقامة سلوكه الخلقي ، أو اعوجاجه في هذه الدنيا .

فإذا كنت تعتقد مثلاً أن الدنيا لهي الحيوان، ولا حياة لك بعد الموت، كان سلوكك الخلقي مغايراً عن سلوكك لو كنت تحسب أنك

بعد مفارقتك لهذه الدنيا ، ستفضي الى حياة تحاسب فيها على كل صغير وكبير من أعمالك التي قدمتها في حياتك الحاضرة ، وأن حسن عاقبتك فيها أو سوءها، إنما يتوقف على حسن أعمالك أو سوئها في هذه الدنيا . ومثل ذلك ، كمثل رجلين مسافرين إلى جهة كراتشي . أما أحدهما فيحسب أن سفره بعد وصوله إلى كراتشي ، لا ينتهي فحسب ، بل سيأمن فيها أيضاً من مؤاخذة الشرطة والمحكمة، وكل قوة يمكن أن تحاسبه على أعماله وما ارتكب من الجرائم قبل وصوله إلى كراتشي . أما الآخر فيحسب أن السفر إلى كراتشي إنما هو مرحلة من مراحل سفره العديدة، وهو بعد وصوله إلى كراتشي سينتهي إلى أرض لا يحكمها إلا السلطان نفسه الذي يحكم باكستان، وأن هذا السلطان في مكتبه كتاب قد سجل فيه كل صغيرة أو كبيرة من أعماله التي جاء بها أيام وجوده في باكستان، وهو سيحاسبه عليها، ولا يقضي في أمره وفي الدرجة التي يستحقها في تلك الأرض إلا حسب ما سيجد عليه أعماله من الحسن أو القبح . لك أن تقدر الآن بكل سهولة، أي فرق كبير، وبون شاسع بين أعمال الرجلين وأخلاقهما، لا يستعد الأول إلا للسفر إلى كراتشي . وأما الآخر، فلا يستعد للسفر إلى كراتشي فحسب ، بل يستعد كذلك للمراحل الشاقة الطويلة التي سيقطعها بعد المرور على كراتشي ، ويفكر في مآله الذي سيصير إليه آخر الأمر . يحسب الأول أن النفع كله والخسران كله إنما هو قبل وصوله إلى كراتشي ، وإذا وصل اليها ، فلا نفع ولا خسران . وأما الآخر فيحسب أن ليس النفع والخسران الحقيقي في

مرحلته الأولى، بل هو في مرحلته التي سينتهي إليها آخر الأمر. إن الاول لا يكترث ولا يقيم وزناً إلا لنتائج أعماله التي عسى أن يراها قبل وصوله إلى كراتشي وأما الآخر فيجعل نصب عينيه دائماً النتائج التي سيراها في الأرض التي سيبلغها عند انتهاء سفره. والظاهر أن هذا الفرق بين أخلاق الرجلين وأعمالها، إن هو إلا نتيجة مباشرة لما يعتقدان من النوع المختلف لسفرهما. فكذلك كل عقيدة يكون عليها الإنسان عن مصيره بعد الموت، لها تأثير بالغ، فيصل في كل ما يأتي به في حياته من الأعمال والأخلاق، وهو لا يتقدم في ميدان العمل خطوة إلا ويكون تعين جهتها متوقفاً على: هل يأتي بكل ما يأتي به من الأعمال في حياته الدنيا على أنها هي حياته الأولى والآخرة، وليس له ولا عليه شيء بعد الموت، أم على أنه سيفضي بعد موته إلى حياة سرمدية أخرى، ويرى فيها نتائجها ويقطف ثمارها حتماً؟ فهو إن كان يتقدم إلى جهة في الصورة الأولى، يتقدم إلى جهة تخالفها تماماً في الصورة الأخرى.

وإذا عرفنا هذا فلنا أن نقول : إن مسألة «الحياة بعد الموت» ليست بمسألة عقلية فارغة ، أو فلسفية جوفاء ، بل هي مسألة حياتنا العملية . وإذا كان الأمر كذلك ، فلا يمكننا أبداً أن نبقى في حياتنا مرتابين مترددين في هذه المسألة الأساسية ، لأن كل سلوك نختاره في حياتنا مع التردد والارتياب ، لا يكون من حيث مظهره ونتائجه إلا مثل سلوك الانكار المحض ، فنحن مرغمون بطبيعة وجودنا وحياتنا في الدنيا ، على أن نقطع في هذه المسألة برأي حاسم ، إما

بالاثبات ، او النفي .

فإن كانت العلوم التجريبية لا تساعدنا بشيء ، فلا بد لنا أن نستعين في هذا الشأن بما لنا من العقل وقوة الفهم والتبصر.

وتعال لنستعرض الآن ما عندنا من المواد للاستدلال العقلي :

أمامنا الإنسان في جانب ، ونظام الكون الذي يعيش فيه في الجانب الآخر . فعلينا أن نضع الإنسان في هذا النظام وننظر : هل تتحقق في هذا النظام مقتضيات كل ما في الإنسان ، أم يبقى فيه شيء لا تتحقق مقتضياته فيه وهو في حاجة إلى نظام من نوع آخر ؟

انظر . . . إن الإنسان ـ أولاً ـ جسد يتركب ببعض المعادن والغازات ، والأملاح والماء . وبإزائه في الكون أنواع أخرى من المعادن ، والأملاح والأتربة ، والجبال ، والأنهار ، وما إليها من الأشياء من هذا الجنس . والقوانين التي تحتاج اليها هذه الاشياء في القيام بأعمالها ، كلها جارية في الكون ، وهي كما تعين الجبال والأنهار والرياح على القيام بنصيبها من الأعمال خارج الإنسان ، كذلك تعين الجسد الإنساني أيضاً على القيام بعمله .

والإنسان ـ بعد ذلك ـ جسد ينمو ويكبر متغذياً مما حوله من الأشياء كالهواء والماء . وبإزائه هناك من جنسه الأشجار والأعشاب والنباتات الأخرى في الكون تنمو وتكبر متغذية مما حولها . فكما أن سنن الطبيعة ونواميس الكون تنمو تحتها الأشجار والأعشاب والنباتات ، ينمو تحتها الجسد الإنساني كذلك .

والإنسان بعد هذا وذاك جسد حي يتحرك بارادته ، وينال غـذاءه بـالسعي والجهد ، ويـدافع عن نفسـه ، ويهتم بالابقـاء على نسله . وبإزائه في الكـون كثير من أنـوع هذا الجنس أيضـاً ، كالحيـوانات في البر والبحر والفضاء . فكما أن قوانين الـطبيعة تعـين هذه الحيـوانات على الحياة والبقاء تعين عليهما الجسدَ الانسـاني أيضاً بـدون نقص ولا تقصير .

ولكن . . . فوق كل ذلك أن للإنسان وجوداً من نـوع آخر نسميـه الوجودالخلقي . إن الإنسان فيه الشعور بالخير والشر، وهو يميز بينهـما، ويقدر فعلهما، ومما تطالب به فطرته أن تظهر النتائـج الحسنة إن فعـل الخـير، والنتائـج القبيحة إن جـاء بـالشـر؛ وهـو يفـرق بـين العـدل والـظلم، والصدق والكـذب، والحق والباطـل، والرحمـة والقسـوة، والاحسان والاساءة، والسخاء والبخل، والـوفاء والغـدر، وما إليهـا من الصفات الخلقية الأخرى، وهي توجد في حياته بالفعـل، وليست بأمور من بنات الفكر والخيال المحض. فالذي تستدعيه بشدة الفطرة التي فطر عليها الانسـان ، أن تظهـر لأعمالـه نتائجهـا الخلقية، كـما تظهر نتائجها الطبيعية .

ولكن هل لك أن تقول بعد إطالة نظرك وإجالته في نظام الكون ، إنه من الممكن أن تظهر في هذا النظام لأفعـال الانسان نتائجها الخلقية على الوجه الكامل ؟ لعمر الحق ، إن ذلك مستحيل البتـة ، لأن هذا الكون ليس فيه ـ إلى حد علمنا ـ خلق له وجود خلقي غير الإنسان ، ولا يسير نظامه من أوله إلى آخره إلا على القوانين الطبيعية المحضة ،

حيث ليس للقوانين الخلقية دخل ما في ناحية من نواحيه . إن قطعة صغيرة من الذهب لها قيمة ووزن في هذا الكون ، ولكن لا قيمة فيه ولا وزن للصدق والأمانة ، وإذا ما غرست فيه بذرة القمح ، فإنك لا تحصد منها إلا القمح ، ولكن إذا غرست فيه الصدق والأمانة ، فقلما تحصد منها المدح والثناء ، وكثيراً ما تحصد منها الذم واللومة والاستهزاء والعقاب . إن العناصر المادية لها قوانين مضبوطة ، وقواعد معينة في هذا الكون ، ولكن لا قانون فيه للعناصر الخلقية ، وقليلاً ما تظهر فيه لأعمال الانسان نتائجها الخلقية ، لما عليه من السيطرة والتأثير للقوانين الطبيعية . وهي إن ظهرت بعض الأحيان ، فإنما تظهر على قدر ما تسمح لها بالظهور القوانين الطبيعية نفسها . وطالما تستدعي الأخلاق أن تظهر لعمل من أعمال الانسان نتيجة خاصة ، ولكنها لا تظهر إلا منقلبة بالمرة ، وذلك لما فيها من التدخل للقوانين الطبيعية . نعم ، لا شك أن الانسان قد بذل بعض سعيه بواسطة نظامه الاجتماعي والسياسي ، لأن تظهر النتائج الخلقية لأعماله وفقاً لقاعدة معينة ، ولكن الحقيقة أن ليس سعي الإنسان هذا إلا على نطاق ضيق محدود جداً ، وهو في غاية من النقص والعيب . ففي جانب تجعله ناقصاً قوانين الطبيعة ، وفي الجانب الآخر يزيده نقصاً إلى نقصه ، وعيباً إلى عيبه ما في نفس الانسان من مواطن الضعف .

وها أنا ذا أريد أن أشرح لك ما قد بينته للآن ببعض الأمثلة :

إن رجلاً يبغض رجلاً آخر ويعاديه، فإذا أحرق بيته،فإن النتيجة

الطبيعية لعمله أن يحترق ذلك البيت وأما نتيجته الخلقية ، فإنما يتوقف ظهورها على أن يُعثرَ على الرجل الذي أحرق البيت ، ثم على أن تقبض عليه الشرطة ، ثم على أن تثبت عليه الجريمة ، ثم على أن تقدر المحكمة تقديراً محكماً قاطعاً ما لحق بأهل ذلك البيت وسلالاتهم المتعاقبة من الضرر والخسارة لأجل جريمته ، ثم على أن تحكم عليه المحكمة بما يساوي جريمته من العقاب . فتلك هي الشروط التي لا بد من استيفائها وتحقيقها لظهور النتيجة الخلقية لهذا الفعل الواحد من أفعال الإنسان ، حيث إذا تخلف منها شرط ما ولم يتحقق على الوجه الصحيح الكامل ، فإما أن لا تظهر النتيجة الخلقية أصلاً ، أو يظهر منها جزء ضئيل جداً ؛ على أنه ليس من المستبعد في هذا النظام أن الجاني بعد إبادة خصمه وإفنائه يسلم من المؤاخذة ويبقى طول حياته فرحاً مرحاً لا يخاف أحداً ولا يخشى عقاباً .

ولك أن تأخذ الآن مثالاً آخر على نطاق أوسع :

إن عصابة من الناس يخلقون لأنفسهم التأثير والنفوذ في شعبهم ، ويستحوذون عليه حسب ما تأمرهم به شهواتهم وأمانيهم . ثم يستغلون هذا الوضع ، وينفثون في شعبهم روح القومية والوطنية ، ويحرضونه على فتح العالم واستعباد أممه وشعوبه ، ثم ينشبون الحرب على ما يجاورهم من الشعوب ، ويهلكون فيها الحرث والنسل ، ويطيلون يدهم بالنهب والسلب : يقتلون مئات الألوف من خلق الله ، ويشردون آلاف الألوف منهم من ديارهم ، ويستعبدونهم ،

ويرغمونهم على العيش الذليل المهان . وأعمالهم هذه قد تطول آثارها السيئة في الأجيال المتعاقبة إلى آلاف مؤلفة من السنين . فهل تظن أنه من الممكن أن ينال هؤلاء الأفراد القليلون جزاءهم في هذه الحياة الدنيا كاملاً مساوياً لفداحة جرائمهم ، وجسامة المضار التي ألحقوها بخلق الله ، لا لشيء إلا لبلوغ مطامعهم الاستعمارية البشعة ؟ كلا ، فإن ذلك من المستحيل بحكم القوانين الطبيعية التي يجري عليها نظام الكون ، ولو قتلوا تقتيلاً ، وأحرقوا أحياء ، وعوقبوا بأقسى ما يستطيع الإنسان ويخطر بباله .

وخذ كذلك أولئك الصالحين الأبرار الذين خدموا النوع البشري ، وعلموه الخير ، وأناروا له طريق الرشد والصدق والسلام ، وما زالت الأجيال المتعاقبة منذ آلاف من السنين ـ ولا يعلم إلا الله إلى كم آلاف من السنين لا تزال ـ تقتبس من نورهم ، وتقتدي بآثارهم ، وتستهدي بأعمالهم . فهل من الممكن بوجهٍ من الوجوه أن ينالوا جزاءهم على أعمالهم وخدماتهم كاملاً في حياتهم الدنيا ؟ وهل تظن أنه من الممكن في ضمن حدود القوانين الطبيعية التي يجري عليها نظام الكون الحاضر ، أن ينال الرجل جزاءً كاملاً موفوراً غير منقوص على عمل من أعماله ترك تأثيره في عدد لا يحصى من خلق الله وطال رد فعله إلى آلاف من السنين بعد موته ؟

فكما قد تبين لك آنفاً ، إن قوانين الطبيعة التي يسير عليها نظام الكون الحاضر ، لا تتسع لأن تترتب فيها النتائج الخلقية لأعمال

الإنسان على الـوجه الكـامل . ثم إن كـل عمل يـأتي به الإنسـان في حياته القصيرة هذه ، تكون دائرة رد فعله واسعـة جداً ، وقـد تطول سلسلتـه إلى مـدة مـديـدة حتى ليحتـاج الإنسـان لاقتنـاء ثمـراتـه ، والحصول على نتـائجه الكـاملة أن يعمر آلافـاً ، بل مئـات آلاف من السنـين ، وذلك مـا لا يمكن أن يتحقق تحت القـوانـين الـطبيعيـة .
وتعرف من ذلك أن هذه الدنيـا وقوانينهـا الطبيعيـة وإن كانت كـافية واسعة لما في ذات الإنسان من العنصر الجمادي ، والعنصر النبـاتي ، والعنصر الحيواني ، ولكنهـا لا تكاد تكفي لعنصـره الخلقي ، وهو في حـاجة إلى نـظام للكون آخـر لا يكون القـانون الحـاكم (GOVER-NING LAW) فيه إلا القانون الخلقي ، ولا تعمـل فيـه القوانـين الطبيعية إلا مساعدة له ، ولا تكون الحياة فيه محـدودة ليترتـب كـل ما كان لم يترتب ، أو إنما كان ترتب منقلباً في الحيـاة الدنيـا الطبيعيـة من نتائج أعمال الإنسان ، ويكون الوزن والقيمـة فيه للصـدق والحق ، دون الـذهب والفضـة ، ولا تحـرق فيـه النـار إلا مـا كـان مستحقـاً للاحتراق أخلاقاً ، ولا ينال السعادة والنعيم والأمن والرفاهـة فيه، إلا من كان صالحاً. ولا الضيق والعذاب والشقاء، إلا من كان فـاجراً . إن هذا النظام لمن عين ما يقتضيه عقل الإنسان وتطالب به فطرته .

هذا هو الاستدلال العقلي ، ولك أن تتقدم الآن خطوة أخرى :

الحقيقة أن الاستدلال العقلي إنما يرشدنا إلى حد «يجب أن يكـون» ثم يتخـلى عنا . أمـا : هل لنـظام مثل هـذا النـظام وجـود في واقـع

الأمر ، فإن كلاً من عقلنا وعلمنا ، عاجـز عن أن يحكم فيه بشيء . فهنالك يأخذ بيدنا القرآن ويقول : إن الذي يقتضيه عقلكم وتطالب بـه فطرتكم، كـائن لا محالـة ﴿وأن السـاعـة لآتيـة لا ريب فيهـا﴾ ، وسيأتي على نظام الكون القائم على قـوانين الـطبيعة يـوم سيفنى فيه، ويعقبه نظام للكون آخر ستكون الأرض والسماء وكـل شيء فيه عـلى هيئة غير هيئته الحاضرة.

والله تعالى سيحيي فيه كل من ولد ومـات منذ أول الخلق إلى يـوم القيـامة من أبنـاء البشر ، ويحشـرهـم جميعاً بـين يديـه في آن واحـد . وهنالك سيجد كل فرد ، وكل أمة ، والانسانية بقضها وقضيضهـا ، ما قدمت من الأعمال في الحياة الدنيا ، مسجـلاً محفوظـاً بدون نقص ولا خـطأ ولا هفوة . وهنـاك سيجد الإنسـان كل صغـير أو كبـير من أعماله بكل ما طال من سلسلة رد فعله في الدنيا ، وتشهد له أو عليه جميع السلالات والأجيال التي تأثرت به إلى حد ما ، كما ستشهد له أو عليه كل ذرة من ذرات الأرض تركت عليها أفعـاله وأقـواله أثـراً من الآثـار، كما ستشهـد له أو عليـه يداه ورجـلاه وعيناه وأذنـاه ولسـانـه وجلده ، وكل جارحـة من جوارح جسـده : كيف وفيم استعملها في حياته الدنيا . ثم سيحكم عليه أحكم الحاكمين ـ جل ثناؤه وتباركت أسماؤه ـ بكل عدل ، ويجازيه حسب أعمالـه وشهادة الشـاهدين بمـا يستحقـه من النعيم أو العـذاب . وسيكـون كـل من هـذا النعيم أو العـذاب على نـطاق واسع لا يمكن تقـديره حسب المقـادير المحـدودة الضيقة التي نعرفها في نظام العالم الحاضـر ، وسيكون المقيـاس هناك

للوقت والمكان مغايراً عما هو في النظام الحاضر ، كما ستكون القـوانين الطبيعية هناك غيرهـا في هذا النـظام . وسينال الإنسـان هناك جـزاءً كاملاً بـدون أي نقص على كـل عمل من أعمـاله الحسنـة التي بقيت تجري آثارها إلى آلاف من السنين في نظام العالم الـطبيعي ، بدون أن يقـطع عليـه المـوت أو المـرض أو الهـرم مـا سيكــون فيـه من النعيم والسعـادة والفرح . وكـذلك إن هـذا الإنسـان نفسـه سيلقى هنـاك العذاب على كل عمل من أعماله السيئـة التي ظلت تجري آثـارها إلى آلاف من السنين في الحياة الدنيا ، بدون أن ينقذه الموت أو الغشي مما سيكون فيه من الألم والعذاب .

ولعمر الحق إني لا يسعني إلا البكاء على ضيق أذهان الـذين يرون حيـاة مثل هـذه الحيـاة ، ونـظامـاً مثـل هـذا النـظام من الأمـور التي يستحيـل وجودهـا ، فإنـه إذا كان من الممكن أن يـوجد نـظام العـالم الحاضر بالقوانين الطبيعية الحاضرة ، فلماذا من المستحيـل أن يوجـد نظام آخر بنوع آخر من القوانين ، أما إنه سيكون ذلك حتـماً في واقع الأمر ، فذلك ما لا يمكن تعينه ببرهـان ولا بثبوت علمي ، وإنمـا هو في حاجة إلى شهادة القلب والإيمان بالغيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

# الفهرس